دار الأصالة

مؤسسة الرواد العالمية
Beytülmakdis Öncüleri Derneği

نقض خرافة الهيكل المزعوم

مصطفى إنشاصي

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الرواد العالمية
Beytülmakdis Öncüleri Derneği

دار الأصالة

رقم الإصدار 293
الترقيم الدولي 978-625-5637-33-8

اسم الكتاب نقض خرافة الهيكل المزعوم
اسم المؤلف مصطفى انشاصي

رئيس التحرير رجب صونگول

الاخراج الفني AsaletAjans
ajans@asaletyayinlari.com.tr

الطبعة الثانية - أيلول 2025 م / ربيع الآخر 1447 هـ

İmak Ofset Basım Yay. A.Ş.
Sertifika No: 71320
Akçaburgaz Mah. 137. Sk.
No: 12 Esenyurt/İSTANBUL

دار النشر دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة
Asalet Eğitim Danışmanlık
Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret
Sertifika No: 40687
Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd.
Yümni İş Merkezi No: 16B/16 Vezneciler
Fatih/ İSTANBUL-TÜRKİYE
Tel: +90 212 511 85 47
www.asaletyayinlari.com.tr
asalet@asaletyayinlari.com.tr

كما أن إصداراتنا متاحة على منصّتي

Google Play Books

Copyright © 2025
دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة – إسطنبول – © تركيا 2025
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

نقض خرافة
الهيكل المزعوم

(دراسة نقدية في الكتب السماوية وعلم الآثار)

مصطفى انشاصي

مؤسسة الرواد العالمية
Beytülmakdis Öncüleri Derneği

طبع على نفقة السيد / بشير عبد الله عبده - كينيا

الطبعة الثانية ٢٠٢٥

هيكل) سليمان عليه السلام حقيقة أم خرافة أو خيال) المبحث الأول: عقيدة (الهيكل) في التوراة المحرفة وتاريخ وحياة إبراهيم عليه السلام وبني إسرائيل من بعده. وسنتناول فيه	17
(الهيكل أو المعبد زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام)	20
(الهيكل أو المعبد زمن أنبياء بني إسرائيل إلى داود عليهم السلام)	25
(الهيكل أو المعبد زمن نبيا الله داود وسليمان عليهما السلام)	28
بناء الهيكل تكفيراً لخطايا داود	31
الهيكل) أو المعبد بعد نبي الله داود وسليمان عليهما السلام)	33
تدمير الهيكل والسبي البابلي	35
بقية أنبياء الله عليهم السلام يتنبئون بهدم الهيكل	36
السبي البابلي وعلاقته بتقديس الهيكل	37
الهيكل) والسيادة العالمية لليهو)	39
عقيدة اليوم الآخر في اليهودية	40
المبحث الثاني: (هيكل) سليمان المزعوم في علم الآثار. وسنتناول فيه	44
تضخيم مساحة الهيكل تنفي وجود الهيكل	46
خرافات حجارة الهيكل تنفي وجود الهيكل	48
كذبة كتبة التوراة المُحرف	50
مدينة القدس الحالية ليست مدينة داود عليه السلا	51
الصخرة التي أقام عليها داود المذبح	54
قرار لجنة شو عام 1930م	55
علماء آثار يهود يؤكدون: أن لا وجود لهيكل سليمان المزعوم	56
قصة الهيكل المزعوم في القرآن	60

مركزية القدس و(الهيكل) في فكر الحركة الصهيونية المبحث الأول: القدس والأقصى في الفكر الصهيوني. سنتناول فيه	66
مركزية القدس والهيكل في فكر الحركة الصهيونية	67
لا صهيونية بدون التوراة	71
المسيا (عقيدة المسيح المنتظر اليهودية) .. عقيدة دينية سياسية لا صوفية تأملية	74
عدم ذكر القدس للتضليل	77
إعادة تخطيط مدينة القدس	81
اليهودية تمنع اليهود من دخول الحرم ولا وجود للهيكل	83
مركزية القدس والهيكل في سياسات حكومات العدو الصهيوني	84
دافيد بن غوريون وفرض سياسة الأمر الواقع	85
القدس في سياسات الحكومات الصهيونية بعد بن غوريون	87
احتلال اليهود للقدس عام 1967	87
القدس وحكومة جولدا مائير	90
(القدس والحكومات الصهيونية إلى مرحلة ما يسمى السلام)	91
(القدس في مرحلة ما يسمى السلام)	93
القدس بعد اتفاق أوسلو	95
شارون يمهد لاغتصاب الأقصى	99
!معسكر ما يسمى (اليسار والسلام الصهيوني) مع تهويد الأقصى	100
!السماح لليهود بالصلاة.. أخف الضررين	101

المبحث الثاني: مؤامرة الحفريات. وسنتناول فيه	103
ابتزاز يهودي	103
سمات المخطط اليهودي	105
استئناف طقوس تقديم القرابين التوراتية	107
عشر مراحل من الحفريات لهدم الأقصى	108
اتفاق أوسلو نقطة تحول خطيرة	113
طريق باب المغاربة	115
هدم طريق باب المغاربة	118
سرقة وتدمير الآثار الإسلامية	121
ضابط وراء إقامة الكنيس مكان الأقصى	122
صرخات استغاثة فلسطينية	124

مكانة القدس والأقصى إسلامياً وعالمية العهد والوعد **المبحث الأول: مكانة الأرض المباركة والمسجد الأقصى في القرآن والسنة، وسنتناول فيه**	128
الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل	129
عالمية الوعد في القرآن الكريم	138
الأرض المباركة في القرآن الكريم	140
بني إسرائيل والأرض المباركة	142
إنها مُحرمة عليهم	142
غضب الله على بني إسرائيل	143
الاستخلاف الثاني في الأرض	145
العلو والإفساد الإسرائيلي	150
مكانة الأرض المباركة في السنة	151
مكانة بلاد الشام	152
مكانة المسجد الأقصى	154
المبحث الثاني: عالمية العهد والوعد في التوراة، وسنتناول فيه	156
علماء اللاهوت: عالمية العهد والوعد	156
النبوءات تعني جماعة المؤمنين	158
المسلمون هم جماعة المؤمنين	159
بيت المقدس عاصمة الخلافة الإسلامية	163
الخاتمة والمستخلصات	168

مقدمة الكتاب

بسْم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

لا نُبالغ إذا قلْنا: أنّ الحقائق التَّاريخية والدِّينية المتعلِّقة بفلسطين والقدس لا يزال جزء كبيرٌ منها مدفوناً في ركام الخُرافات والأسَاطير التَّوراتية والتَّلمودية، وقد غدت تلك الخرافات – مع الأسف الشَّديد – لدى طائفةٍ من الباحثين والمثقَّفين المسلمين (حقائق) و(مسلَّمات) لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، بل وجدنا مؤسسات رسمية تُعنى بشؤون التَّربية والتَّعليم في عالمنا العربيّ والإسلاميّ قامت بتضْمين تلك الخرافات في شكل (مناهج أكاديمية) تُدرَّس في المدارس والجامعات؛ بل، وفي أحيانٍ كثيرة، عايشناها خطباً تُلقى من فوق أعواد المنابر، ويؤسفنا أن نقول: أن مُرَوّجي تلك الخرافات قد نجحوا إلى حدٍّ كبير في تمرير بضاعتهم المزجاة وتسويقها في أوساط المسلمين لِتكون عنصراً مؤثراً، من حيث ندري أو لا ندري، في صياغة عقليّة عربيّة وإسلاميّة مُشوّهة الرُّؤية والسُّلوك، تركن إلى الرِّواية التَّوراتيّة المحرَّفة وتعتمد عليها.

وقد ارتكز هذا الرُّكام المعرفيّ المسْموم في نظرته للصراع الدَّائر في فلسطين المحتلة على (التَّوراة المحرَّفة) باعتبارها مصدراً أساسياً للتاريخ، زاعماً أنَّ الوقائع التَّاريخيّة والوُعود الدِّينيّة الواردة فيها غير قابلةٍ للبحث ولا النِّقاش، بل ويجب التَّسليم بها مطلقاً (كما أُنْزلت)، وقد تأسست من أجل ذلك مؤسسات ضخمة تحظى بدعم مالي كبير، تهدف بالأساس إلى (إسكات التَّاريخ الفلسطيني، وطمْس التُّراث الرُّوحي والثَّقافي الضخم الذي صنعته الشُّعوب العربيّة القديمة)، على حد تعبير (كيث وايتلام) في كتابه (اختلاق إسرائيل القديمة)، والعمل على اختلاق تاريخ وهميّ مزوّر للكيان المحتلّ ليس له أيّ سندٍ تاريخيّ أو أثارةٍ من علْم.

ويرى (وايتلام) في كتابه المذكور (أنَّ الفلسطينيين إذا لمْ يتمكَّنوا من اسْتعادة تاريخهم في الماضي البعيد، وليس فقط في التَّاريخ الحديث، من قبضة الدّراسات التَّوراتيّة فلن يتمكنوا من إسْماع صوْتهم واستعادة حقهم وتاريخهم).

وكتاب (نقض خرافة الهيكل المزعوم: دراسة نقدية من خلال النصوص الشرعية وعلم الآثار)، بما تضمنه من حقائق ومعطيات، يخرج من بين فرث الخرافات ودم الأساطير علماً خالصاً سائغاً للشاربين، بذل فيه مؤَلِّفه، وهو من أبناء فلسطين البَرَرة، جهداً مُضنياً؛ مُحقِّقاً ومدقِّقاً وباحثاً، لينفض الغبار المتراكم من فوْق الحقائق التَّاريخيّة المحجوبة عن أنظار المتشوِّفين إلى معرفة الحقيقة دون تزوير ولا تحريف ولا تبديل.

وصديقنا الأستاذ مصطفى انشاصي، من الباحثين الجادين في هذا المجال، من الذين ليس لك إلا أن تحترمه على آرائه واجتهاداته حتّى وإن اختلفت معه، لمنهجه المتين، وبحثه الجاد، وتدقيقه الصارم، ورؤيته الإسلامية الصَّافية، مع صلابة في الدّفاع عن قناعاته، لكن لا يمنعه -كل ذلك- من أن يتقبل كل نصح مصحوب بالدليل الصحيح من مراجعة آرائه واجتهادته متى صحَّ عنْده صلاح من أرْشده وكفياته العلمية.

والكتاب الذي بين أيدينا (نقض خرافة الهيكل المزعوم: دراسة نقدية في الكتب السماوية وعلم الآثار) يعالج موضوعاً يعدّ من واجبات الوقت، ومن القضايا المركزية التي يدور حولها الصراع في منطقتنا اليوم، وهو موضوع (بيت المقدس والمسجد الأقصى) و(الهيكل المزعوم) وذلك من خلال قراءة عميقة ومناقشة هادئة وعين ناقدة، برؤية اسلامية تعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً لها، مع عدم اغفال ما أنتجه الفكر البشري في مجال البحوث العلمية المبنية على علمي التاريخ والآثار، ليشكف بشكل واضح لا لبس فيها أن (الهيكل المزعوم) أكبر كذبة شهدها التاريخ الحديث والمعاصر.

سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا الجهد المبارك من العلم النافع الذي لا يتحقق التحرير للمقدسات بدونه، وأن يكتبه في ميزان حسناته يوم الدين.

فتحي عبد القادر

المقدمة

يأتِ قرار الرئيس الأمريكي ترامب نقل السفارة الأمريكية من تل الربيع (تل أبيب) إلى مدينة القدس المحتلة وحال وواقع الأمة على طول مساحة الوطن من المحيط إلى المحيط ما لا يَخفَ علينا جميعاً، ويزيد من سوء الحال ويفجعنا الواقع القائم في القدس والمسجد الأقصى، و إسراع اليهود الخطى لإتمام تهويد مدينة بيت المقدس وهدم المسجد الأقصى. إن كل ما يحدث يومياً على الأرض المباركة يؤكد على وُجوب تحقيق فريضة وحدة الأمة من أجل تحرير فلسطين واستعادة نهضتها وأخذها دورها الرسالي الحضاري الإنساني عالمياً، لأن الفرقة والصراع على الدنيا هي سبب هوان الأمة وذلها، وتحقق حديث رسول الله ﷺ فيها: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ السَّلَامِ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» ، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

نعم أمة «الغثاء» الكثرة، و«الوهن» حب الدنيا وكراهية الموت! وهل هناك وهن أشد من هذا الوهن، انقسام في أرض الرباط والجهاد، في مركز المواجهة ضد عدو الأمة المركزي، اليهود، الذين قال فيهم رب العزة: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ}[المائدة:٨٢]! وواقع عربي و إسلامي متصارع في ما بين أقطاره، وحروب أهلية داخل كثير منها، والكل منشغل بشئونه الداخلية والمغتصب للوطن والمقدسات، والقاتل للأهل والمدمر للديار، مجاهراً بالعداوة والبغضاء ضد الله ورسوله ﷺ والأمة، وليس هناك عداوة أشد مما يحدث في فلسطين،

1 سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر، عدد الأجزاء (٤)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، رقم الحديث (٤٢٩٧) ج٤، ص١١١. ووقد ذكره الروياني في مسنده (ج ٢٥/ ١٣٤/ ٢)، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وآخرون.

وما يمارسه ضد المسجد الأقصى مستغلاً وهن الأمة، وانقسام مَنْ يُفترض فيهم أنهم الطائفة الظاهرة على الحق المنصورة على عدوها، كما أخبرنا رسول الله ﷺ أنها في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس: !

غافلين عن قوله تعالى: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة:٦٠/٨-٩].

في ظل زمن «الغثاء» و»الوهن» وازدياد وتصاعد وتيرة سياسة العدو الصهيوني التي يمارسها بصورة ممنهجة ومنظمة لاغتصاب أراضي الضفة الغربية المحتلة عام ١٩٦٧، وخاصة الأراضي شرق مدينة القدس ومحيطها الجغرافي، والإسراع في استكمال تهويد المدينة المقدسة، وتغيير معالمها تاريخياً ودينياً وثقافياً وجغرافياً وسكانياً وحضارياً، لضمها للأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، واحتدام المعركة حول مستقبلها ومصيرها. وبعد أن وصلت الحفريات التي يقوم بها العدو الصهيوني تحت المسجد الأقصى مرحلة خطيرة جداً تهدد بانهياره، حيث أنها تجاوزت منتصف صحن المسجد الأقصى (ما يزعم اليهود أنه قلب مدينة داود)، وأنها أصبحت تشكل خطراً على أساسات المسجد الأقصى لم يسبق له مثيل من قبل، بهدف تدمير المسجد الأقصى و إعادة بناء ما يسمونه (الهيكل الثالث) مكانه، الذي تعمل من أجل إعادة بنائه مئات الجمعيات والمنظمات اليهودية والنصرانية البروتستانتية في الولايات المتحدة التوراتية، التي تنشط في جمع الأموال والدعاية الدينية من أجل بنائه. وأن تصميم (العرش) الذي سيوضع داخله قد تم الانتهاء من إعداده ووصل إلى كيان العدو الصهيوني، بانتظار هدم المسجد الأقصى و إعادة بناء (الهيكل). كما أنه أعلن منذ سنوات أن سلطات الاحتلال الصهيوني قد اتخذت قرار ببناء ما يزعمونه (الهيكل الثالث) في وسط ساحة المسجد الأقصى، باتجاه شرقي غربي، في المساحة التي تفصل بين المسجد القبلي الكبير ومسجد قبة الصخرة.

وبعد أن أعلن العدو الصهيوني عن عزمه إفراغ المدينة المقدسة من أهلها، وتحويلهم إلى أقلية لا تزيد عن ١٢٪ من إجمالي عدد سكانها، وبدأ سياسة هدم المنازل التي تشمل أحياء بكاملها ولم تعد هدم منزل هنا ومنزل هناك، ما يعني تشريد عشرات الآلالف من سكان القدس، كبداية لمخطط خفض السكان الفلسطينيين فيها عام ٢٠٢٠ إلى ١٢٪ فقط.

أضف إلى ذلك محاولات الاقتحام والاعتداءات المتكررة لساحات المسجد الأقصى المبارك والحفريات تحته، التي ازدادت بعد مصادقة الاحتلال على إقامة مركز لشرطة الاحتلال في ساحة حائط البراق على مساحة ١٤٠ متراً مربع، والزيارات اليومية لساحات المسجد الأقصى التي تهيئ لتثبيت التقسيم الزماني تمهيداً للتقسيم المكاني للمسجد الأقصى بين المسلمين والمغتصبين اليهود.

وكما أن سلطات الاحتلال الصهيوني رصدت قبل سنوات مبلغ (٦٠ مليون شيكل) لتغيير معالم القدس وتهويدها، علماً أن المدينة المقدسة من الناحية الفعلية والعملية قد تم اغتصاب معظمها وضمها إلى القدس المحتلة عام ١٩٤٨.

زد على ذلك ما كشف عنه الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر الفلسطيني ١٩٤٨، عن مخطط صهيوني لإقامة سكة قطار صغير ومصعد للسائحين الأجانب أسفل ساحة البراق في المسجد الأقصى، بعد حصول جهات صهيونية على موافقة إقامته في مدينة القدس، والمخطط يهدف لتغيير معالم القدس بالكامل. بالإضافة لحديثه عن هدم جزء من المسجد الأقصى, المتمثل بطريق باب المغاربة لبناء سلسلة كنس يهودية تخنق المسجد الأقصى من جميع الجهات. كل ذلك تنفيذاً لمشروع ما يسمونه (الحوض المقدس) وإعادة بناء ما يزعمون أنه (مدينة داود).

وفي ظل العلو والإفساد الإسرائيلي اليوم في الأرض - فلسطين - وإصرار العدو الصهيوني على هدم المسجد الأقصى بكل ما يمثله من أهمية ومكانة دينية وتاريخية في عقيدة ووجدان الأمة الإسلامية، وذلك بتكثيف الحفريات تحت أساساته بحجج وذرائع واهية، ومحاولات من يُسَمون (متدينين ومتطرفين يهود) هدم المسجد الأقصى، بدعوى أنه يقوم مكان (هيكل) سليمان عليه السلام حسب زعمهم، ذلك (الهيكل) الذي حولوه إلى رمز لسيادتهم العالمية، ومقراً لمسيحهم المنتظر، الذي سيحكم منه العالم عند مجيئه آخر الزمان. في ظل هذا الوضع وتلك السياسة الصهيونية التي تكاد تشكل معها تلك المخططات معركة العدو الصهيوني الأخيرة لحسم مستقبل المدينة المقدسة، والسيادة عليها؛ مستفيدين من حالة الانقسام الفلسطيني، ومن حالة التمزق والتردي والضعف العربي والتبعية المنقطعة النظير للغرب،

والاستسلام لمخططاته ضد الأمة والوطن، في ظل هذا الوضع العربي والفلسطيني والخطر الصهيوني المحدق بالمدينة المقدسة والمسجد الأقصى؛ قرع كثير من علماء الأُمة ومفكريها والحريصين من أبنائها على مستقبل الأُمة والمسجد الأقصى ناقوس الخطر الذي يُهدد مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى، مستحثين الأُمة للنهوض دفاعاً عن قدسها وأقصاها كلٌ على قدر استطاعته، بعد أن أصبح الخطر والشر الذي يهدد مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى غير خافٍ على أحد، ودخل في مراحله الأخيرة.

استجابة لتلك الدعوة؛ أعددنا هذه المشاركة المتواضعة منا للدفاع عن مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى، بهدف تحقيق مجموعة من الغايات والأغراض والأهداف التي نرى أنها تَهم مستقبل الأمة في صراعها مع العدو الصهيوني،

ولها علاقة وطيدة بأبعاد ذلك الصراع الذي مركزه وهدفه الرئيس المسجد الأقصى. ومنها:

١- كشف زيف المزاعم اليهودية الصهيونية الكاذبة عن المكانة الدينية والتاريخية لمدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى لدى اليهود، ودفع الشبهات اليهودية الصهيونية وردها عليهم، من خلال كتبهم ومراجعهم الدينية الأصلية، التي يعتمدونها في تبرير تلك المزاعم.

٢- إبراز أهمية ومكانة مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى عند جميع أتباع الرسالات السماوية (وليس الأديان السماوية، فاليهودية والنصرانية المحرفتان أديان بشرية)، وأن الحق فيها هو لنا نحن المسلمون وليس لأحد غيرنا، وذلك ما تؤكده كتبهم الدينية المحرفة التي بين أيديهم الآن (التوراة والأناجيل).

٣ - إثبات أن النبوءات الواردة في التوراة اليهودية المحرفة والأناجيل النصرانية المحرفة أيضاً تؤكد قراءتها الموضوعية المجردة من أي تأويل سابق أو موقف ديني أو سياسي، أنها جميعها لا تخص اليهود ولا النصارى ولكنها تُبشر ببعثة محمد بن عبد الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، وأن المسجد الأقصى لن يكون مقر للعرش ورمزاً للسيادة العالمية اليهودية،

ولكنه سيكون مقراً لخلافتنا الإسلامية ودولة العدل والإنصاف وحرية العبادة لجميع البشر التي بشر بها الرسول الكريم محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، وأن مقرها سيكون في بيت المقدس؟!

ولأن الموضوع واسع ومتشعب، والرؤى حوله متعددة، لأجل الفائدة سنُرَكِز على مناقشة أهمية ومكانة مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى في تاريخ وعقيدة كل من اليهود والمسلمين، وعلى مناقشة نبوءات (التوراة المُحرفة) التي تتحدث عن مسيح آخر الزمان، الذي يصبح في عهده «البيت» المسجد الأقصى مكان عبادة لجميع الأمم والبشر، تلك النبوءات التي فسرها اليهود تفسيرات عرقية وقبلية، وحصروها فيهم وحدهم من دون أتباع الرسالات السماوية الأُخرى.

لذلك سنحاول معرفة:

إن كان لمدينة بيت المقدس أي أهمية أو مكانة دينية في عقيدة وحياة وتاريخ الجد الأول لبني إسرائيل إبراهيم وأبنائه عليهم السلام؟ أو لأنبياء بني إسرائيل من بعدهم؟

إن كان هناك مكان أو شيء ما مقدس في عقيدة وحياة وتاريخ الجد الأول لبني إسرائيل وأبنائه؟ أو لأنبياء بني إسرائيل من بعدهم؟

إن كان (هيكل) سليمان المزعوم حقيقة أم خيال؟! وهل كان له وجود حقيقي ومادي على الأرض أو أنه فقط موجود في خرافات وخيال اليهود؟

هل بيت المقدس والمسجد الأقصى لهما أهمية ومكانة دينية في عقيدة وحياة المسلمين أو أن أهميتهما ومكانتهما مصطنعة ومستحدثة؟

* المفاهيم والمصطلحات: وحتى لا يتلبس المعنى والمفهوم لبعض المفردات أو المفاهيم والمصطلحات هذه قائمة بمعاني بعضها:

* المسجد الأقصى: هو قضية البحث المحورية، وليس مدينة بيت المقدس أو الأرض المباركة (فلسطين)، وأن أي ذِكر لهما في سياق البحث سيكون من أجل خدمة القضية الأساس (المسجد الأقصى).

* اليهودية كدين: لا يُقصد بها الرسالة أو الشريعة السماوية التي نزلت على موسى عليه السلام، ونؤمن بها أنها مُنزلة من الله تعالى، ولكن يُقصد بها عقيدة اليهود الباطلة التي تم تحريفها بعد موسى عليه السلام.

* التوراة: لا يُقصد بها التوراة التي نؤمن بها أنها أُنزلت من الله تعالى على موسى عليه السلام؛ ولكن يُقصد بها التوراة المُحرفة الحالية التي لا تخلو من بقية من وحي،ولكنه اختلط بكثير من خرافات وعقائد البشر.

* أسفار موسى الخمسة: المعتمدة عند كل الطوائف الدينية اليهودية ولا خلاف عليها بينهم، هي على التوالي: (سِفر التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية).

* إله أو رب اليهود: نحن كمسلمين نعتقد أن الله هو ربنا ورب جميع البشر، هو رب العالمين، ورب هذا الكون وما فيه من مخلوقات نعلمها ولا نعلمها، ولكن اليهود يعتقدون بأن (يهوه) هو إلههم الخاص من دون جميع البشر.

* بني إسرائيل: سنعتمد هذا الاسم لذرية يعقوب إلى عهد سيدنا داود؛ لأن نسل بني إسرائيل لم يختلط كثيراً بغيره من الأعراق التي كانت تسكن في وطننا إلى ذلك التاريخ، غير السحرة الذين آمنوا مع موسى في مصر وهاجروا معه.

* اليهود: هو الاسم الذي سنعتمده لبني إسرائيل ابتداء من عهد داود؛ حيث اعتنقت قبائل أُخرى في فلسطين وجوارها اليهودية، ثم اعتنقها أفراد وجماعات من شعوب كثيرة في العالم، وفي نحو عام ٧٤٠ اعتنقت قبائل الخزر في وسط أوروبا اليهودية، ويُقدر بعض علماء الأجناس أن نسبتهم من مجموع اليهود اليوم حوالي ٩٠٪.

الفصل الأول

(هيكل) سليمان عليه السلام حقيقة أم خرافة

المبحث الأول:

عقيـدة (الهيـكل) فـي التوراة

وتـاريخ اليـهود

كشف وزير الأمن الداخلي الصهيوني (تساحي هانغبي)، وجهاز الأمن الصهيوني «الشين بيت» حول حصولهم على معلومات مؤكدة عن عزم بعض الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة تدمير المسجد الأقصى المبارك، عن طريق استخدام طائرة صغيرة بدون طيار، لتصطدم بالمسجد أثناء أداء المصلين للصلاة. أو عن طريق يهودي انتحاري يهاجم المسجد الأقصى بطائرته.

هذه المعلومات التي كشفها وزير الأمن الداخلي الصهيوني بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٦ أثارت ردود فعل مختلفة، وأعادت قضية (الهيكل المزعوم)، والمسجد الأقصى من جديد إلى واجهة الأحداث، وعادت صرخة «الأقصى في خطر» تدوي من جديد لتنبه الأمة الإسلامية بالخطر المحدق بالمسجد الأقصى أكثر من أي وقت مضى، وضرورة التحرك السريع على جميع الأصعدة لحمايته و إفشال المخططات اليهودية، والنصرانية الصهيونية الخبيثة لتدميره.

وقبل أن نعرض لعلاقة أنبياء بني إسرائيل بالقدس والمقدس في التوراة، ونتناول ملف القدس والمسجد الأقصى و (الهيكل المزعوم) من جميع جوانبه وزواياه، ونكشف أبعاد المخططات الصهيونية وغاياتها النهائية من خلال كشف زيف وكذب المزاعم الدينية والتاريخية اليهودية في القدس، ألفت الانتباه هنا إلى مسألة مهمة جداً تغيب كثيراً عند الإعلام العربي والإسلامي وعند كثير من المدافعين عن المسجد الأقصى، عند الحديث عن المخططات اليهودية لهدم المجد الأقصى؛ وهي: أنهم يقعون في شرك السياسة الإعلامية الصهيونية عندما يفرقون بين المخططات الصهيونية الحكومية والرسمية لتدمير المسجد الأقصى،

وبين الجهود الفردية أو الجماعية لبعض ما يسمونها (الجماعات الدينية المتطرفة) لتحقيق ذلك،

ويركزون حديثهم على محاولات تلك الجماعات اليهودية لهدم المسجد الأقصى، ويغفلون عن المخطط الأخطر الذي تقوم به حكومات العدو الصهيوني، بهدوء وتأنٍ لتدمير المسجد الأقصى، ولكنها تتحين الوقت المناسب. غافلين عن أن الهدف النهائي للحركة الصهيونية التي أنشأت الكيان الصهيوني، وما زالت تقف خلفه إلى اليوم، كان وما زال هو: هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء (الهيكل) المزعوم، وإقامة العرش الذي سيجلس عليه ملك اليهود من نسل داود ـ المسيح المنتظر اليهودي ـ ليحكم العالم.

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة «الصهيونية» التعريف التالي: «إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء (الهيكل) وإقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود»[٢].

أما دائرة المعارف اليهودية فقد كتبت عند شرح كلمة «صهيونية»: «يبغي اليهود أن يجمعوا أمرهم وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا العبادة إلى (الهيكل) ـ مكان المسجد الأقصى ـ ويقيموا ملكهم هناك»[٣].

وعرف (برينفلد) الصهيونية في كتابه «الصهيونية» بقوله: «أنها الحركة التي ترمي إلى إعادة عموم اليهود الذين يريدون، أو لا يقدون على الإقامة في البلاد التي يقطنونها، والذين يبلغ تعدادهم ما يزيد على العشرة ملايين، إلى فلسطين»[٤].

فاليهود الصهاينة يزعمون أن نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام قد بنيا (هيكلاً) للرب إلههم، ليكون مكان عبادة وتقديس لكل بني إسرائيل، وأنه تم هدمه وتدميره مرتين، المرة الأولى على يد ملك البابليين (نبوخذ نصر) عام ٥٨٦ ق.م، وأن اليهود قد أعادوا بنائه مرة ثانية عام ٥١٦ ق.م بعد عودتهم من السبي البابلي في عهد الحكم الفارسي لفلسطين، وقد هدم المرة الثانية على يد القائد الروماني (طيطس) عام ٧٠ بعد حركة تمرد قام بها اليهود ضد الإمبراطورية الرومانية. ويزعمون أن المسجد الأقصى قائم مكان (الهيكل)، لذلك لا بد من هدم المسجد الأقصى ليتسنى لهم إعادة بناء ما يسمونه (الهيكل الثالث)!

2 عبد الله التل، جذور البلاء، القسم الأول، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥، الطبعة الثانية، ص١٣٨. محمد مصباح حمدان، الاستعمار والصهيونية العالمية، المكتبة المصرية،صيدا، لبنان، ١٩٦٧م، ص١٢٧.

3 عبد الله التل، جذور البلاء، مرجع سابق، ص١٣٨

4 محمد مصباح حمدان، الاستعمار والصهيونية العالمية، مرجع سابق، ص١٢٦.

خاصة وأن اليهود يعتقدون أن إلههم (يهوه): «لن يدخل القدس السماوية، قبل أن يدخل القدس الأرضية»[5]!

كما أن (الهيكل) في عقيدة اليهود هو رمز السيادة اليهودية العالمية على جميع (الجوييم) أي الحيوانات الحليقة التي خلقها رب اليهود (يهوه) على هيئة الإنسان لتليق بخدمة السيد اليهودي! وذلك هو الغاية النهائية للصهيونية: «تهدف الصهيونية إلى سيطرة اليهود على العالم كما وعدهم إلههم يهوه، وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات»[6].

وليؤكدوا على أن ارتباطهم الروحي والتاريخي بالقدس لم ينقطع طوال سنوات (شتاتهم المزعوم منذ ٢٥٠٠ سنة) ـ لأن يهود العصر لا يمتون لبني إسرائيل بصلة دم أو قرابة البتة، ولم يسكن أسلافهم فلسطين ولم يعرفوها أو قد يكونوا لم يسمعوا بها أصلاً، لأن يهود العصر هم من سلالة القبائل الخزرية التي تهودت بعد تهود خاقانها عام ٧٤٠م ـ وأن الذي شتتهم من موطنهم الأصلي وسط أوروبا هم الروس. يزعمون أنهم ظلوا يرددون في صلواتهم كل يوم: «تُشل ـ تقطع ـ يميني إن نسيتك يا أورشليم».

وقد عبر مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة (تيودور هرتزل) عن أهداف اليهود الحقيقية التي أعدها اليهود الصهاينة للقدس والمسجد الأقصى وغيره من أماكن العبادة الخاصة بأشقائنا النصارى في فلسطين؛ أصدق تعبير في يومياته بتاريخ ١٩٠١/٩/٢٣م، عندما كتب يقول: «عندما أتذكرك في المستقبل، فإن ذكرياتي ستكون سعيدة. إن عفونة ألفي من اللا إنسانية، والظلم والوسخ تنبعث رائحتها من شوارعك الضيقة، إن الرجل – يقصد المسيح عليه السلام - الذي كان موجوداً فيها طيلة ذلك الوقت، الناصري الحالم لعب دوراً في زيادة الكراهية لنا. فإذا ما حصلنا على القدس يوماً، و إذا كنت لا أزال نشيطاً أستطيع أن أقوم بالأعمال سأبدأ بتنظيفها قبل كل شيء. سأبدأ بإزالة كل ما هو ليس مقدساً، وسأقيم بيوت المال خارج المدينة، وسافرغ أعشاش القاذورات أحرق الآثار العلمانية – يقصد المساجد والكنائس- وأنقل الأسواق إلى غير موضعها الآن. وعندها أبقي على النمط المعماري القديم بقدؤ الإمكان، وأبني حول الأمكاكن المقدسة – يقصد أماكن العبادة اليهودية – مدينة مريحة منشرحة صحيحة»[7].

5 أسعد رزوق «دكتور»، التلمود والصهيونية، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (بلا مكان طبع)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص٢٣٢.

6 مذكرات حاييم وايزمان التجربة والخطأ، دراسة وأعداد وتقديم دكتور الحسيني الحسيني معدي، دار الخلود للنشر والتوزيع، القاهرة، ص٣٥.

7 يوميات هرتزل، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣، ص١١٩.

وذلك هو حال القدس مع المخططات الصهيونية التي بدأت منذ اليوم الأول لاحتلالها عام ١٩٦٧ وواقع الحال يقول ان الصهاينة أوشكوا على تحقيق تلك الأهداف في ظل واقع عربي ودولي متواطئ!

أما (دافيد بن غوريون) أول رئيس وزراء لكيان العدو الصهيوني الجميع سمع عبارته المشهور: «لا معنى لـ(إسرائيل) بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون (الهيكل)»[٨]، وهناك من أضاف: «ولا معنى للهيكل بدون العرش».

من يقرأ أو يسمع تلك المبالغات يتصور أن (الهيكل) كان ـ وما زال ـ منذ إبراهيم عليه السلام وهو يحظى بهذه المنزلة في عقيدتهم، وهذه المكانة الدينية في حياتهم، وهذه الأهمية في تاريخهم السياسي. ولكن مَنْ يُلقي نظرة على التوراة وخاصة أسفار موسى عليه السلام الخمسة المعتمدة عند كل الطوائف الدينية اليهودية ولا خلاف عليها بينهم؛ لا يجد أي إشارة لعلاقة مقدسة بين القدس أو المعبد (الهيكل) وبين الله، أو ما يشير إلى تقديس إبراهيم عليه السلام لبقعة ما كمكان عبادة بأمر إلهي، أو ما يوحي بعلاقة قدسية بينه وبين ذلك المكان. ولو كانت القدس ذات مكانة أو أهمية دينية، ولها قدسيتها عند رب اليهود، كان جاء ما يُشير إلى ذلك في سيرة جد بني إسرائيل الأكبر، إبراهيم عليه السلام، الذي قطع ذلك الرب (يهوه) له وعداً أن تكون له ولذريته من بعده السيادة على الأرض. ولكنه سيجد أن الحديث عن العلاقة بين الإله والمقدس، بين (يهوه) والقدس و(الهيكل) كثر بعد السبي البابلي. وذلك ما سنوضحه ونرد عليه.

١ـ (الهيكل) أو المعبد زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام

وقع معظم كتاب التاريخ ودارسي الكتب الدينية عند الحديث عن إبراهيم عليه السلام وبني إسرائيل من بعده في خطأ جسيم جداً، وذلك من تأثير الروايات التوراتية والفكر الغربي الذي يؤمن بالتوراة أنها وحي من الله ومقدمة للنصرانية وبعث المسيح، وذلك عندما رفعوا نسبه إلى من تزعم التوراة أنه (سام بن نوح)، كما أن التوراة تناقضت في ذكر نسب سيدنا إبراهيم عليه السلام، وغالباً ما يذكره المؤرخون دون التطرق إلى أصله العرقي وأصل قبيلته التي انسلخ عنها بعد أن أوحى إليه الله تعالى بأن يترك قومه ويهاجر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين،

8 جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، الطبعة الأولى، توزيع دار النهار للنشر، ص٩. أحمد عبد ربه بصبوص، القدس تناديكم، دار البشير للتوزيع والنشر، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .١٩٩٥م، ص١٦.

مما يُظهر بني إسرائيل واليهود وكأنهم قبيلة منفصلة ومتميزة عن غيرها من القبائل التي عاصرتها، ومستقلة عن جميع قبائل وأعراق الأرض منذ فجر التاريخ، أو منذ ما بعد الطوفان، في وقت الحقيقة فيه خلاف ذلك.

فنحن عندما نرجع إلى شجرة الأنساب في التوراة في سفر التكوين؛ نجدها رفعت نسب إبراهيم عليه السلام إلى (أرفكشاد بن سام بن نوح)، فقد جاء في التوراة: «وَسَامٌ أَبُو كُلِّ بَنِي عَابِرَ وُلِدَ لَهُ أَيْضاً بَنُونَ. بَنُو سَامَ: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ. وَبَنُو أَرَامَ: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ. وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ وَوَلَد شَالَحُ عَابِرَ وَوَلَد عَابِرُ فَالَجَ وَوَلَدَ فَالَجَ رَعُوَ وَوَلَدَ رَعُو سَرُوجُ وَوَلَدَ سَرُوجُ نَاحُورَ وَوَلَدَ نَاحُورَ تَارَحَ. وَوَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. (يراجع سفر التكوين: الإصحاح ١١،٠١). وفي موضع آخر من التوراة في (سفر التثنية) نحد كتبة التوراة ينسبونه إلى (أرام بن سام بن نوح) أخو (أرفكشاد بن سام بن نوح) عندما يكتبوا على لسانه: «أَرَامِيّاً تَائِهاً كَانَ أَبِي». (التثنية: 5/26). فأي النسبين الصحيح؟!.

لذلك سنخالف ما درج عليه المؤرخون والكتاب عند ذكر إبراهيم عليه السلام وبني إسرائيل واليهود من بعده، ونبدأ بتحديد نسبه العربي منذ ولادته، وكذلك أن الذي دفع عرب فلسطين أبناء عمومة بني إسرائيل إلى كراهيتهم وعدم الترحيب بهم أو بجوارهم، ومحاربتهم لهم، راجع إلى ما طُبع عليه بنو إسرائيل من طباع سيئة، وأخلاق عدوانية، منذ فجر تاريخهم، وقصتهم مع أخويهم من أبيهم يوسف وبنيامين حسب تسمية التوراة معروفة، فإن كان حقدهم وكراهيتهم وغيرتهم من أخويهم الأصغرين وصلت ذلك الحد فكيف ستكون من غيرهما، خاصة إذا ما علمنا أن القبائل العربية التي سكنت فلسطين كانت أكثر منهم تقدماً وحضارة و إدارة؟!.

إننا نرى أن الرأي الراجح عن أصل إبراهيم عليه السلام هو الذي يقول: أنه من قبيلة عربية الأصل (الآراميين)، هاجرت إلى بلاد الشام والعراق مع الهجرة الآرامية في الألف الثالث قبل الميلاد، وأن قسم منها سكن القسم الجنوبي من العراق، وذلك في العهد الآموري الذي أسس دولة بابل الأولى التي كان من أشهر ملوكها حمورابي. وقد ولد إبراهيم عليه السلام في بدايات القرن التاسع عشر قبل الميلاد ـ على أقرب التواريخ للصحة ـ ونشأ في مدينة أور بابل الواقعة في القسم الجنوبي من العراق. فقد جاء في التوراة نص قريب من ذلك عن أصل نسب إبراهيم عليه السلام، يتوافق مع الدراسات النقدية وما أثبته علم الآثار، وهو: «آرامياً تائهاً كان أبي» (سفر التثنية: ٥/٥٦).

فقد بات معلوماً: أنه كان الأموريون في مبدأ الأمر في شمال سوريا، ثم أخذوا ينتشرون بعد ذلك في مناطقها الوسطى وعلى الشاطئ حتى وصلوا إلى فلسطين، وانتشروا نحو الشرق واستقروا في مناطق ذات حضارة قديمة. وأسسوا دولة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العراق، ونشأت فيها أُسرة مدينة بابل حوالي عام ١٨٩٤ق.م، التي قدر لسادس ملوكها وهو الملك حمورابي الذي بدأ حكمه عام١٧٢٨ ق.م أن يوحد البلاد كلها تحت سلطانه وأن ينشئ الإمبراطورية الشامية الثانية وأن يخضع له كل الدويلات الأخرى مثل دولة ماري ولارسا وعيلام ووصل جنوباً إلى (الخليج الفارسي)[9]. كما هاجر الآراميون واستقرت قبائلهم في أعالي بلاد ما بين النهرين ومنطقة الفرات الأوسط وبلاد الشام وذلك في منتصف الألف الثاني ق.م، ومنهم قبيلة أقامت في جنوبي العراق[10]. ويقول بعض المؤرخين وعلماء الآثار أنه في تلك القبيلة ولد إبراهيم عليه السلام نحو عام ١٩٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م.

وكما اختلفت التوراة وتناقضت في نسب إبراهيم عليه السلام، فإنها تناقضت واختلفت أيضاً في علاقة إبراهيم بأبيه، وفي إن كان هاجر هو ووالده من أور بابل أم وحده! فقد جاء في التوراة: «وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ» (سفر التكوين: ٣١/١١). وكما أن هذا النص يتعارض مع ما ذكرته الدراسات النقدية وما أثبته علم الآثار من أن اسم كلدية نسبة إلى قبيلة كلدية العربية، التي هاجرت إلى جنوب العراق وأقامت فيها دولة بابل الثانية لم يظهر إلا في القرن الثامن قبل الميلاد، في حوليات آشور بنيبال (٨٨٤ – ٨٥٩ ق.م)، أي بعد مولد إبراهيم عليه السلام بأكثر من ألف سنة[11]، فإنه أيضاً يتناقض مع النص التوراتي الذي يقول: «وقال الرب لإبرام: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ.» (سفر التكوين: الإصحاح ١/١٢).

فأي النصين نُصدق؟! وأي النسبين نُصدق؟ وأي العهدين لنوح أيضاً تُصدق؟! ولكننا سنُصدق ما ذكره القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه.

9 أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، أُكتوبر ١٩٦٣، ص٣٤.
10 عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة، ص٦١.
11 روجيه جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة قصي أتاسي – ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، طبعة عام ١٩٩١، ص ٣٦–٣٧.

والقرآن الكريم لم يذكر أن إبراهيم عليه السلام هاجر من بلاده ومعه أبيه، لأن أبيه لم يكن على دينه الذي دعا إليه قومه، حيث أن إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد،

و إلى توحيد الخالق وترك عبادة الأصنام والأوثان والآلهة المتعددة التي كانوا يعبدونها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. {الأنعام: الآية ٧٤}. وعندما ضاق أبا إبراهيم بدعوة ابنه له وعجز عن رده إلى عبادة الأصنام قال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾. {مريم: الآية ٤٦}. وهذا دليلٌ على عدم صحة النص الأول في التوراة وصحة النص الثاني، والتأكيد على أن إبراهيم هاجر من غير أبيه إلى أرض محددة، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾. {الأنبياء: الآيات من٧١-٧٥}.

وقد هاجر إبراهيم عليه السلام وزوجه (سارة) وابن أخيه (لوط) والعدد القليل الذي آمن معه من العراق إلى فلسطين والشام ابتغاء إظهار الدين والتمكن من نشره. وساروا مع طريق القوافل حتى وصلوا «حران» مدينة شمال الهلال الخصيب تقع على إحدى أفرع الفرات و إلى القرب من تل الخلف. وهي مدينة تجارية واقعة على طريق القوافل بين بابل وسواحل البحر المتوسط. وقد مكث في حران فترة من الزمن ثم تركها ومن معه مهاجراً إلى فلسطين وبعد عبور نهر الأردن واصل إبراهيم سيره إلى فلسطين حتى نزل مدينة «شكيم» نابلس. ثم رحل عنها متنقلاً في أرض فلسطين إلى أن استقر به المقام في مدينة بئر السبع، ويقال في الخليل. أما لوط عليه السلام فقد نزل قرية «سدوم» قرب البحر الميت.

ومن يرجع إلى قصة إبراهيم عليه السلام في التوراة لن يجد أي ذكر للقدس فيها حتى يكون لها تلك المكانة المقدسة في عقيدتهم، تلك الخرافة التي أوهم اليهود بها العالم ويحاولون تثبيتها في أذهانهم حقيقة لا خيال! كما أنه لن يجد في القصة أي ذكر للمعبد أو (الهيكل)، وسيكتشف أن إبراهيم عليه السلام لم يبنِ هيكلاً ولكنه بنى ـ بحسب زعم التوراة ـ مذبحاً للرب في شكيم «نابلس» وليس في القدس. فقد ذكر (سِفر التكوين:١٢/٦-٨)، أنه بعد أن وصل إبراهيم وزوجه سارة، وابن أخيه لوط إلى فلسطين: [٦]وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. [٧]وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ.

٨ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلَ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ٩ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ».

نفهم من النص: أن التوراة تعترف أن العرب (الكنعانيين) هم سكان الأرض الأصليين قبل أن يدخلها إبراهيم عليه السلام، لذلك لم أحاول أن أُثبت أن فلسطين كانت تسكنها قبائل عربية قبل قدوم إبراهيم إليها[12]*. كما يتضح من النص أن إبراهيم لم يبنِ هيكلاً في بيت المقدس، ولكنه بنى مذبحاً في شكيم، وآخر فيما بين عاي وبيت إيل، وبيت إيل منطقة بجوار نابلس وليست بجوار القدس. وفي حال كانت مزاعم اليهود الصهاينة صحيحة فإنه يُفترض بهم أن يكون التقديس لشكيم أو بيت إيل وليس للقدس؟!.

أما عن علاقة إبراهيم بالقدس لا يوجد سوى نص واحد في التوراة لم يحدد الزمن الذي زار فيه إبراهيم القدس، أو إن كانت الزيارة إليها لقداستها ومكانتها عند الله، أو أنها زيارة عادية[13]*؟! يقول: «وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهُ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لأَبْرَامَ: «أَعْطِنِي النُّفُوسَ، وَأَمَّا الأَمْلاَكَ فَخُذْهَا لِنَفْسِكَ». قَالَ أَبْرَامُ لِمَلِكِ سَدُومَ: «رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ الإِلهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» (سِفر التكوين:١٤/١٢،٢٠). والنص جاء في التوراة على لسان (ملكي صادق) ملك القدس (يبوس) آنذاك. وتذكر المصادر التاريخية والتوراة أن المكان الذي بارك فيه ملكي صادق إبراهيم عليه السلام كان هو نفس المكان الذي تُقام عليه الصخرة المشرفة الآن، «وأن مذبح الصخرة القدي – حتى قبل بناء المعبد حولهمنذ مئات السنين - كان يُعتبر أهم مكان للعبادة ليس فقط لكل الأقوام التي سكنت أرض كنعان و إنما كذلك للعمونيين الذين كانوا يسكنون شرقي نهر الأردن وبمجرد إعادة بناء الهيكل بدأت كل هذه الأقوام – بما فيهم اليه – زيارة القدس للعبادة»[14]. كما أن التوراة لم تذكر لنا شيء عن حقيقة العلاقة بين إبراهيم عليه السلام والرجل الصالح ملكي صادق الذي باركه، ولا عن معرفة اليبوسيين لله باسم «العلي»، ذلك الاسم الذي جعل علماء الآثار والأديان يقولون: أن اليبوسيين أقدم الشعوب التي عرفت عبادة الله وعقيدة التوحيد؟!.

12 علماً أن إبراهيم هو الآخر عربي العرق، إذا اعتبرنا أن القبائل التي هاجرت من جنوب ووسط أو شرق الجزيرة العربية وغمرت كل أجزاء الجزيرة العربية الشمالية (بلاد الشام والهلال الخصيب) هي قبائل عربية، نسبة إلى موطنها الأصلي، خاصة وأن إبراهيم كما سبق أن أوضحنا عربي العرق على أرجح الأقوال. «الكاتب».

13 علماً أنه هناك من شكك في صحة الرواية ونفى زيارة إبراهيم عليه السلام لمدينة يبوس ولقائه بالملك (ملكي صادق)، وأن ملكي صادق رواية مختلقة!

14 خالد محمد غازي، القدس سيرة مدينة دراسة وشهادات، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص٩٤.

و إذا أردنا الاجتهاد في تفسير ذلك؛ نقول: إما أن يكون ملكي صادق قد آمن بالله على يد إبراهيم عليه السلام، وعبر له عن امتنانه بذلك مستعملاً الاسم الذي تعلمه من إبراهيم.

أو أن يكون ملكي صادق من أتباع نبيي الله هود أو صالح عليهما السلام، اللذان هاجرا إلى فلسطين حاملين معهما عقيدة التوحيد بعد أن حل عذاب الله بقوميهما الكافرين؟ لا سيما وأن المصادر التاريخية الإسلامية تشير إلى أن «صالح عليه السلام ومن آمن معه، خرجوا إلى بلاد الشام حيث نزلوا المنطقة من الحِجر إلى قرح أي نحو وادي القرى (وهي مدائن صالح الحالية) إلى رملة فلسطين على ١٨ (ثمانية عشر) ميلاً بين الحجاز والشام»[15].

٢.(الهيكل) أو المعبد زمن أنبياء بني إسرائيل إلى داود

لم تذكر التوراة ما يدل على أن نبي الله إسحاق عليه السلام قد بنى معبداً للإله، ولكنها ذكرت أن خلافاً حدث بين ابني إسحاق عيسو ويعقوب؛ هرب بعده يعقوب إلى خاله لابان الذي بأرض حران: «[10]فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ. [11]وَصَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَاضْطَجَعَ فِي ذلِكَ الْمَكَانِ. [12]وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. [13]وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. [14]وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. [15]وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ. [16]فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!». [17]وَخَافَ وَقَالَ: «مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ». [18]وَبَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ وَأَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي وَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَأَقَامَهُ عَمُودًا، وَصَبَّ زَيْتًا عَلَى رَأْسِهِ. [19]وَدَعَا اسْمَ ذلِكَ الْمَكَانِ «بَيْتَ إِيلَ»، وَلكِنِ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً كَانَ لُوزَ» (سِفر التكوين: ٢٨/١٠-١٩). وبعد عودته من أرض خاله وصُلحه مع أخيه عيسو، أمره الرب أن يشيد مذبحاً له في بيت إيل: «[1]ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: «قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتَ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ». (سِفر التكوين:٣٥/١).

15 سعد زغلول عبد الحميد «دكتور»، في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ص٢٠٢.

وقد رُزق يعقوب عليه السلام باثني عشر ولداً منهم الابن قبل الأخير واسمه يوسف الذي أصبح عزيز مصر، ونقل إليه أبواه و إخوته، وأقاموا فيها. وعندما توفى يعقوب عليه السلام أوصى بأن يُدفن في فلسطين بجوار آبائه إسحاق و إبراهيم في قطعة الأرض التي اشتراها إبراهيم (مغارة المكفيلة)، وهذه المغارة تقع في الخليل وليس في القدس. أما يوسف بن يعقوب فقد أوصى أن يُدفن في شكيم المجاورة لبيت إيل: [٥٢]وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: «اللهُ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا». [٦٢]ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشَرِ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ» (سفر التكوين: ٥٠/٢٥-٢٦). وفي زمن موسى عليه السلام وخروج بني إسرائيل من مصر: «[٩١]وَأَخَذَ مُوسَى عِظَامَ يُوسُفَ مَعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اسْتَحْلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَلْفٍ قَائِلاً: «إِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا مَعَكُمْ» (سِفر الخروج: ١٣/١٩). ودَفن بنو إسرائيل عظام يوسف التي نقلوها معهم من مصر إلى شكيم، في قطعة الأرض التي اشتراها يعقوب.

استمر بنو إسرائيل في مصر إلى عهد موسى عليه السلام الذي أمره الله أن يخرج ببني إسرائيل من مصر إلى الأرض المباركة فلسطين، وكما نعلم أن بني إسرائيل عصوا أوامر ربهم في دخول فلسطين، وتُخبر التوراة أن موسى عليه السلام وأخوه هارون ماتا قريباً من الأرض المقدسة ولم يدخلاها، ولشدة حبهما لها أوصيا بأن يدفنا قريباً منها: «[١]وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ إِلَى دَانَ، [٢]وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضَ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى، وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ، [٣]وَالْجَنُوبَ وَالدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى صُوغَرَ. [٤]وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لاَ تَعْبُرُ». [٥]فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. [٦]وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» (سِفر التثنية:٣٤/١-٦).

وتذكر التوراة أن الرب أمر موسى أن يبني له مذبحاً من تراب أو حجارة بشرط أن لا تكون الحجارة منحوتة تُقدم فيه القرابين إليه «[٢٢]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنِّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ.

[٣٢]لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ، وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ. [٤٢]مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلاَمَتِكَ، غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ. فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لاسْمِي ذِكْرًا آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ. [٥٢]وَإِنْ صَنَعْتَ لِي مَذْبَحًا مِنْ حِجَارَةٍ فَلاَ تَبْنِهِ مِنْهَا مَنْحُوتَةً. إِذَا رَفَعْتَ عَلَيْهَا إِزْمِيلَكَ تُدَنِّسُهَا. [٦٢]وَلاَ تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ»(سِفر الخروج:٢٠/٢٢-٢٦).

ويحدد الموضع الذي على بني إسرائيل أن يبنوا عليه المذبح: «[٦٢]»اُنْظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً: [٧٢]الْبَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. [٨٢]وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. [٩٢]وَإِذَا جَاءَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، فَاجْعَلِ الْبَرَكَةَ عَلَى جَبَلِ جِرِزِّيمَ، وَاللَّعْنَةَ عَلَى جَبَلِ عِيبَالَ. [٣٠]أَمَا هُمَا فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، وَرَاءَ طَرِيقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي الْعَرَبَةِ، مُقَابِلَ الْجِلْجَالِ، بِجَانِبِ بَلُّوطَاتِ مُورَةَ؟ [١٣]لأَنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ لِتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُكُمْ يُعْطِيكُمْ. تَمْتَلِكُونَهَا وَتَسْكُنُونَهَا. [٢٣]فَاحْفَظُوا جَمِيعَ الْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ لِتَعْمَلُوهَا» (سِفر التثنية:١١/٢٦-٣٢). والجبلان يقعان في شكيم (نابلس).

وقد تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى، واستطاع دخول أريحا بهم، ولكن بسبب معصيتهم أَمْر الله أثناء الدخول حَرَمَ عليهم سكناها: «[٦٢]وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: «مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا» (سِفر يشوع:٦/٢٦). وكل ما جاء له علاقة بالمقدس في التوراة في عهده؛ هو الحديث عن تابوت الرب: «[٣]وَأَمَرُوا الشَّعْبَ قَائِلِينَ: «عِنْدَمَا تَرَوْنَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَالْكَهَنَةَ اللاَّوِيِّينَ حَامِلِينَ إِيَّاهُ، فَارْتَحِلُوا مِنْ أَمَاكِنِكُمْ وَسِيرُوا وَرَاءَهُ. [٤]وَلكِنْ يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَسَافَةٌ نَحْوُ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ بِالْقِيَاسِ. لاَ تَقْرُبُوا مِنْهُ لِكَيْ تَعْرِفُوا الطَّرِيقَ الَّذِي تَسِيرُونَ فِيهِ. لأَنَّكُمْ لَمْ تَعْبُرُوا هذَا الطَّرِيقَ مِنْ قَبْلُ». [٥]وَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: «تَقَدَّسُوا لأَنَّ الرَّبَّ يَعْمَلُ غَدًا فِي وَسَطِكُمْ عَجَائِبَ». [٦]وَقَالَ يَشُوعُ لِلْكَهَنَةِ: «احْمِلُوا تَابُوتَ الْعَهْدِ وَاعْبُرُوا أَمَامَ الشَّعْبِ». فَحَمَلُوا تَابُوتَ الْعَهْدِ وَسَارُوا أَمَامَ الشَّعْبِ». (سِفر يشوع:٣/٣-٦).

أما مكان بناء المذبح فقد خالف يشوع أمر الرب الذي أمر كما تقدم ببناء المذبح على جبل جزريم الذي باركه وبناه على جبل عيبال الذي لعنه الله: «[٣٠]حِينَئِذٍ بَنَى يَشُوعُ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ فِي جَبَلِ عِيبَالَ، [٣١]كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ تَوْرَاةِ مُوسَى.

مَذْبَحَ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ عَلَيْهَا حَدِيدًا، وَأَصْعَدُوا عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ» (يشوع:٨/٣٠).

واستقروا بنو إسرائيل في مناطق التلال الداخلية الفلسطينية إلى زمن داود عليه السلام، ولم يثبت أنه كان لهم معبد ولا مذبح مقدس ولا علاقة مقدسة بالقدس، وكل ما ذكرته التوراة هو حديث عن خيمة الرب التي يُوضع فيها تابوت العهد في حلهم وترحالهم، وحربهم وسلمهم، وقد غَنِمه منهم الفلسطينيون بعد أن هزموهم في إحدى المعارك. وفي عهد نبيهم صموئيل طلبوا منه أن يُعين عليهم ملكاً، فاختار لهم شاؤول (طالوت) ملكاً وقد اعترضوا عليه ثم قبلوا به. (سِفر صموئيل الأول الإصحاح ٨). وفي نفس السِفر حديث طويل عن صراع دار بين شاؤول وداود، انتهى بتولي داود عليه السلام قيادة بني إسرائيل.

يتضح مما سبق أنه لا يوجد ذكر لا للقدس أو الهيكل ولا المقدس في حياة وتاريخ أنبياء بني إسرائيل الأوائل، ولا يوجد نص محدد يأمر بإقامة معبد مقدس أو مكان عبادة للرب في بقعة ما، وخاصة القدس، ولكن تم ذكر إقامة المذبح في أماكن بعيدة عن القدس في شكيم أو بيت إيل! وأنه كان أول ذكر للمقدس في التوراة في حياة موسى، حيث بدأ تركيز كتبة التوراة على ذِكر الخيمة التي يوضع فيها تابوت العهد وبقايا ألواح الشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام، وبعض آثار آل موسى تُنقل معهم من مكان لآخر في حلهم وترحالهم وحربهم وسلمهم.

٣ـ (الهيكل) أو المعبد زمن نبيا الله داود وسليمان[١٦]*

بالعودة إلى كتاب التوراة المُحرفة يتبين لنا أنه لم يكن هناك أي أمر إلهي لداود عليه السلام بدخول القدس، أو إقامة معبد للإله فيها، كما أن المدينة لم تكن تعني لداود أي معنى ديني، وأنه عندما ذهب إلى اليبوسيين وطلب منهم دخول القدس ورفضوا تحول عنها إلى (حصن صهيون):

16 نؤكد من البداية أننا ننزه رب العالمين وأنبياءه ورُسُله عليهم أفضل الصلاة والسلام مما سننقله عن التوراة مما لا يليق وصفهم به، ولكن مضطرين لاقتباس ذلك لنناقشه ونُجلي الحقيقة. كما أنه لكثرة تناقضات روايات كتبة التوراة حول القدس والهيكل زمن داود وسليمان عليهما السلام، سوف نناقش الأمر بعيداً عن الجدل والتناقض المذكور، وبما يخدم سياق البحث.

«٦وَذَهَبَ الْمَلِكُ وَرِجَالُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ. فَكَلَّمُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لاَ تَدْخُلْ إِلَى هُنَا، مَا لَمْ تَنْزِعِ الْعُمْيَانَ وَالْعُرْجَ». أَيْ لاَ يَدْخُلُ دَاوُدُ إِلَى هُنَا. ٧وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ» (سِفر صموئيل الثاني:٥/٦-٧).

ويذكر الأستاذ حسن الباش أن: حصن صهيون يُذكر اسمه لأول مرة في تاريخ هذه المدينة ولم تحدد التوراة موقعاً محدداً لهذا الحصن ويُرجح بعض المؤرخين أنه جبل الزيتون: «إننا نلاحظ إقحام كلمة صهيون على النص وهذه الكلمة غير موجودة لا في الجغرافية أو التاريخ. هناك مدينة اسمها القدس أو مدينة السلام والجبال المحيطة بها معروفة أسماؤها من قِبل أصحابها الأصليين. وليس لكلمة صهيون أية علاقة بأي جبل في ظاهر المدينة. وهو اسم مصطنع مخترع أطلقه كتبة التوراة على جبل الزيتون. وهو يخص اليبوسيين ولا يخص أحداً سواهم»[17].

أما المقدس الذي كان لبني إسرائيل آنذاك (تابوت العهد) فلم ينقله داود عليه السلام إلى مدينته الجديدة بأمر من الرب، ولكنه وضعه في بيت عوبيد آدوم الجتي ولم ينقله إلى مدينة داود إلا بعد ثلاثة أشهر من بقائه في بيت عوبيد الجتي: «١٠وَلَمْ يَشَأْ دَاوُدُ أَنْ يَنْقُلَ تَابُوتَ الرَّبِّ إِلَيْهِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ، فَمَالَ بِهِ دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ الْجَتِّيِّ. ١١وَبَقِيَ تَابُوتُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ الْجَتِّيِّ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ. وَبَارَكَ الرَّبُّ عُوبِيدَ أَدُومَ وَكُلَّ بَيْتِهِ» (صموئيل الثاني:٦/١٠-١١). ذلك ما كان عن تابوت الرب فماذا عن البيت أو هيكل الرب؟ ورد في (سِفر صموئيل الثاني:٧/١-١٤):

«١وَكَانَ لَمَّا سَكَنَ الْمَلِكُ فِي بَيْتِهِ، وَأَرَاحَهُ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ، ٢أَنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِنَاثَانَ النَّبِيِّ: «انْظُرْ. إِنِّي سَاكِنٌ فِي بَيْتٍ مِنْ أَرْزٍ، وَتَابُوتُ اللهِ سَاكِنٌ دَاخِلَ الشُّقَقِ». ٣فَقَالَ نَاثَانُ لِلْمَلِكِ: «اذْهَبِ افْعَلْ كُلَّ مَا بِقَلْبِكَ، لأَنَّ الرَّبَّ مَعَكَ». ٤وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلاً: ٥»اِذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِسُكْنَايَ؟ ٦لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمَ أَصْعَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَسْكَنٍ. ٧فِي كُلِّ مَا سِرْتُ مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

17 حسن مصطفى الباش، القدس بين رؤيتين هل تحسم النبوءات الصراع، درا قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٥٢، ٥٣.

هَلْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ إِلَى أَحَدِ قُضَاةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَرْعَوْا شَعْبِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: لِمَاذَا لَمْ تَبْنُوا لِي بَيْتًا مِنَ الأَرْزِ؟ [٨]وَالآنَ فَهكَذَا تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. [٩]

وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا عَظِيمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ. [١٠]وَعَيَّنْتُ مَكَانًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ، فَسَكَنَ فِي مَكَانِهِ، وَلاَ يَضْطَرِبُ بَعْدُ، وَلاَ يَعُودُ بَنُو الإِثْمِ يُذَلِّلُونَهُ كَمَا فِي الأَوَّلِ، [١١]وَمُنْذُ يَوْمَ أَقَمْتُ فِيهِ قُضَاةً عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ. وَالرَّبُّ يُخْبِرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا. [٢١]مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. [٣١]هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ».

ولم يحدد الرب أي من أبناء داود الذي سيبني ذلك المعبد ويبدو أن كتبة التوراة هم الذين حددوا اسم الابن على ما يظهر من النص التالي، كما أن كلمة هيكل لم تُستعمل في الإشارة إلى بيت الرب أو المذبح: «[٦]وَدَعَا سُلَيْمَانَ ابْنَهُ وَأَوْصَاهُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا لِلرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. [٧]وَقَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ: «يَا ابْنِي، قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِي. [٨]فَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: قَدْ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرًا وَعَمِلْتَ حُرُوبًا عَظِيمَةً، فَلاَ تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لأَنَّكَ سَفَكْتَ دِمَاءً كَثِيرَةً عَلَى الأَرْضِ أَمَامِي. [٩]هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ، لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ. فَأَجْعَلُ سَلاَمًا وَسَكِينَةً فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. [١٠]هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي» (أخبار الأيام الأول:٢٢/٦-١٠).

كما أن التوراة تتناقض في إن كان البيت مكان عبادة ومذبح خاص لسليمان وأسرته فقط، أو إن كان مكان عبادة عام لبني إسرائيل[18]*. فقد جاء في (سِفر الملوك الأول:٨/٦٢-٦٦) أن المذبح لم يتسع لمحروقات وذبائح سليمان وحده: «[٤٦]فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَدَّسَ الْمَلِكُ وَسَطَ الدَّارِ الَّتِي أَمَامَ بَيْتِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَرَّبَ هُنَاكَ الْمُحْرَقَاتِ وَالتَّقْدِمَاتِ وَشَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ، لأَنَّ مَذْبَحَ النُّحَاسِ الَّذِي أَمَامَ الرَّبِّ كَانَ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَسَعَ الْمُحْرَقَاتِ وَالتَّقْدِمَاتِ وَشَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ» ـ يبدو أن هذا كان النص الأصلي ولكن كتبة التوراة كعادتهم أضافوا إضافات للنص ليجعلوا من المذبح الخاص بسليمان مذبحاً لجميع اليهود،

18 سيأتي معنا عند الحديث عن الهيكل في القرآن؛ أن المذكور عنه أنه مكان عبادة خاص لداود وسليمان عليهما السلام وليس مكاناً عاماً لكل أتباعهما.

فأضافوا قبله: «[٣٦]ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ ذَبَحُوا ذَبَائِحَ أَمَامَ الرَّبِّ، [٣٦]وَذَبَحَ سُلَيْمَانُ ذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ الَّتِي ذَبَحَهَا لِلرَّبِّ». كما أضافوا بعده: «[٥٦]وَعَيَّدَ سُلَيْمَانُ الْعِيدَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، جُمْهُورٌ كَبِيرٌ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا». كما أننا إذا ما رجعنا إلى وصايا داود لسليمان قبل موته، والوصية مذكورة في (سِفر الملوك الأول:٢)، فإننا لا نجد أي ذكر أو توصية لقدسية القدس أو المعبد (الهيكل المزعوم) في تلك الوصية، وذلك يرجح أن البيت كان مكان عبادة خاصاً بسليمان وأهل بيته فقط ولم يكن مكان عبادة عام لجميع بني إسرائيل.

٤. بناء (الهيكل) تكفيراً لخطايا داود

كما تخبرنا التوراة في سِفر آخر رواية مختلفة عن أسباب بناء داود عليه السلام مذبحاً للرب وليس (هيكلاً)، أن داود أجرى إحصاءاً عددياً لأسباط بني إسرائيل وسكان القدس «وَضَرَبَ دَاوُدَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا عَدَّ الشَّعْبَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ: «لَقَدْ أَخْطَأْتُ جِدًّا فِي مَا فَعَلْتُ، وَالآنَ يَا رَبُّ أَزِلْ إِثْمَ عَبْدِكَ لأَنِّي انْحَمَقْتُ جِدًّا». [١١]وَلَمَّا قَامَ دَاوُدُ صَبَاحًا، كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى جَادٍ النَّبِيِّ رَائِي دَاوُدَ قَائِلاً: [١٢]«اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلاَثَةً أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِدًا مِنْهَا فَأَفْعَلَهُ بِكَ». [١٣]فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ، أَمْ تَهْرُبُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتْبَعُونَكَ، أَمْ يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَبَأٌ فِي أَرْضِكَ؟ فَالآنَ اعْرِفْ وَانْظُرْ مَاذَا أَرُدُّ جَوَابًا عَلَى مُرْسِلِي». [١٤]فَقَالَ دَاوُدُ لِجَادٍ: «قَدْ ضَاقَ بِيَ الأَمْرُ جِدًّا. فَلْنَسْقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ كَثِيرَةٌ وَلاَ أَسْقُطْ فِي يَدِ إِنْسَانٍ». [١٥]فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل. [١٦]وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ». وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ. [١٧]فَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّبَّ عِنْدَمَا رَأَى الْمَلاَكَ الضَّارِبَ الشَّعْبَ وَقَالَ: «هَا أَنَا أَخْطَأْتُ، وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي». [١٨]فَجَاءَ جَادُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «اصْعَدْ وَأَقِمْ لِلرَّبِّ مَذْبَحًا فِي بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ» ... فَاشْتَرَى دَاوُدُ الْبَيْدَرَ وَالْبَقَرَ بِخَمْسِينَ شَاقِلاً مِنَ الْفِضَّةِ. [٢٥]وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ» (صموئيل الثاني:٢٤/١٠-٢٥).

تلك هي أول إشارة في التوراة إلى العلاقة ما بين داود والقدس. ويحق لنا أن نسأل مع حسن الباش: «أين المقدس الإلهي الذي تمتزج فيه الإرادة الإلهية بالاختيار الجغرافي. هل هناك تصور إلهي لجغرافية المكان الذي قَصد إليه داود ليكون ذا علاقة مهمة به؟»[19]. والملاحظ من النص أن داود بنى مذبحاً وليس هيكلاً ولا نعرف كيف أصبح المذبح هيكلاً؟! وأن الرب لم يحدد له مكان المذبح ولا المكان الذي يجب أن يتم الذبح فيه، وأن فكرة المذبح كانت من جاد رائي داود، ليرفع الرب غضبه عن إسرائيل الذي أنزله بهم بسبب ذلك الإحصاء الذي أجراه داود.

وبعد أن أكمل سليمان البناء ولكي يعطي لهذا البيت طابع القداسة عند بني إسرائيل دعا شيوخ بني إسرائيل ورؤساء الأسباط ليشاركوا في وضع تابوت العهد في هذا البيت الذي تم بناءه، (سِفر ملوك الأول:/٨/١-١٣): «[1]حِينَئِذٍ جَمَعَ سُلَيْمَانُ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ رُؤُوسِ الأَسْبَاطِ، رُؤَسَاءَ الآبَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ فِي أُورُشَلِيمَ، لإِصْعَادِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ، هِيَ صِهْيَوْنُ. [2]فَاجْتَمَعَ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ جَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعِيدِ فِي شَهْرِ أَيْثَانِيمَ، هُوَ الشَّهْرُ السَّابِعُ. [3]وَجَاءَ جَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَحَمَلَ الْكَهَنَةُ التَّابُوتَ. [4]وَأَصْعَدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَخَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ مَعَ جَمِيعِ آنِيَةِ الْقُدْسِ الَّتِي فِي الْخَيْمَةِ، فَأَصْعَدَهَا الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ ... [21]حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: «قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. [31]إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ». وأخيراً دخل الرب إلى بيته واستراح بعد عناء طويل ابتدأ منذ خروج بني إسرائيل من مصر، وقرر الرب ألا يغادره أبداً.

كما ورد في (المزمور ١٣٢، ترنيمة المصاعد ١٣،١٤) إشارة لاختيار الرب للقدس مسكناً له: «[31]لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ. اشْتَهَاهَا مَسْكَنًا لَهُ: [41]»هذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ. هُهُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا». فلو كان كلام الرب صحيحاً فلماذا شرد نفسه منها بغضبه على (شعبه المختار)؟! ولماذا هَدم بيته (الهيكل المزعوم) ليندم على ذلك ويقضي بقية عمره هائماً على وجهه فوق الغيوم والسحاب وفي المطر والبرد ونادماً باكياً لفعلته هذه؟!.

19 حسن الباش، مرجع سابق، ص٥٢.

وكما هي عادة رب بني إسرائيل أن يشترط على أنبيائه وشعبه المختار لقبول ذبائحهم وتقدماتهم شروطاً، لذلك اشترط على سليمان أن يسير سيرة أبيه وأن يعمل بحسب الوصايا وأحكام الشريعة وأن يُخلص العبادة له،

ويزعم كتبة التوراة أن سليمان و(شعب الله المختار) لم يلتزموا شرط الرب وعصوا وأعرضوا عن الشريعة والوصايا، وأن سليمان حول بيت الرب وجعله بيتاً لآلهة زوجاته الكنعانيات والعمونيات والأدوميات والصيدونيات والحثيات... ، ما أغضب الرب على سليمان لنقضه العهد وتوفى سليمان والرب غاضب عليه وبيته تُعبد فيه آلهة أخرى. (سِفر ملوك الأول:١١/): «[١]وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ [٢]مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. [٣]وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. [٤]وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. [٥]فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. [٦]وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ».

فلو كان لهذا البيت تلك القداسة التي يدعيها اليهود لَما ارتكبت فيه كل تلك المعاصي، ومعاصٍ أُخرى يعف اللسان عن ذكرها، ذكرتها التوراة عن أنبياء الله عليهم السلام ـ حاشاهم أن يفعلوا مثلها ـ فما بالك بارتكابها في بيت الرب.

٥ـ (الهيكل) أو المعبد بعد داود وسليمان

بعد وفاة سليمان عليه السلام اختلف بنو إسرائيل فيما بينهم ولم يتفقوا على خليفة له، فانقسمت دولته إلى قسمين: مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة قرب نابلس وقد اختارت يربعام ملكاً عليها، ومملكة يهوذا في الجنوب والوسط وعاصمتها القدس وقد اختارت رحبعام ملكاً عليها.

كما تحدثنا التوراة أنه بعد سليمان أصبح هناك أكثر من هيكل وبيت مقدس للرب عند اليهود، فإلى جانب هيكل سليمان المزعوم في القدس، قام يربعام ببناء هيكل لسكان مملكة إسرائيل على جبل جزريم في نابلس، مدعياً أنه هو الجبل الذي أمر الرب أن يقيم له موسى عليه معبداً: «٤حِينَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ، تُقِيمُونَ هذِهِ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ فِي جَبَلِ عِيبَالَ، وَتُكَلِّسُهَا بِالْكِلْسِ» (سِفر التثنية:٤/٢٧). {مبدلاً النص عند السامريين إلى: «فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم»[٢٠]*.

فاختلفت التوراة في تحديد المكان الذي أمر الله موسى ببناء الهيكل عليه، ... وقد يكون وقع تحريف في إحدى النسختين «لأن الأمر يحتمل أن الله لم يأمر بهذا أبداً - و إلا لما جرأت إحداهما على القول بتحريف الأخرى - أو أنه أمر ببناء الهيكل ولكن ليس على هذا الجبل أو ذاك الجبل، فمن يؤكد صحة هذا القول إذا كان كل واحد منهما يبطل نص الآخر؟ وما دليل العصمة عن الخطأ في هذه التوراة أو تلك}؟»[٢١].

كما أن اختيار داود عليه السلام لجبل من جبال القدي ليبني عليه المعبد هو من باب الاستحسان وليس الإلزام، يقول حسن الباش: «هناك من يرى أن قبلة داود عليه السلام لم تكن على جهة الإلزام «لأن شريعة موسى أمرت اليهود أن لا يسمحوا لنبي منهم أن يُشرع لهم بشيء زائد عما في كتاب موسى، وقد جاء في (سِفر التثنية ٠١/٣٤): (١٠وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ). وهذا هو الدليل الذي يتذرع به يهود السامرة في رفض معبد داود. والحق معهم لأن داود متبع التوراة وليس مشرعاً. وهذا هو نفسه الدليل الذي يلتزم به السامريون في البعد عن تقديس هيكل جزريم لأن موسى لم يُقدس أي مكان»[٢٢]. كما أن سِفر إشعيا قد بشر بأنه سيُبنى هيكلاً رابعاً في مدينة هيليوبولس بمصر! تُرى أي الجبال التي أمر الله موسى عليه السلام أن يبني له عليه بيتاً، وأي الهياكل التي أمر الرب ببنائها، له حق القداسة؟!. كما أننا لا نجد في التوراة أن أحد أنبياء مملكتي اليهود أنكر على مَلِكه الصلاة والتوجه إلى الجبل الذي يُقام عليه معبد الرب الذي يدعي أنه هو الجبل الذي أمر الرب موسى أن يبني عليه بيته، فلو كان هيكل سليمان المزعوم هو المكان المقدس الوحيد من الرب؛ ما قَبِل أولئك الأنبياء المزعومين أيضاً بتقديس أي جبل أو معبد يُقام في مكان آخر.

20 وبالعودة إلى التوراة السامرية طبعة دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٧٨، وجدنا هذا النص في (سفر تثنية الاشتراع ٤/٢٧): «ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جريزيم وتشيدها بشيد». (الكاتب).
21 محمد شلبي اشتيوي «دكتور»، مقارنة الأديان التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح الكويتية، طبعة أولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص٨٩.
22 حسن الباش، مرجع سابق، ص٦٧.

٦ـ تدمير (الهيكل) والسبي البابلي

أضف إلى ذلك أن اليهود استمروا في عبادة الأوثان وتقديس آلهة الأقوام الأخرى التي كانت تسكن معهم في فلسطين، في معابد (يهوه) وبيت الرب (الهيكل)، ولم تكن يوماً معابد للإله (يهوه) وحده. والتوراة مليئة بالقصص التي تتحدث عن ذلك. فأين هي القداسة التي يدعيها اليهود للقدس و(الهيكل المزعوم). ولكثرة ما ارتكبه اليهود من معاصي في بيت الرب؛ تنبأ أنبيائهم بدمار مملكة يهوذا وخراب (الهيكل المزعوم)، وسرعان ما تحققت تلك النبوءات وسُبي اليهود إلى بابل على يد الملك البابلي سرجون عام ٥٩٨ ق. م.

وقد سمي بالسبي البابلي الأول. ثم عاد من بقي من اليهود في القدس وعصوا وغضب عليهم الرب وأنزل بهم عقابه المدمر على يد ملك البابليين نبوخذ نصر الذي دمر مملكة يهوذا نهائياً، ودمر القدس و(الهيكل المزعوم)، وسُبى بقية أشراف اليهود وكهنتهم إلى بابل وذلك عام ٥٨٦ ق. م. وقد سمي هذا بالسبي البابلي الثاني.

وقد عادوا من ذلك السبي أيام الحكم الفارسي لفلسطين، وقد اعتبر معظم علماء التوراة المحايدين أن عودة اليهود تلك إلى فلسطين تحقيقاً للنبوءة و إنجاز للوعد الإلهي «فالواقع التاريخي يؤكد أن النبوءات قد تحققت بفعل عودة اليهود من بابل ... فلا يمكن لنبوءات العودة أن تتحقق مرة ثانية، علماً بأن نصوص العهد القديم لا تتضمن أبداً أية نبوءة بصدد عودة ثانية بعد العودة الأصلية من السبي البابلي»[٢٣].

وفي عهد ملك الفرس (داريوس) طلبوا منه أن يسمح لهم بإعادة بناء (الهيكل المزعوم) في فلسطين، وأن يعيد لهم كل ما سلبه البابليون منه، وقد سمح لهم بذلك. وتؤكد التوراة هنا قداسة تلك الصخرة عند جميع القبائل العربية التي سكنت فلسطين وشرق الأردن، وأن تلك القبائل منعت اليهود العائدين من السبي البابلي من بناء (الهيكل) أكثر من مرة ما لم تشاركهم في بنائه، وقد تم بناء (الهيكل الثاني) ـ كما تدعي التوراة ـ بأمر من (روز بابل) على نفقة خزينة عبر الفرات التي كانت تتبع لها فلسطين إدارياً حلاً للإشكال:

23 القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، الأركان العامة، الشعبة الخامسة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص١٦٩.

(١وَلَمَّا سَمِعَ أَعْدَاءُ يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ أَنَّ بَنِي السَّبْيِ يَبْنُونَ هَيْكَلاً لِلرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ، ٢تَقَدَّمُوا إِلَى زَرُبَّابَلَ وَرُؤُوسِ الآبَاءِ وَقَالُوا لَهُمْ: «نَبْنِي مَعَكُمْ لأَنَّنَا نَظِيرَكُمْ نَطْلُبُ إِلهَكُمْ، وَلَهُ قَدْ ذَبَحْنَا مِنْ أَيَّامِ أَسَرْحَدُّونَ مَلِكِ أَشُّورَ الَّذِي أَصْعَدَنَا إِلَى هُنَا». ٣فَقَالَ لَهُمْ زَرُبَّابِلُ وَيَشُوعُ وَبَقِيَّةُ رُؤُوسِ آبَاءِ إِسْرَائِيلَ: «لَيْسَ لَكُمْ وَلَنَا أَنْ نَبْنِيَ بَيْتًا لإِلهِنَا، وَلكِنَّنَا نَحْنُ وَحْدَنَا نَبْنِي لِلرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ كَمَا أَمَرَنَا الْمَلِكُ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ». ٤وَكَانَ شَعْبُ الأَرْضِ يُرْخُونَ أَيْدِيَ شَعْبِ يَهُوذَا وَيُذْعِرُونَهُمْ عَنِ الْبِنَاءِ) [٢٤]*.والجدير ذكره هنا هو عدم قداسة الهيكل في عقيدة اليهود، وأنه ليس اختياراً إلهياً، حيث استنكر النبي إشعيا على اليهود العائدين من السبي البابلي باسم الرب إعادتهم بناء بيتاً له (الهيكل): «١هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ.

أَيْنَ الْبَيْتُ الَّذِي تَبْنُونَ لِي؟ وَأَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ ٢وَكُلُّ هذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي، فَكَانَتْ كُلُّ هذِهِ،..» (إشعيا:١/٦٦، ٢). فلو كان (الهيكل) مقدساً إلهياً ما كان أنكر إشعيا باسم الرب على اليهود العائدين من السبي البابلي إعادتهم بناء (الهيكل).

٧.بقية أنبياء الله يتنبئون بهدم (الهيكل)[٢٥]*

وكعادة اليهود في معصية الله استمر (الهيكل) بعد إعادة بنائه بعد العودة من السبي البابلي مكاناً يمارس فيه كهنة ورؤساء اليهود كل ما يُغضب الرب، وتذكر توراتهم أن أنبيائهم المتأخرين قد حذروهم من عواقب تلك الأفعال التي جعلت (الهيكل) ليس مكان عبادة للرب، ولكنه مغارة لصوص، من زكريا إلى يحيى إلى عيسى عليهم جميعاً السلام. وقد تنبأ عيسى عليه السلام بهدمه، وأخبر تلاميذه أنه لن يبقى منه حجراً على حجر: «٢فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:»أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هُهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!» (إنجيل متى:٢/٢٤).

وقد تحققت نبوءة عيسى عليه السلام في عام ٧٠ م، بعد أن قضى القائد الروماني (طيطس) على تمرد قام به اليهود في فلسطين وهدم وحرق (الهيكل) وأزاله من على وجه الأرض،

24 يُراجع سفر عزرا (الإصحاح ٤-٥).

25 نود التنويه إلى: أن استخدامنا كلمة هيكل لا نعني بها تلك الهياكل التي كانت شائعة ومعروفة في العالم القديم من حيث سعة المساحة وتعدد الأبنية والطرق الواسعة بينها والمتنزهات داخلها وغير ذلك، ولكن إشارة مجازية لمكاب عبادة ما قد يكون بناه داود أو سليمان عليهما السلام ولكن ليس هيكلاً بالمعنى الشائع، وقد يكون دمره طيطس وأدريانوس أثناء ثورات اليهود في العصر الروماني، ولكنه ليس بحجم يذكر ولم يكن على الصخرة المشرفة لأنه عندما فتحها المسلمون ونظفوها من الأتربة مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يكن هناك أي آثار لأي مبنى سابق قد يكون هدم! (الكاتب).

وحرث مكانه وزرعه. أما القائد الروماني (أدريانوس) بعد أن قضى على تمرد اليهود الثاني عام ١٣٥م، وطرد اليهود من فلسطين ومنعهم من سكناها وخاصة مدينة القدس، فقد دمر المدينة ومسحها عن وجه الأرض وحرثها وسواها بالأرض، وأعاد بناء مدينة جديدة مكانها وأسماها «إيليا كابتولينا». بعد ما تقدم نتساءل مع من تساءل: بعد كل هذا الخراب والحرق والهدم لـ(لهيكل المزعوم)، وعدم معرفة مصير المقدس الإلهي الوحيد في عقيدة وتاريخ اليهود «تابوت العهد»؛ إن كان حُرق في خراب (الهيكل) على يد نبوخذ نصر أو طيطس أو غيرهما ممن خربوا (الهيكل). فما قيمة إعادة بناء (الهيكل المزعوم) وتابوت العهد لن يوضع فيه؟ ما يعني أن رب اليهود سيبقى مشرداً وهائماً على وجهه في السماء والأرض وفوق الغيوم ولن يعرف الراحة، لأن راحته لا تكون إلا بوضع تابوت العهد في (الهيكل).

أم أن تابوت العهد تم استبداله بالعرش الذي سيقام في داخل (الهيكل) ويجلس عليه ملك من نسل داود ويحكم العالم؟! كما يحق لنا أن نسأل: كيف ومتى نشأت عقيدة (الهيكل المزعوم) في حياة وتاريخ اليهود؟

٨ـ السبي البابلي وعلاقته بتقديس (الهيكل)

هناك شبه اتفاق عند معظم المهتمين بتاريخ اليهود بأن التحول الذي حدث في عقيدة اليهود نحو تقديس ما يزعمون أنه (هيكل) سليمان قد حدث في المنفى البابلي. لأن السبي البابلي كان هو الأول من نوعه في تاريخ اليهود، حيث تم فيه تدمير «مملكة يهوذا» التي هي مناط الوعد في التوراة، وتهديم (الهيكل المزعوم)، وتشريد اليهود خاصة زعمائهم الروحيين وسلالة الأنبياء والملوك، لذلك لم يكن هذا الحدث مجرد حدث عادي في تاريخ اليهود، بل أصبح هو محور تاريخهم السياسي. فهناك في السبي البابلي وجد اليهود المسبيين «أنفسهم مضطرين اضطراراً إلى إعمال الفكر في صلتهم بـ(يهوه) وفي العهد القديم القائم بينه وبين شعبه وفي أسباب محنتهم. ثم راحوا يتخيلون لأنفسهم سبيلاً إلى مستقبل أفضل ووسيلة للخلاص من مثل هذه الكوارث التي حلت بهم. واعتبروا أن المحن التي مرت بها إسرائيل كان سببها عدم الوفاء بالعهد وأن الطريق إلى إرضاء الإله هو: الخضوع في عبادته لحرفية النصوص والتمسك بالشعائر المطلوبة في غير ما لين أو تحرر.

أي في الواقع إتباع شعائر غاية في الدقة والحرص تمنع تسرب أدنى نزعة إلى الوثنية. ويعود الفضل في تثبيت هذه الشعائر في تدعيم الاتجاه نحو مشروع محدد - قنن في صورة سايرت الرغبات الجديدة - إلى أنبياء المهجر، وعلى الأخص حزيقال»[٢٦].ولأنه كان أغلب الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل من رجال السياسة والدين والاقتصاد وقادة الجيش والحرفيين وملاك العبيد والمرابين والكهنة، وكان هؤلاء أشد اليهود حرصا على الكيان اليهودي وأكثرهم تعلقا بفكر صهيون وتعصبا له، فقد «بدأت تتشكل ملامح فكر ديني يهودي جديد، يجعل من القدس نقطة ارتكازه ومحوره، وتأخذ شكلاً صوفياً عند اليهود، وتحولت إلى رمز للوطن الضائع، كما تحرك فيه التعصب الطبقي لزعماء اليهود المنفيين إلى بابل الذي كان يشعرهم أنهم كانوا متميزون وحاكمون في فلسطين، لقد تحول هذا التعصب الطبقي إلى تعصب ديني وعنصري»[٢٧].

من خلال وضع الكتبة القانون أو الشريعة ليقوم بدور الجدار أو السور الذي يحفظ اليهود من الذوبان في غيرهم من المجتمعات الأخرى، والذي أجبرهم على العيش في أحياء خاصة بهم «أحياء الجيتو» أينما ذهبوا، يمكننا القول: «إن التمسك بالقانون هو المميز الكبير بين ما قبل المنفى وما بعده في الدين اليهودي»[٢٨].

كما شمل ذلك التحول أسس عقيدة اليهود وتصورها الميتافيزيقي عن نهاية العالم والأخرويات، بحيث أصبحت الآخرة ويوم القيامة في عقيدتهم تعني العودة إلى فلسطين، و إقامة (دولة اليهود)، و إعادة بناء (الهيكل المزعوم)، و إقامة كرسي العرش الذي سيجلس عليه ملك من نسل داود ويحكم العالم، ويجمع كل اليهود المنفيين والمشتتين في كل أصقاع الأرض في فلسطين، وتحاسب (إسرائيل) كل أمم الأرض على ما اقترفته في حقهم من جرائم وتبذير لثرواتها. وذلك ذكره سفر إشعيا في (الإصحاح من ٦ إلى ٩): «[٦]لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. [٧]لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا» (شعيا:٩).

26 شارل جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الإمام الأكبر الدكتور: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (بلا رقم الطبعة)، (بلا تاريخ طبع)، ص٣٢-٣٣.

27 رجاء جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة دار التراث، (بلا رقم الطبعة)، (بلا تاريخ طبع)، ص٥٣.

28 إسماعيل راجي الفاروقي «دكتور»، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مطبعة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص١٢.

٩. (الهيكل) والسيادة العالمية لليهود

أود التذكير هنا أن حديثنا نقصد به اليهودية الأرثوذكسية، يهودية الكتبة والفريسيين المعروفين في تاريخ اليهود بأنهم كانوا الأشد تعصباً وعنفاً ودموية من جميع الطوائف والجماعات اليهودية عبر التاريخ، وكانت ومازالت هي الأكبر والأكثر تأثيراً في تاريخهم وواقعهم، ومنها خرجت كل الجماعات التي طورت مفهوم وفكرة (الخلاص المسيحاني، المسيا) أو عقيدة المسيح المنتظر اليهودي، وتعرف عند مؤرخي الصهيونية بأنها هي الصهيونية.و إن القارئ للعهد القديم والمتأمل لمضمون أسفاره بحسب المفهوم الفريسي الصهيوني يجد أنها وضعت بطريقة تخدم مؤامرتهم وهدفهم المنشود وهو السيطرة على العالم، ويجد أن «كل هذه الكتب تنبأت بقيام مملكة (يهوه) حيث يسيطر اليهود على شؤون العالم (ويرثون الأمم)» إلى أن يقول (إشعيا٦٠/٢٠): «لا تغرب شمسك عن قمرك ولا نقص لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً وتكون أيام مناحتك قد انقضت ويكون شعبك كلهم صديقيين و إلى الأبد يرثون الأرض».

وترى أسفارهم أن يوم القيامة هو يوم قيام دولة اليهود ودخول مسيحهم (الهيكل) حيث يتم لهم السيطرة على العالم وسحق قوة (الجوييم)»[٢٩].

وتقول «الموسوعة العبرية» أمام كلمة «الإيمان بالأخرويات»: «إن تحطيم جيوش يأجوج ومأجوج لا يعني كما قال (ويبر) خطأ إبادة عالم الجوييم عند انتهاء عهد المسيح المنتظر، بل إفناء كل سلطة وبلد تُعارض ملك (يهوه) وتحقيق عهد المسيح المنتظر والشعوب التي ستخضع عندئذ للشريعة ستبقى على قيد الحياة.. وهكذا «يكون في كل الأرض يقول الرب إن ثلثين منها ينقرضان ويضمحلان والثلث يُستبقى فيها» (زكريا ١٣: ٨) أما الأرض المقدسة نفسها فلن يسكن فيها أحد من الغرباء»[٣٠].

ومسيح اليهود الذي سيأتي آخر الزمان ويكون ملكاً للعالم يمتد سلطانه – كما تذكر التوراة - ليغطي كل الكرة الأرضية من أقصاها إلى أقصاها، وذلك بعد إعادة بناء (هيكلهم) المزعوم؛ ليس شخصاً بعينه ولكنه رمز للسيادة والسلطان لليهود الذي يكون مركزه القدس، حيث جاء في (المزمور٦٨/٢٩): «مِنْ هَيْكَلِكَ فَوْقَ أُورُشَلِيمَ، لَكَ تُقَدِّمُ مُلُوكٌ هَدَايَا».

29 بنيامين فريدمان، التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس–بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ–١٩٨٥م، ص٤٢.
30 المرجع السابق، ص٤٣.

ومن أجل تحقيق ذلك، اتجه كتبة التوراة إلى تحريف بشارات الأنبياء السابقين عن مبعث عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، «وحصروها في مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهدة ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص (المسيح المنتظر)، ووصفوه بأنه رسول السماء، والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه و إرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد، وهو ليس إنساناً عادياً بل هو إنسان سماوي، وأنه يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله وعندما يُرسله الله يمنحه قوته، وهو يحمل لقب (ابن الإنسان) أي إنه سيظهر في صورة إنسان»[31].

ومن هنا يقرر فكر اليهود أن الجنة على الأرض، وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون شعوب الأرض، «كما وأنه لليهود مسيح ينتظرونه وهو غير عيسى المسيح عليه السلام. و إنما هو ملك وليس نبياً. ملكاً فاتحاً من نسل داود يسمونه ابن الله. والمنقذ الذي يعيد مجد إسرائيل ويجمع شتات اليهود في فلسطين»[32].

٠١. عقيدة اليوم الآخر في اليهودية

وكي يحقق اليهود أهدافهم تلك عمدوا إلى تحريف الدين السماوي وتحويله إلى دين بشري علماني، يتساوى فيه اليهودي المتدين الملتزم بحرفية النصوص مع تباعد العصور باليهودي العلماني الملحد الذي لا يؤمن بكثير من تعاليم اليهودية وغير ملتزم بحرفية النص، فحرفوا الإيمان بيوم القيامة واليوم الآخر وما فيه من بعث ونشور وحشر وحساب وجنة ونار، وحولوها إلى مفاهيم دنيوية أرضية تحدث في الدنيا فقط، وربطوها بعلاقة وثيقة جداً وعقائدية بأهدافهم وغاياتهم الشيطانية ضد بني آدم جميعاً. فهم لا يؤمنون بإله سماوي ولا بيوم القيامة ولا بالآخرة كما يؤمن بها أتباع الرسالات السماوية وحتى الديانات الوثنية الراقية منها، ولكن يجمعهم جميعاً على اختلاف مذاهبهم ثوابت المؤامرة التي لا يشترط لها الالتزام بحرفية النص، ولكن الإيمان بإلههم الخاص من دون كل البشر، وبأنهم (شعبه المختار) للسيادة العالمية من دون البشر وعلى البشر جميعاً، وبفلسطين (الأرض المختارة والموعودة) لإقامة (الدولة اليهودية) فيها، والقدس عاصمتها الأبدية والموحدة منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وأنهم لم يغادروها إلا فترة ثمانية عشرة سنة فقط، هي فترة الاحتلال الأردني لها من (عام ١٩٤٨- ١٩٦٧)،

31 راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، ص٢٩.
32 أنور الجندي، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، دار الاعتصام-القاهرة، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ص٢٧.

ولا بد من إعادة بناء (الهيكل الثالث) وتتويج ملكهم أو مسيحهم المنتظر واعتلائه العرش وتصبح القدس مركزاً للسيادة اليهودية على العالم أجمع! ذلك هو ما يجمع أشتات اليهود المغتصبين لفلسطيننا، المختلفين عرقاً ولغة وثقافة، ولا يختلفون على ذلك إلا في التكتيك السياسي وبالقدر الذي يحقق لهم حلمهم الخرافي ذاك!.

فقد كان بنو إسرائيل في بداية عهدهم يعتقدون بالمعنى الحقيقي للآخرة ويوم القيامة، من بعث ونشور وحشر وحساب – بالثواب والعقاب ـ وبالجنة والنار. ولكن هذا الاعتقاد تغير عند المتأخرين منهم وأصبحوا ينكرون هذه المعاني. ومع توالي المحن والابتلاءات والنفي والسبي الذي لحق بهم نتيجة معاصيهم، وخاصة السبي البابلي «نشأ الوعي الأخروي عندهم من جديد، فهم لم يكونوا قبل المنفى يؤمنون بالآخرة وكانوا يرون أن الموت هو خاتمة كل شيء، ولكن في المنفى تبلور وعي اليهود الأخروي في خطين عريضين: خط يرى الآخرة كعودة إلى أورشليم الجغرافية و إقامة المملكة الداودية السياسية فيها على يد مخلص يلم شتات اليهود العنصري (وهذه هي الصهيونية)،

وخط يرى الآخرة كبعث شخصي ومحاكمة شخصية عن الأعمال في الدنيا ثم الإحالة إلى ملكوت الله. فالخطان إذن خط مادي عنصري جغرافي شعبي، وخط روحاني شخصي ديني»[٣٣].

ويرى (شفيق مقار): أن اليهود حذفوا الإيمان بالآخرة ليخفوا منابع الديانة اليهودية التي أخذوها عن ديانات مصر، فالديانة المصرية كانت تؤمن باليوم الآخر والحساب، ولهذا حذف اليهود بُعدهم الأخروي[٣٤]*. ويضيف: «ولنصغي إلى ما يسلم به الدعاة اليهود أنفسهم، لا شك أن فكرة اليهود عن العالم الآخر لم تتبلور إلا في عصور متأخرة، أما تلك الأجزاء من العهد القديم الذي يُفترض أنها ألفت قبل غيرها فإننا لا نجد فيها إلا إشارات متفرقة غامضة وشديدة الإبهام في أفضل حالاتها إلى ما قد يمكن القول أنه اعتقاد ببقاء الفرد بعد موته،

33 إسماعيل راجي الفاروقي، مرجع سابق، ص١٦-١٧.

34 هذا الرأي لشفيق مقار مثله مثل كثير من الآراء المشابهة له التي تحاول أن ترجع بعض أصول الديانة اليهودية السماوية إلى ديانات بشرية وضعية لبعض الشعوب القديمة، فالمعروف أن بني إسرائيل هم من ذرية إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، وأن بعث الله تعالى للأنبياء فيهم لم ينقطع، وأن عقدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب ونشور وجنة ونار هي من أصول عقيدتهم السماوية، وأن الصواب هو: أن اليهود لأجل تحقيق غاياتهم الدنيوية المادية حرفوا العقيدة السماوية والمعنى الصحيح للإيمان باليوم الآخر ونقلوا عقيدة الأقوام والشعوب التي عاشوا وسطها التي تخالف عقيدتهم السماوية إلى أن أخذ ذلك الإيمان الشكل الذي هو عليه اليوم! وإن كان المفترض في مثل هذه الموضوعات أن يقال أن الكنعانيين أو المصريين أو غيرهم أخذوا هذه العقيدة أو تلك قبل تشويهها عن أحد الأنبياء أو عن بني إسرائيل، لأنه إن صحت الروايات أن إدريس عليه السلام كان أول الأنبياء وعاش في مصر فذلك يعني أن المصريين أخذوا تلك العقيدة قبل تشويهها عن نبي الله إدريس، والأقرب للصواب أنهم أخذوها عن نبي الله يوسف عليه السلام لأن الثابت أنه عاش في مصر ووصل إلى أعلى المناصب وكان موضوع ثقة ملك مصر وكما ورد في سورة غافر أنه دعا المصريين إلى عقيدة الله تعالى! (الكاتب).

ولا يمكن الخروج منها إلا بأن كل ما يمكن أن يبقى من الكائن البشري بعد موته لا يزيد عن عظامه ودمه واسمه، وأن تلك البقايا يمكن أن تتواجد بعد الموت في مكان يدعى شيؤل وما من سبيل مهما تمادينا في التخيل أن ندعي أن شيؤول هذه تعني البقاء»[35].

ويلخص الأستاذ (عفيف طبارة عبد الفتاح) الأسباب التي أدت إلى إنكار اليهود للآخرة، وما أدى إليه ذلك الإنكار في حياتهم وممارستهم اليومية، بالقول: «... كما أنهم بعدوا عن الروحية فأنكر فريق منهم القيامة والحشر. ومن ثم أنكروا الحساب والعقاب وبالتالي أدى ذلك إلى انغماسهم في الشهوات والإفراط في الملذات غير متوقعين حساباً»[36].

لذلك معظم اليهود ينكرون الآخرة والبعث ولا يؤمنون «بالثواب والعقاب والجزاء» بعد الموت ويعتقدون أن كل هذا يحدث في الدنيا. والبعث في كتبهم هو العودة إلى دولتهم.

يقول الدكتور (محمد الزعبي): إن كانت الآخرة والقيامة والبعث في الإيمان اليهودي «لا تعني إلا قيام دولتهم، والبعث لا يعني إلا بعثها من رقادها، وليست الجنة إلا مدخلاً لرؤيته، وأما ثمار الجنة فهي استئثار بديار العالم كله وأمواله وكنوزه»[37]. فإن الحساب في العقيدة اليهودية هو أن «تحاسب إسرائيل بصفتها دولة، جميع الذين سلبوا مالها وأرضها. إذ جميع المال لله وقد وهبه لـ(شعبه المختار)، وكل الأرض لله وقد وهبها لهذا الشعب، أما بقية البشر فحيوانات ناطقة خلقها الله لخدمة المختارين، والمخلوقين للخدمة ليسوا جديرين بالتملك»[38].

ولأن الإيمان باليوم الأخر وما يحدث فيه من بعث ونشور وحساب وثواب وعقاب هو الذي يميز الديانات بأنها أخلاقية أو لا أخلاقية، لأنه إذا ما تُرك الإنسان يفعل ما يشاء في الدنيا دون أي رادع من حساب أو عقاب بعد الموت، فإنه في مثل هذه الحال سوف يطغى ويتجبر ويعيث في الأرض الفساد، وسيدمر النسل والحرث، ويقضي على الحياة الإنسانية، لأن عقوبات القوانين البشرية في الدنيا لا تكفي لردعه وكبح جماح نزعاته اللا أخلاقية. وذلك هو حال الديانة اليهودية الحالية؟! ذلك ما يجعلنا لا نعتقد بأنه يوجد يهودي مؤمن وآخر ملحد، أو يهودي متدين وآخر علماني ...إلخ من تلك التقسيمات التي يحلو لكثير من الكتاب استخدمها في تقسيم وتصنيف والتفريق بين يهودي ويهودي،

35 عبد المجيد همّو: هل اليهودية ديانة سماوية، سلسلة مصادر التوراة (٧)، دار غار حراء، دمشق، ص٩٤٩.
36 عفيف طبارة عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة الثالثة عشر. آيار (مايو) ١٩٨٤م، ص٣٢٢.
37 محمد علي الزعبي «دكتور»، الماسونية في العراء، إحسان عباسي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م ، ص ٢٥٢.
38 المرجع السابق، ص٢١٣.

وأن الجميع لا يؤمن بالآخرة ولا بالبعث والنشور، ولا بالحساب والثواب والعقاب بعد الموت، ولكنه يؤمن بان ذلك كله يحدث له في الحياة الدنيا فقط، وأن نعيمه وجحيمه أو سعادته وشقائه في الأرض فقط، فضلاً على اعتقاده أن اليهود جميعاً يدخلون الجنة فهم (شعب الله المختار)، وهم سادة الكون والبشرية، وكل المخلوقات الأخرى وجدت لخدمتهم، وذلك يعني أنهم غير محاسبين على ما يفعلونه بها من خير أو شر، بحسب ما تقتضيه مصلحة (شعب الله المختار).

ذلك ما يجب أن يعيه المسلم وغير المسلم، أن اليهودية ليست دين لا سماوي ولا بشري بالمعنى المتعارف عليه عند ذكر كلمة (دين)، لأنها لا تؤمن بيوم القيامة واليوم الآخر كما يؤمن به جميع البشر على اختلاف عقائدهم ودياناتهم، فقد حاولت اليهود المؤسسين لليهودية في بابل أن تكون اليهودية منهج حياة من غير عقيدة عبادة ليساعدهم ذلك على الاستفادة من جميع الفلسفات الأخرى بما لا يؤثر على جوهر معتقداتهم، وفي الوقت نفسه اختراقها والتأثير فيها وتغذيتها بأفكارهم الشيطانية المدمرة. وكما أنها لا يمكن اعتبارها (دين) بالمعنى الحقيقي لكلمة دين فإنها أيضاً لا يمكن اعتبارها أيديولوجيا بالمعنى الشائع لمعنى أيديولوجيا، تكون ذات منهج سياسي واجتماعي واقتصادي وتنبثق عنها أخلاقيات تناسب تلك المناهج. اليهودية مجموعة أخلاقيات وصفات تميز أصحابها عن غيرهم، ولكن هذه الصفات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بخرافات أسطورية، كما قدمنا، تمثل أساساً اعتقادياً لدى معتنقيها!

فقد أقر الدكتور اليهودي الإنجليزي المتعصب ليهوديته التي يعتبرها أصل كل أديان العالم، هربرت لوي، في كتاب «أديان العالم الكبرى» أن اليهودية ليست بحاجه الي عقيدة إيمان بغض النظر عن العالم الآتي: «وهذا هو الفارق البارز بين اليهودية والمسيحية. فمجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم، أي عالم الروح، الذي لن يقدر الإنسان العائش هنا على الأرض أن يدركه. أما رجاء القيامة ورجاء الخلود، اللذان تعرفهما كل قبائل الشعوب القديمة وكافة العقائد، في وضع ما من أوضاعهما، وتحسبهما ضرورتين لازمتين، فالظاهر أنهما انسابتا إلى اليهودية من عقائد دخيلة، وربما أخذت رجاء القيامة عن الفرس أو بابل، ورجاء الخلود عن الإغريق. ولا سند لأيهما في اليهودية بالذات. أما غرضهما الأوحد فهو أن تجعل هذا العالم الحاضر ملكوتاً إلهياً قائماً على الحق والبر. وفي هذه تتميز نزعتها العقلية والأخلاقية العملية».

ويضيف هنا في الهامش تحت رقم (١): «ليست اليهودية عقيدة أو نظاماً من العقائد يتوقف مع قبولها الفداء. أو الخلاص في المستقبل. ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس البر الذي يحتم على الإنسان اتباعه». (عن كوهلر - في دائرة المعارف العبرية)[٣٩].

إذن في السبي البابلي تفتقت العقلية والنفسية اليهودية الحاقدة على الإنسانية وجميع بني آدم عن أكبر وأخطر مؤامرة في التاريخ ضد البشرية جمعاء، وقد تجسدت تلك المؤامرة (عقيدة الاستعلاء والاستكبار العرقي الشيطانية) لأول مرة في التاريخ في عقيدة بشرية هي (الديانة اليهودية)، بعد أن صاغ أحبار اليهود المسبيين مجموعة من الغايات والأهداف السياسية الدنيوية وألبسوها ثوب ديني وقدموها لعامة اليهود والعالم على أنها عقيدة دينية سماوية، خلطوا فيها التعاليم السماوية الإلهية بالأفكار والعقائد والفلسفات الوثنية والوضعية، وحشوها بكل الأفكار الشريرة التي لم تعرف البشرية لها مثيل من قبل للانتقام من كل بني آدم!

المبحث الثـانـي: (هيـكل سليمـان المـزعـوم)
فـي عـلم الآثـار

يقول المؤرخون المتأثرين بالروايات التوراتية: أنه عندما فتح داود عليه السلام مدينة القدس عام ١٠٠٠ ق.م، وكان اسمها «يبوس»[٤٠]*، نسبة إلى اسم ساكنيها وبُناتها اليبوسيين العرب نحو الألف الثالث قبل الميلاد، وقد بنو هيكلاً لـ(لإله سالم) على أحد مرتفعات المدينة، على جبل «الثُريا»، ففكر داود في اقتباس هذا المظهر الديني عند اليبوسيين، إلا أنه ترك معبد المدينة كما لم يلتفت إلى تغيير اسم المدينة والذي لم يتأثر إلا بطبيعة اللهجة العبرانية[٤١].

39 أديان العالم الكبرى، لخصه عن الإنجليزية حسيب سعيد، الطبعة الثانية، درا الشرق والغرب، (بولاق) مصر، وكاتدرائية سنت جورج بالقدس، ص٧٤.

40 لسنا هنا بصدد إثبات إن كان اسم اليبوسيين نسبة إلى اسم جدهم الأعلى (يبوس) أو مشتق أو منسوب إلى مصدر آخر. ولكن الثابت توراتياً وتاريخياً وآثارياً عند الكتاب والمؤرخين أن أول اسم كان لمدينة بيت المقدس هو يبوس.

41 عبد الرحمن عرفة: القدس تشكيل جديد للمدينة، سلسلة دراسات «صامد الاقتصادي» (٢٦)، الكرمل صامد، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص٢٣.

ذلك الرأي بأن داود اقتبس فكرة (الهيكل) عن اليبوسيين، وأنه لم يغير اسم المدينة، وأنه اقتبس فكرة الهيكل عن اليبوسيين لا يُعجب علماء الآثار كثيراً! لأنهم لا يشككون فقط في كثير من مواصفات (الهيكل) البنائية التي يزعمها اليهود، بل إنهم ينفون أن يكون نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام قد بنيا (هيكلاً) في الأصل على أحد جبال مدينة القدس، حتى يكون هو نفس الجبل الذي يقوم عليه المسجد الأقصى حالياً، وبالمواصفات التي يتحدث عنها اليهود! ما يعني أن مزاعم اليهود عن (الهيكل) وغيره ما هي إلا محض خرافة وخيال، وعملية تزييف وتزوير للوعي والحقائق التاريخية، ومحاولة لبيع الوهم على أنه حقيقة! ذلك ما سنعرض له في هذا الفصل، ونناقش مع علماء الآثار بأدلتهم مدى صحة مزاعم اليهود عن تلك المواصفات البنائية لـ(لهيكل).

قد لا يعلم الكثيرين أن علم الآثار قد تأسس في البدء من أجل البحث عما يسمونه (جغرافية التوراة)، بهدف إثبات صحة خرافات وأساطير التوراة المحرفة عن الشعوب والأقوام القديمة، ولإضفاء الشرعية الدينية والتاريخية على مزاعم وادعاءات اليهود الصهاينة الدينية والتاريخية في وطننا، وقد كانت مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى أحد أهم المجالات التي اهتم بها علماء الآثار في فلسطين، بل وكان العثور على أي دليل يمكن أن يثبت صحة خرافة (هيكل) سليمان المزعوم هو المهمة الرئيسة لبعثات الآثار وعمليات التنقيب الآثارية التي بدأ إرسالها إلى فلسطين منذ عام ١٨٣٨. كما أنه كان هدف تأسيس ما عُرف باسم «صندوق اكتشاف فلسطين»، الذي أسسه اللورد النصراني البريطاني المُتهود شافتسبوري ستينيات القرن التاسع عشر، هو تتبع رحلة سيدنا إبراهيم وموسى حسب روايات التوراة، وتحديد حدود الأرض التي أعطاها رب اليهود (يهوه) لـ(شعبه المختار)، واكتشاف الأرض الصالحة للزراعة ومصادر المياه، لتكون أول الأراضي التي يتم اغتصابها بعد إطلاق المشروع الصهيوني.

إلا أن نتائج عمليات التنقيب والحفريات التي جرت منمذ ذلك التاريخ في مدينة القدس ومحيطها الجغرافي وكان مركزها ومحورها أسفل المسجد الأقصى، ومن ضمنها حفريات علماء الآثار الصهاينة منذ احتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧، كلها تؤكد على الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي تاريخياً ودينياً في فلسطين ومدينة القدس والمسجد الأقصى،

وعدم صحة المزاعم الصهيونية توراتياً وتاريخياً وواقعياً سواء عن وجودهم التاريخي في فلسطين بصفة عامة، أو حقهم الديني في مدينة القدس، أو هيكل سايمان عليه السلام المزعوم بأن المسجد الأقصى بُني على أنقاضه! وسنثبت ذلك بالدليل القاطع من خلال نتائج عمليات الحفر والتنقيب الآثارية.

١ـ تضخيم مساحة الهيكل تنفي وجود الهيكل

من المعلوم عند دارسي تاريخ فلسطين أن المذابح والهياكل المتواضعة التي كان سكان فلسطين يقدمون فيها قرابينهم وذبائحهم لآلهتهم، كانت منتشرة وشائعة في كل مكان، وكانت تقليد (كنعاني) قديم قبل قدوم بني إسرائيل إلى فلسطين وسكنهم فيها. ما يعني أن اليهود – إن صح أن بني إسرائيل بنوا هيكلاً أو هياكل صغيرة كمذابح لهم في فلسطين - اقتبسوا ذلك التقليد الكنعاني عن الفلسطينيين عندما سكنوا فلسطين وطغى على عقيدتهم التحريف وعبدوا آلهة سكان فلسطين!

يقول المؤرخ (ول ديورانت): أن اليهود كانوا «يقدمون قرابينهم لـ(يهوه) في هياكل محلية أو في هياكل ساذجة فوق التلال». وتلك كانت عادة متبعة عند (الكنعانيين).

أما عن مساحة (الهيكل المزعوم)؛ فيقوله: «ولم يكن هذا (الهيكل) كنيسة بالمعنى الصحيح، بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة ولم يكن بناؤه الرئيس كبير الحجم، فقد كان طوله حوالي مائة وأربعة وعشرين قدماً، وعرضه حوالي خمسة وخمسين، وارتفاعه اثنين وخمسين، كما أنه كان في نصف طول البارثنون». ويضيف «... ثم واصل مهرة الصناع والفعلة العمل ثلاثة عشر عاماً أخرى ليشيدوا صرحاً أكبر من الهيكل ليسكن فيه سليمان ونساؤه. وكان جناح واحد من أجنحته وهو – (بيت وعمر لبنان) أربعة أضعاف مساحة (الهيكل) كله»[٤٢]. ذلك يعني أن (هيكل) سليمان كان بمثابة معبد خاص ملحق بقصر سليمان، وكان مذبحاً ومكان عبادة خاص بسليمان عليه السلام، ولم يكن مذبحاً ولا مكان عبادة عام لكل اليهود.

42 ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، المجلد الأول الجزء الثاني، الباب الثاني عشر، الفصل الثاني، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، بيروت – تونس، (بلا رقم الطبعة)، (بلا سنة الطبع)، ص٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦.

ولا يختلف ما قاله المؤرخ (ويلز) عما قاله ول ديورانت حول زعم اليهود عن حجم ومساحة (هيكل سليمان المزعوم)، فقال: «فلو أنا استخرجنا من القصة أطوال معبد سليمان لوجدنا أن في الإمكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي»[43]. أما (محمد الزعبي) فقد اعتبره أكذوبة اعتاد اليهود على ترويجها، «لأن مساحة (الهيكل) لا تحتمل ذلك العدد الذي ادعاه اليهود - ثلاثمائة ألف عامل ولمدة سبع سنين - وأن عقلاء المؤرخين يجزمون أن (الهيكل) في عهد سليمان لا يحتاج لأكثر من بضع عمال لبضعة أسابيع»[44].

كما أن الأثري الفرنسي (دى سولسي) أجرى مقارنة بين أطوال أضلع كل من الحرم القدسي الشريف و(هيكل سليمان المزعوم) ومدينة داود الأسطورية، وتبين له عدم صدق روايات التوراة التي تدعي {أن (الهيكل) الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل (الهيكل)، بدليل أن (الهيكل) الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه، وبعد سليمان بنحو خمسمائة سنة أُخرى، كان يحيط به سور أيضاً، وكذلك (الهيكل) الذي عَمره هيرودوس بعد ذلك بخمسمائة سنة أخرى، ثم الحرم الإسلامي الشريف الذي قام أخيراً في المنطقة نفسها الذي كان ملكي صادق يدعو فيها باسم الله العظيم. ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان، كان مربعاً طول ضلعه مئة وثمانون متراً «فتكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة إلا ربعاً». وبهذه المناسبة يذكر (دى سولسي) مقاييس الحرم الإسلامي الشريف، في نفس المنطقة وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه: الضلع الشرقي لسور الحرم طوله ٣٨٤ متراً والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥ متراً، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وبخط غير مستقيم، بحيث يكون الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبي وينبني على ما ذكره دى سولسي أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل (الهيكل) داخل أسوار سليمان، أو نحميا، أو هيرودوس.ودليل آخر على أن الحرم القدسي لم يبنَ مكان (الهيكل) كما يقول دى سولسي، هو: أن الحرم الإسلامي الشريف مستطيل، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب «في اتجاه القبلة بمكة المكرمة»، أما معبد سليمان فهو مستطيل اتجاهه من الغرب إلى الشرق «نحو الشمس» وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل، أو مصر، أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط}[45].

43 هو هربرت جورج ويلز، موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، كتاب وزارة التربية والتعليم بمصر (١٠٠٠)، مكتبة النهضة المصرية، (بلا رقم الطبعة)، (بلا سنة الطبع)، ص١٩٣.

44 محمد علي الزعبي، مرجع سابق، ص١٠٠.

45 حسن ظاظا «دكتور»، القدس مدينة الله.. أم مدينة داود؟، كتب قيمة (٢٠)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص١٢٢-١٢٤.

هذا الزعم الأول عن مساحة الهيكل قد سقط ونفى علماء الآثار صحته، ما يؤكد خرافة وأسطورة الهيكل في الفكر اليهودي.

٢ـ خرافات حجارة الهيكل تنفي وجود الهيكل

أما عن الحجارة التي بني بها (الهيكل) لنرى ما يزعمه كتبة أسفار التوراة عنها! ورد في (سِفر ملوك الأول الإصحاح ٦): «[١]وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ. [٢]وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِلرَّبِّ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَسَمْكُهُ ثَلاَثُونَ ذِرَاعًا. [٣]وَالرِّوَاقُ قُدَّامَ هَيْكَلِ الْبَيْتِ طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ، وَعَرْضُهُ عَشَرُ أَذْرُعٍ قُدَّامَ الْبَيْتِ. [٤]وَعَمِلَ لِلْبَيْتِ كُوًى مَسْقُوفَةً مُشَبَّكَةً. [٥]وَبَنَى مَعَ حَائِطِ الْبَيْتِ طِبَاقًا حَوَالَيْهِ مَعَ حِيطَانِ الْبَيْتِ حَوْلَ الْهَيْكَلِ وَالْمِحْرَابِ، وَعَمِلَ غُرُفَاتٍ فِي مُسْتَدِيرِهَا. [٦]فَالطَّبَقَةُ السُّفْلَى عَرْضُهَا خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَالْوُسْطَى عَرْضُهَا سِتُّ أَذْرُعٍ، وَالثَّالِثَةُ عَرْضُهَا سَبْعُ أَذْرُعٍ، لأَنَّهُ جَعَلَ لِلْبَيْتِ حَوَالَيْهِ مِنْ خَارِجٍ أَخْصَامًا لِئَلاَّ تَتَمَكَّنَ الْجَوَائِزُ فِي حِيطَانِ الْبَيْتِ. [٧]وَالْبَيْتُ فِي بِنَائِهِ بُنِيَ بِحِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ مُقْتَلَعَةٍ، وَلَمْ يُسْمَعْ فِي الْبَيْتِ عِنْدَ بِنَائِهِ مِنْحَتٌ وَلاَ مِعْوَلٌ وَلاَ أَدَاةٌ مِنْ حَدِيدٍ».

ويعلق مستنكراً السفير (عبد الله النجار) على النص الأخير: «وتم بناء الهيكل بحجارة صحيحة اقتلعها العمال ونحتوها في مقالعها، فلم يسمع في الهيكل عند بنائه منحت ولا معول أو أي أداة حديدية». ويضيف أيضاً أنه من المبالغات التي روج لها اليهود عن (الهيكل المزعوم) والتي لا يصدقها العقل، ما يرويه المطران (يوسف الدبس) عن المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي (يوسفيوس) معلقاً على وصفه حجارة (الهيكل): «من أغرب ما يسمع به الإنسان أن طول الحجر ٠٦ ذراعاً وعرضه ٢٠ ذارعاً»[٤٦]. قبل أن نذكر ما قاله علماء الآثار عن تلك المزاعم اليهودية عن حجارة حجم (الهيكل المزعوم) دعونا نسأل مع الأستاذ (حسن الباش)، ما الذي يعنيه هذا النص (التوراتي)؟ ماذا يفيدنا إذا ما وضعناه في سياق علم الآثار والجيولوجيا؟ ويجيب: «بأن مثل هذه الحجارة لا تكون بهذا الشكل وهذه الكثافة إلا إذا كانت مشيدة في أبنية ضخمة سبق وجودها وجود أتباع سليمان، والطبقات الصخرية والجيولوجية تدل بشكل قاطع على أن الحجارة التي افترضوا أن سليمان بنى (هيكله) بواسطتها ليست بعيدة العهد عن عصر سليمان.

46 الصهيونية بين تاريخين «قسمين»: القسم الأول – السفير عبد الله النجار، القسم الثاني – الدكتور كمال الحاج، الطبعة الأولى، كانون الثاني /يناير ١٩٧٢م، دار العودة ، بيروت، ص١٦.

ومن المسلمات الآثارية أن الأقوام التي تخلف الأقوام السابقة عليها تستخدم حجارة بيوتها في بناء بيوت جديدة. ولكن الواقع يقول، وهذا أيضاً ما نصت عليه التوراة، أن اليبوسيين العرب سكان القدس لم يتركوا بيوتهم وقصورهم»[٤٧].

وقبل أن نسمع رأي علماء الآثار في حجارة الهيكل دعونا نأخذ نموذج ديني يهودي آخر عن تلك الخرافات! فقد ورد في كتاب «زوهر»: «عند خلق العالم، ألقى الله حجراً كريماً من عرشه العظيم في الفضاء المظلم، فغطس فيه جزء نت هذا الحجر وبزت بقية منه فوق السديم.وهذه البقية البارزة كنقطة في هذا الفضاء اللا نهائي بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال، وأرسيت الدنيا عليها، ولذلك يسمى هذا الحجر (حجر الأساس)، وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر، نورانية شفافة، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنها أكثر رقة من الأرض، والثالثة أرض معتمة، يطوقها المحيط الذي يدور حول العالم. وهذه المناطق الثلاثة ممثلة في الهيكل الذي في أورشليم: فالمنطقة النورانية، وهي النقطة العظمى، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم، والثانية، الأقل شفافية هي الأرض المقدسة «فلسطين»، والثلثة المعتمة هي بقية العالم حيث يسكن الأمم غير اليهودية من الكفار.أما المحيط الذي يدور بكل شيء فهو مملكة الجن التي تحيط العالم»[٤٨].

تلك خرافات الكتب الدينية اليهودية؛ فما هي الحقيقة التي يؤكدها الأثريون عن حجارة حائط البراق - السور الغربي للمسجد الأقصى - الذي يسميه اليهود (حائط المبكى) ويدعون أنه من بقايا (هيكل) سليمان عليه السلام؟ الحقيقة التي كشفت عنها الحفريات وعمليات التنقيب لا تبتعد كثيراً عما قاله الأستاذ حسن الباش، وهي: «أن حائط المبكى الذي يجاور الأثر ليس بقية من معبد سليمان مطلقاً ولكنه من معبد هيردوس، ومن الواضح أن بناءه وتصميمه من النموذج الروماني تماماً، على ما يقرر الأثريون»[٤٩]. فقد أدخل الرومان إلى فلسطين «أحجار المغليث الثقيلة (أحجار ضخمة) وذلك لبناء الأبنية التذكارية العامة، وبنوا بها الهياكل والحصون والمسارح والحمامات والأضرحة. إن العديد من الأبنية التذكارية كالتي توجد في القدس (حائط المبكى) أو ما يسمونه (بروج داود)،

47 حسن الباش، مرجع سابق، ص٥٥
48 حسن ظاظا، القدس مدينة الله.. أم مدينة داود؟، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٧٠، ص٢٢.
49 رجاء جارودي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، ص٢٤٨

ليس سوى أعمال رومانية. وبنيت من تلك الحجارة الطرق التي أخذت تصل القرى بالمدن ووضع عليها الصوان (أحجار معالم على الطريق)"[٥٠].وهذا النفي لصحة مزاعم التوراة عن مواصفات الحجارة التي بني بها (هيكل) سليمان يؤكد أسطورية تلك المواصفات ومجافاتها للحقيقة التاريخية، ويؤكد أنهم كما اغتصبوا وسرقوا تاريخنا الفلسطيني فإنهم يريدوا أن يسرقوا واقعنا ومعالمنا التاريخية والحضارية في القدس والأقصى! وذلك ما سيكشف المزيد منه النقطة التالية.

٣ ـ كذبة كتبة التوراة

يحاول العدو الصهيوني وأنصاره من علماء الآثار بيع الأسطورة على أنها تاريخ، ويطلبون من العالم تصديقها، على الرغم من قيام علماء الآثار من اليهود وغيرهم بحفر كل شبر من فلسطين، وعدم عثورهم على ما يشير إلى صدق الأسطورة التوراتية عن فتح داود عليه السلام لمدينة يبوس على الرغم من حصانتها وبناء (الهيكل المزعوم). وذلك ما تعترف به التوراة نفسها عند ذكرها محاولة داود فتح مدينة القدس، وأن أهلها رفضوا تسليمها له وهددوه بالدفاع عنها بالقوة، وأن داود انصرف عن المدينة إلى مكان آخر كما تقدم معنا في الفصل الأول، وبنى عليه مدينة سميت (مدينة داود)، وأنه أرسل إلى ملك صور كي يساعده في بناء (هيكل) لأن اليهود لم يكونوا أهل حضارة وعلوم وكانوا جهلة في أمور كثير، وأن الذين بنوا (الهيكل) هم مهندسين وبنائين من مدينة صور.

فقد جاء في (سِفر صموئيل الثاني: ٥/٦-١٢): «[٦]وَذَهَبَ الْمَلِكُ وَرِجَالُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ. فَكَلَّمُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لاَ تَدْخُلْ إِلَى هُنَا، مَا لَمْ تَنْزِعِ الْعُمْيَانَ وَالْعُرْجَ». أَيْ لاَ يَدْخُلُ دَاوُدُ إِلَى هُنَا. [٧]وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ. [٨]وَقَالَ دَاوُدُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: «إِنَّ الَّذِي يَضْرِبُ الْيَبُوسِيِّينَ وَيَبْلُغُ إِلَى الْقَنَاةِ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ الْمُبْغَضِينَ مِنْ نَفْسِ دَاوُدَ». لِذلِكَ يَقُولُونَ: «لاَ يَدْخُلِ الْبَيْتَ أَعْمَى أَوْ أَعْرَجُ». [٩]وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ «مَدِينَةَ دَاوُدَ». وَبَنَى دَاوُدُ مُسْتَدِيرًا مِنَ الْقَلْعَةِ فَدَاخِلاً. [١٠]وَكَانَ دَاوُدُ يَتَزَايَدُ مُتَعَظِّمًا، وَالرَّبُّ إِلهُ الْجُنُودِ مَعَهُ. [١١]وَأَرْسَلَ حِيرَامُ مَلِكُ صُورَ رُسُلاً إِلَى دَاوُدَ، وَخَشَبَ أَرْزٍ وَنَجَّارِينَ وَبَنَّائِينَ فَبَنَوْا لِدَاوُدَ بَيْتًا. [٢١]وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَثْبَتَهُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ قَدْ رَفَّعَ مُلْكَهُ مِنْ أَجْلِ شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ».

50 تطور المجتمع الفلسطيني عبر العصور (٢٥٠,٠٠٠ ق.م-١٩٤٨ ب.م)، لجنة حفظ وإحياء التراث الفلسطيني، منظمة الشبيبة الفلسطينية، مطبعة المدينة، الرياض، ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ، (بلا رقم الطبعة)، ص٣٢.

وبحسب ما ورد في التوراة من مواصفات لمدينة القدس يرى علماء الآثار عند تقديرهم لمساحة (مدينة داود): {أن المدينة التي كانت قائمة في زمن داود على شكل قلعة تحيط بها الأسوار لا تتجاوز مساحتها ٤٤ ألف متر مربع أو حوالي عشرة أفدنة تحتل الجزء الجنوبي الشرقي فقط من المدينة القديمة الحالية وهي على شكل مستطيل أكثر أجزائه اتساعاً لا يتجاوز عرضه مائة متر، ويحده من الشرق وادي كدرون ومن الغرب وادي حنوم الذي ينحني شرقاً جنوب المدينة ليلتقي مع وادي كدرون، أما الأرض المقدسة وهي المسطح الذي تقام عليه الآن قبة الصخرة والمسجد الأقصى والذي يقع على جزء أكثر ارتفاعاً خلف مدينة الأزمنة القديمة فقد كان يقع خارج أسوار القدس وتعتبر مذبحاً لليبوسيين الذين سكنوا القدس في تلك الحقبة من الزمن. وعين الماء التي يتحدث عنها سفر صموئيل هي عين العذراء أو عين أم الدرج الحالية والتي كانت تقع أسفل شمال شرقي المدينة ... كما تمكن الأثريون من العثور على البئر التي حفرها اليبوسيين للوصول إلى نبع الماء، كما عثروا على أجزاء كبيرة من الأسوار واستحكامات قديمة، ولكنهم لم يجدوا ما يدل على أثر تحطيم أي من الاستحكامات، ولا لبناء استحكامات جديدة في عصر داود خلال القرن العاشر قبل الميلاد، و إن كانوا قد عثروا على ما يثبت تجديد بعض الأسوار قبل ذلك بأربعة قرون}[51].معنى ذلك أن ما يقوم به كيان العدو الصهيوني اليوم في القدس من طرد لأهالي حي سلوان وغيره من الأحياء الفلسطينية المجاورة للمسجد الأقصى، واغتصاب منازلهم والاستيلاء عليها بالقوة و إسكان مستجلبين يهود من شتات الأرض فيها، وكذلك انتهاكه حرمة مقابر المسلمين واغتصابها و إقامة المشاريع الصهيونية الدينية والعامة عليها...إلخ، بزعم أنها تقع مكان ما يزعم أنه (مدينة داود) التي تمتد إلى داخل سور المسجد الأقصى، وأنه يريد استرجاع تاريخه وأرضه و إعادة بناء تلك المدينة الوهم، ذلك وغيره يعتبر محاولة طمس و إلغاء وشطب تاريخ وحضارة الشعب الفلسطيني بالقوة، وتغيير واقع قائم بكل معالمه التاريخية والجغرافية والحضارية، لصالح تاريخ وحضارة (يهودية) مزعومة، واختلاق واقع وتكريس وجود لشعب لم يسكن أجداده هذه الأرض ولا سمعوا بها يوماً.

٤ـ مدينة القدس الحالية ليست مدينة داود

في تسعينيّات القرن الماضي، طرحت بلديّة الاحتلال في القدس مشروع تهويد المنطقة التي يُسمّيها الاحتلال (الحوض المقدّس)، وهي تشمل البلدة القديمة بكاملها وأجزاءً واسعة من الأحياء والضواحي المحيطة بها؛

51 خالد محمد غازي، مرجع سابق، ص٩٣.

حيّ الشيخ جراح ووداي الجوز في الشمال، ضاحية الطور في الشرق، وضاحية سلوان في الجنوب، يهدف المشروع إلى إنشاء مدينة أثريّة مطابقة للوصف التوراتيّ (الأورشليم المقدّسة) أسفل المسجد الأقصى وفي ضاحية سلوان وأجزاء من الحيّ الإسلاميّ في البلدة القديمة، وربط هذه المدينة بمجموعةٍ من الحدائق والمنتزهات والمتاحف والمواقع الأثريّة المقامة فوق الأرض في محيط البلدة القديمة، وخصوصاً في جنوبها حيث ضاحية سلوان وفي شرقها حيث جبل الزيتون وضاحية الطور[٥٢]. وما يُكذب ذلك الزعم الصهيوني ويجعل مما يقومون به جريمة من أبشع الجرائم بحق شعب فلسطين، الذي فلسطين هي أرضه منذ فجر التاريخ، لم يعرف له وطناً غيرها ولا تركها أو فرط فيها يوماً، ما قام به علماء الآثار الغربيون منذ منتصف القرن التاسع عشر من حفريات وتنقيبات أثرية في كل شبر من جبال وأرض القدس للبحث عن قلعة اليبوسيين، على ضوء ما أوردته التوراة، ولم يعثروا على قطعة أثرية واحدة أو أي دليل يشير لما زعمته التوراة عن (مدينة داود) و(هيكل سليمان)، أو الوجود التاريخي والحضاري الأسطوري والمزعوم لليهود في فلسطين منذ فجر التاريخ!

علماً أن الأستاذ (سعود أبو محفوظ) عضو مجلس أمناء مؤسسة القدس في ندوة «هوية القدس بين الطمس والإحياء «، التي نظمتها لجنة الشئون العربية بنقابة الصحفيين بالقاهرة (مساء الاثنين ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٢) أكد: «أنه بعد ٥٥ بعثة على مدار ١٦٤ سنة بحثت ونقبت لم تجد أثراً واحداً في القدس يدل على أحقية اليهود فيها، فالحقائق تؤكد أن ٨٠٪ من آثار القدس إسلامية ، ١٨٪ مسيحية و٢٪ آثار وثنية اندثرت. ولكن اليهود في الوقت الذي لم يجدوا فيه أثراً واحداً لهم قد زيفوا وغيروا ١٢٠٠ مصطلحاً داخل القدس، وحرب المصطلحات أكبر وأنكي من الحرب السياسية والعسكرية، غيروا المفاهيم، والتغيير لم يبدأ مع قيام الدولة بل بدأ سابقاً من القرن الماضي من ١٨٣٨».

وننقل هنا ملخص لإجمالي عمليات الحفر والتنقيب الآثاري في مدينة القدس وموقع المسجد الأقصى من منتصف القرن التاسع عشر، وكلها تنفي وجود هيكل بالمواصفات الخيالية التي تزعمها الكتب الدينية اليهودية: {ففي سنة١٨٦٩ إلى ١٨٧٠ قام عالم الحفريات البريطاني الأستاذ شارلز وارن بحفريات خارج السور الجنوبي الشرقي من المسجد الأقصى، وقام بعده بثلاثين عاماً العالم بلس والعالم الأمريكي ديكى بتنقيبات أُخرى في المكان نفسه، وبعد ثلاثين سنة أُخرى جدد مكلستر الحفر والتنقيب، وفي سنة١٩٦٠م قامت الآنسة

52 موقع مؤسسة القدس الدولية الالكتروني، «حقيقة ما يجري في حيّ البستان»، (الجمعة ٢٠٠٩/٢/٢٧).

كثلين كينيون باسم المدرسة البريطانية، وانضمت إليها المدارس الفرنسية والأمريكية بإعادة البحث والحفر والتنقيب في المكان الذي نقبت فيه البعثات السابقة، وبدأت الحفريات في السفح المنحدر من وادي سلوان إلى عين أم الدرج فظهر لها أن ما ظنته البعثات السابقة سور المدينة اليبوسية التي احتلها داود كان هو السور الروماني القائم على أسس يونانية لا تتجاوز القرن الثالث قبل الميلاد، كما عثرت على آبار وصهاريج تعود إلى المدينة الرومانية التي بناها هادريان سنة ١٣٥م باسم إيليا كابتولينا.

وكانت كلما وسعت الحفر نحو الشمال كانت تقترب من التحصينات القديمة حتى انتهت إلى سور يمكن إرجاعه إلى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد، وهو السور اليبوسي الذي وقف في وجه الإسرائيليين قروناً. وأتمت الدكتورة كثلين موسم حفرياتها الأول بنتائج عدم العثور على أي أثر لليهود، ثم في موسمها الثاني سنة ١٩٦٢ ثبت لها أن تلك الأسوار هدمت أربع مرات وأُعيد بناؤها أربع مرات أيضاً. وفي موسم البحث الذي كان في سنة ١٩٦٤ خلصت كينيون إلى أن: المدينة اليبوسية المسماة (أورشليم) أو (يبوس) كانت في الشرق من أسوار المسجد الأقصى وعلى السفح إلى وادي قدرون، ولم تكن على جبل موريا حيث يقوم المسجد اليوم}[٥٣]. وتعلق مارغريت شتاينر على النتائج التي توصلت لها كينيون: «وعلى عكس المنقبين من قبلها، لم تكن كينيون عالمة آثار توراتية، أي مُنقبة تقوم ببحثها الأركيولوجي كجزء من اهتماماتها ودراساتها الكتابية، فعلم الآثار في فلسطين كان بالنسبة لها فرعاً من علم الآثار العالمي، مهمته معرفة العالم القديم من خلال البحث المنهجي والتطبيق الصارم للطرائق العلمية، ومن هنا فإن غايات كينيون لم تكن ذات صلة بالكتاب المقدس، وإنما تاريخية بالمعنى الواسع للكلمة»[٥٤].

ذلك ما جعل لنتائج حفريات كينيون هذه الأهمية الخطيرة «إذ تؤكد أن (هيكل) سليمان لم يكن تحت الحرم في جبل فريا، ولم يكن في الجزء الجنوبي الغربي منه، حيث يتم مخطط الحفريات (الإسرائيلية) منذ الستينيات من القرن العشرين»[٥٥]. ذلك لأن التوراة ترى أن (هيكل سليمان) بُني على أرض سهلة في القدس،

53 أحمد عبد الغفار عطار، عروبة فلسطين والقدس، دار الأندلس بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ص٨٣ – ٨٥. حسن الباش، مرجع سابق، ص٣٣.

54 القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، مجموعة من الكتاب الغربيين، (مارغريت شتاينر، «حدود متوسعة: تطور أورشليم في عصر الحديد»، تحرير توماس ل. تومبسون، بالتعاون مع: دكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة دكتور فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، آب/أغسطس٢٠٠٣، ص١٠٨.

55 عبد التواب مصطفى، نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس، مركز الإعلام العربي، سلسلة كتاب القدس (١٥)، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص٣٤.

«وعندما نقارن المساحة التي ذكرتها التوراة والتي بنى سليمان عليها (هيكله) مع المساحة الحقيقية لمنطقة القدس؛ وجدنا كما وجد علماء الآثار أنه لا توجد بقعة في جبال القدس تتسع لهذا الهيكل أي أن المساحة المزعومة في التوراة لا تتطابق ألبته مع المساحة الجغرافية للأماكن الفارغة في العمران في القدس»[٥٦].وهذا الاختلاف راجع إلى أن (حزقيال) نبي المنفى البابلي الذي ذَكر لأول مرة تفاصيل مدينة القدس و(الهيكل)، يبدو أنه عندما انبهر بمعابد وهياكل البابليين الضخمة والفسيحة، استصغر مساحة الصرح الذي بناه سليمان عليه السلام، لذلك سرح بخياله وتخيل هيكلاً بساحاته الفسيحة وجنانه المتعددة، الذي تحيط به الأبنية والشوارع الواسعة، متأثراً بذل المنفى. ففي بحثه عن «الأصول الكنعانية للهيكل» قال جان باديست أومبير، عالم الآثار بالمدرسة التوراتية والأثرية الفرنسية في القدس: «إن (هيكل) سليمان يعتبر (لغزاً)؛ فلم يبقَ منه حجر واحد يُرى، و(ربما) تكون هناك بقايا منه تحت ساحة قبة الصخرة، ولكن علماء الآثار قد انتهوا في بحوثهم إلى مجرد (تخمينات) في محاولاتهم لتحديد مكان لـ(لهيكل)، وقال: إن وصف سفر الملوك لـ(لهيكل) يتعلق بمبنى متأخر في الزمان عن (هيكل) سليمان، وأن وصف حزقيال لـ(لهيكل) يعتبر وصفاً رمزياً ويتعلق بفترة متأخرة أيضاً»[٥٧].

٥ـ الصخرة التي أقام عليها داود المذبح

صاغ كتبة التوراة حول هذه الصخرة أساطير لا تكاد تنتهي حتى قالت بعض نصوص التلمود {(توسفتا: يوما/٨٤، ٨): «إن الله تعالى خلق الأرض ابتداءً من هذه الصخرة»، وقال أحد أحبارهم وهو إليعازر البابلي: «إن الصخرة هي أصل خلق الأرض، و إن صهيون هي صُرة العالم، وهو كامل الجمال والبهاء» (التلمود البابلي: يوما/٥٤). وقد جاء في كتاب (الزوهر) وهو من كتب التصوف اليهودي المشهورة: «إن يعقوب نام على الصخرة وهو منطلق من بيت أبيه (إسحاق)، بينما المعروف أنه نام في (بيت إيل) قرب نابلس. ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية (بيت إيل) المجاورة لنابلس، والتي ظل اليهود السامريون على وفاءهم لها كقبلة ليعقوب، إلى أورشليم». والحق أننا لا ندري إلى أية صخرة يعني اليهود، فالتلمود يذكر أن الصخرة التي يقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود: يوما/٨٥-٣، ٤، توسفتا ٦/٨٣)،

56 حسن الباش، مرجع سابق، ص٥٥.
57 عبد التواب مصطفى، مرجع سابق، ص٣٣.

وموسى بن ميمون في كتابه «طقوس يوم الغفران». بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض نحو متر كامل، ومحيطها يناهز العشرة أمتار، وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف، تبدو الصخرة فوقها معلقة وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار. ومن الذين شكوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود، الباحث الألماني (شيك) في أوائل هذا القرن، فهو يقول: «أن الصخرة الحالية ربما كانت على أكثر تقدير إحدى ركائز المذبح الخاص بالقرابين فقط. ولم تكن في يوم ما داخلة ضمن قدس الأقداس»}[58].

والصخرة المشرفة التي يدعي اليهود اليوم أنها مقامة مكان المذبح الذي أقامه داود مكان بيدر أرونا اليبوسي هي خلاف الصخرة التي يتحدث عنها اليهود ووردت في أسفارهم، فقد «ورد اسم صخرة اليهود تحت اسم (إيبن هاشيتا)، أي حجر الأساس، وقد كانت تتوسط هيكلهم الذي هُدم أكثر من مرة. ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ متراً (٥٦ قدماً تقريباً)، وعرضها من الشرق للغرب ١٣,٥٠ متراً (٤٢ قدماً)، وارتفاعها عن الأرض بين متر إلى مترين، وتبلغ مساحتها حوالي ٢١٠٠ متر مربع»[59]. هذه الصخرة الله أعلم ماذا صنع بها نبوخذ نصر، وأنطيوخوس أبيفانوس، وتيتوس، وفسبزيان، وهدريان، والصليبيون وغيرهم ممن دمروا أورشليم مراراً وتكراراً تدميراً كاملاً[60].

٦ ـ قرار لجنة شو عام ١٩٣٠م

تلك النتائج التي أكدها علماء الآثار عن عدم صحة ما ذكرته التوراة من خرافات وأساطير عن (هيكل) سليمان، في خط زمني موازٍ لها أيضاً أثبتت تحقيقات قانونية تاريخية بريطانية أيضاً عدم صحتها، ونفي أي حق لليهود في السور الغربي للمسجد الأقصى الذي يزعمون أنه (حائط المبكى). ذلك بعد أن طور المغتصبون الصهاينة عام ١٩٢٨ أعمالهم عند حائط البراق من «مجرد الزيارة إلى نصب المقاعد والطاولات أمام (حائط المبكى)، وجلب الكراسي والمصابيح والحصر وتابوت العهد وكتب التوراة، ثم إقامة الحاجز الفاصل بين الرجال والنساء، وكان الهدف من وراء ذلك أن يقيموا علناً وبكل وضوح كنيساً يهودياً في المكان الذي يقدسه المسلمون،

58 حسن ظاظا ، القدس مدينة الله .. أم مدينة داود؟، طبعة دار القلم، مرجع سابق، ص٦٦-٦٨.
59 أحمد عبد ربه بصبوص، مرجع سابق، ص٠٢٦.
60 حسن ظاظا ، القدس مدينة الله .. أم مديمة دازد؟، طبعة دار القلم، مرجع سابق ، ص٦٨.

وقد أضافوا إلى تصرفاتهم العملية تلك دعاية واسعة في الصحف والنشرات وتصريحات زعمائهم ترمي إلى جعل الحائط الغربي موقعاً عظيم الشأن، ورمزاً أو عوضاً عن (الهيكل)»[٦١]. على إثر خلاف نشب بين المسلمين والمغتصبين اليهود، بسبب محاولة المغتصبين اليهود نصب خيمة والصلاة عند حائط البراق «السور الغربي للمسجد الأقصى»، بطريقة استفزت مشاعر المسلمين، اندلعت اشتباكات بين الطرفين تحولت إلى ثورة سميت بثورة البراق. فأرسلت بريطانيا المحتلة لفلسطين لجنة تحقيق دولية للتحقيق حول أسباب ثورة البراق عام ١٩٢٩م، عُرفت باسك لجنة «شو» نسبة إلى رئيسها السير (والتر شو)، جاءت نتائج تقرير اللجنة الذي قدمته إلى عصبة الأمم مُثبتاً للحق الإسلامي في حائط البراق الذي يسميه اليهود (حائط المبكى).

فقد جاء فيه: «فاللجنة تصرح في هذا المقام استناداً على التحقيق الذي أجرته بأن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير عائد للمسلمين، ذلك إن الحائط نفسه هو ملك المسلمين لكونه جزءً لا يتجزأ من الحرم الشريف»[٦٢]. كما أن «الرصيف الكائن عند الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط، وأن أدوات العبادة أو غيرها التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط إما بالاستناد لأحكام هذا القرار أو الاتفاق بين الطرفين، ولا يجوز في حال من الأحوال أن تعتبر أو أن تكون من شأنها إنشاء حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له»[٦٣].

٧ ـ علماء آثار يهود يؤكدون: لا وجود لهيكل سليمان المزعوم

كما أن اليهود فشلوا في العثور على دليل يثبت أن المسجد الأقصى قائم مكان (الهيكل)، فبعد ما يربو على أربعين عاماً من التنقيب تحت منطقة الحرم القدسي الشريف بحثاً عن أي دليل يثبت صحة دعواهم، أنفق خلالها الصهاينة أكثر من ٣٧ مليار دولار على مؤامرة السيطرة على المسجد الأقصى كليّاً. كما ذكر الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني (فلسطين ١٩٤٨) في أحد تصريحاته، «كل ما عثروا عليه هو آيتين من سفر النبي إشعيا محفورتين بخط يجعل نسبة هذه الحجارة لداود أو سليمان مستحيلة.

61 بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧–١٩٤٨، سلسلة الدراسات الفلسطينية، رقم٥٧، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١، ص٢١٩.

62 إبراهيم العابد، دليل القضية الفلسطينية أسئلة وأجوبة، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٦٩، (بلا رقم طبعة)، ص٣٣.

63 القدس .. التهويد والواقع الحياتي والسياسي للشعب الفلسطيني، إعداد وحدة الدراسات والبحوث، مؤسسة القدس، سلسلة أبحاث القدس (١)، بيروت، فبراير/٢٠٠٢م، (بلا رقم طبعة)، ص١٣.

ويرجع العثور على هذا النص إلى الشهور السابقة لإحراق المسجد الأقصى، ولأن الكشف لم يكن دسماً من الناحية السياسية كما يريد اليهود، فقد وضعوه في (قبر السكوت) كعادتهم في كثير مما لا يريدون أن يعرفه العالم عنهم»[٦٤].كما ذكرت صحيفة «القدس» الفلسطينية في تقرير لها أن أشهر علماء الآثار في (إسرائيل) ويدعى (مائير بن دوف) قال عن الزوبعة الصهيونية حول أعمال الترميم في المسجد الأقصى: بأنها غير مبررة و إنها لأغرض سياسية. وأكد عدم صحة ما يقال عن أن بقايا (الهيكل) موجودة أسفل الحرم القدسي، وأضاف أن الدين اليهودي يمنع منعاً باتاً اليهود من الدخول إلى الحرم. وأشار إلى ما تقوم به الحركات اليهودية مثل (جماعة أمناء الهيكل) بقيادة غرشون سلمون ليس من تعاليم اليهود وأنه خروج على شريعتهم. من جانب آخر أكد (بن دوف) أنه خلال مسيرة الحفريات والدراسات التي أجريت خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية تبين أنه لا يوجد (هيكل) أسفل الحرم «أي لا توجد بقايا من ذلك (الهيكل)»[٦٥]. وفي تموز/يوليو ١٩٩٢م أعلن فريق من علماء الآثار العاملين في دائرة الآثار (الإسرائيلية) بطلان الادعاء بأن (داود التوراتي) هو الذي أنشأ القدس، ومما قاله العالم (روني ريك) في هذا الصدد: «آسف.. لأن السيد داود والسيد سليمان لم يظهرا في هذه القصة»[٦٦].

ذلك الذي أكد عليه (بن دوف) سبق أن أعلنه واعترف به صراحة أحد كبار الحاخامات اليهود (باكشي دورون) رئيس الحاخامية اليهودية في كيان العدو الصهيوني، عندما أراد أن يضع حداً للسياسيين اليهود وما يسمونه جماعات المتطرفين المتدينين لعدم استغلال الدين اليهودي في صراعهم السياسي مع الفلسطينيين، فأصدر فتوى بعث بها مع مندوب خاص هو الحاخام ديفيد بردومان نائب رئيس الحاخامية اليهودية إلي مؤتمر ممثلي (الديانات الثلاث) الذي انعقد في عام ٢٠٠٠ في ميلانو الايطالية، وتضمنت هذه الفتوى اليهودية النص التالي: «من أجل السلام وجدنا أنه من الصحيح أن نصرح في هذا الوقت بفهمنا وتصورنا للأماكن المقدسة في القدس بأنه من المحظور أن تتحول الأماكن المقدسة للمسلمين و(المسيحيين) واليهود إلى سبب الخلاف والنزاعات، كذلك يحظر أن تتحول إلى سلاح بيد أولئك الذين يقاتلون ضد دعاة السلام وصناعته، وعلينا أن نحافظ ونحترم الوضع الراهن في القدس القائم على جبل (الهيكل) المعروف للآخرين بالمسجد الأقصى،

64 حسن ظاظا ، القدس مدينة الله .. أم مدينة داود؟، طبعة دار القلم، مرجع سابق ، ص٨٩..

65 محمد عبد الرحمن، دخول «الحرم» مخالف لتعاليم «الديانة اليهودية»، متابعات فلسطينية، (العدد ٠٧، بتاريخ: ٢٠٠١/٣/٢١)، تصدر عن مكتب حرجةالمقاومة الإسلامية (حماس) في صنعاء، اليمن.

66 محمد جلال إدريس «دكتور»، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، مركز الإعلام العربي، سلسلة كتاب القدس (٤)، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠١، ص٤٥.

وعلينا أن نتعامل بارتياب مع كل تغيير في الوضع الراهن لأن ذلك قد يمس قداسة المكان ويقود إلى إراقة الدماء التي تعارضها كل (الديانات) وكل المجتمعات الحضارية، وبدلاً من المس بقداسة الأماكن المقدسة علينا أن نحترم وأن نقبل الوضع الراهن لكل الأماكن المقدسة ... إن قناعة الحاخامية في (إسرائيل) بأن (الهيكل) ليس موجوداً مكان المسجد الأقصى واعتقدنا أن (الهيكل) سيهبط ذات يوم من السماء»[٦٧].كما عاد وأكد (بن دوف) على ما قاله سابقاً عام ٢٠٠٩، عندما دعا سلطات الاحتلال الصهيوني لإعادة الحجر الأثري المسروق من المسجد الأقصى إلى مكانه، مشيراً إلى أنه هو من اكتشف ذلك الحجر قبل أكثر من ٣٠ عاماً خلال عمليات حفر أجراها هناك. وأوضح في حديث لممثلي الصحافة الفلسطينية بالقدس المحتلة، أن هذا الحجر يزن ٣ أطنان ولا توجد عليه أي كتابات أو رموز. كما أنه كشف عن عمليات تدمير ممنهجة تنفذها سلطات الاحتلال الصهيوني للآثار الإسلامية التي تم اكتشافها في إطار الحفريات الجارية في محيط المسجد الأقصى المبارك.

وقال «على سبيل المثال، كنت أنا من اكتشف القصر الأموي، ولكن المسئولين (الإسرائيليين) الذين كانوا يشرفون على المكان قاموا قبل نحو عشر سنوات بزراعة أشجار داخل القصر والآن أصبحت هذه الأشجار كبيرة بحيث باتت تهدد بتدمير الآثار في القصر». وأضاف: «قمت في حينه بإطلاع (اليونسكو) على ما يجري وطلبت منهم أن يتحركوا لوقف ذلك ولكن أحداً لم يحرك ساكناً .. للأسف، فان (اليونسكو) باتت تعمل لصالح (إسرائيل) وهي لا تفعل شيئاً لوقف ما يجري». وشدد (بن دوف) على أنه طبقاً للقانون وللوضع القائم، فان حائط البراق (الذي يسميه اليهود حائط المبكى) هو ملك للأوقاف الإسلامية ولكن يستخدمه اليهود من أجل الصلاة. وقال «حتى صيانة هذا الحائط هي من مسؤولية الأوقاف الإسلامية وهذا باعتراف الحكومات الإسرائيلية ولكن هذا لا يطبق الآن وهو أمر مستغرب»[٦٨].ويبدو أن صدمة بعض علماء الآثار والمؤرخين والباحثين اليهود بعد أربعة عقود من التنقيب بأنفسهم في القدس وتحت المسجد الأقصى وعدم عثورهم على دليل أثري واحد يثبت أنه كان لهم وجود وتاريخ في القدس؛ جعلهم يخرجوا عن صمتهم ويكشفوا الحقيقة وزيف مزاعم توراتهم وتلمودهم عن (أسطورة الهيكل)!

67 عرفات حجازي، «المفاوضون الإسرائيليون ربحوا الإبل وكسبوا البراق»، (صحيفة الدستور الاردنية، بتاريخ :٢٠١٠/١/١٣).
68 الموقع الالكتروني للهيئة العالمية الإعلامية للدفاع عن القدس، غزة، «خبير آثار (إسرائيلي) يدعو لإرجاع الحجر الأثري الذي سرق من المسجد الأقصى»، تاريخ النشر ٢٠٠٩/٤/١٣.

حيث أكد المؤرخ اليهودي (يهودا رايمان) «أنه لم يتم العثور على أي دليل أثري يمكن أن يكون أساسا للاعتقاد أن المسجد الأقصى قد أُقيم على أنقاض جبل (الهيكل)، بل إن رايمان يشكك في حقيقة أن يكون هناك أصلاً (هيكل) في المكان»[٦٩].كما أن البروفيسور (زئيف هرتسوغ) كتب مقالة نقد فيها كل مزاعم اليهود عن التاريخ والحضارة والقوة و... إلخ التي يزعمون أنهم كانوا عليها في فلسطين قبل أن يتم تشريدهم منها وتشتيتهم في جميع بقاع الأرض، نقتبس منها بعض ما جاء عن موضوع دولة داود سليمان وقوتها، إذ يقول: «المملكة الموحدة ومكانة القدس: أيضاً أحدث علم الآثار تحولاً في استعادة الواقع في الفترة الزمنية المسماة (فترة المملكة الموحدة لداود وسليمان). فهذه الفترة موصوفة في التوراة وكأنها ذروة الاستقلال السياسي، العسكري والاقتصادي (لشعب إسرائيل) في الماضي، بعد احتلال داود إمبراطوريته و إمبراطورية سليمان من نهر الفرات إلى غزة. ولكن الاكتشافات الأثرية في مواقع سكنية كثيرة أظهرت أن مشاريع البناء المنسوبة في التوراة لهذه الفترة هي اكتشافات ضعيفة بشكل واسع في قوتها وحجمها ... من الواضح أن القدس أيام داود وسليمان كانت مدينة صغيرة، وربما كان فيها آنذاك حصن صغير، لكنها في كل الأحوال لم تكن عاصمة الإمبراطورية الموصوفة في أسفار التوراة ... فداود وسليمان كانا حاكمين لممالك قبلية صغيره سيطرت على مناطق صغيرة»[٧٠].

وعلى الرغم من كل ما تقدم إلا أن الكيان الصهيوني مستمر في عمليات استئصال التاريخ والجغرافية والواقع الفلسطيني واستبداله بأساطيرهم، كما يكشف الباحث (الإسرائيلي) المعروف (ميرون بنفستي) من خلال حديثه عن المشهد المقدسي في (صحيفة هآرتس(قائلاً: «في هذا المشهد الذي تكشف أمام ناظريهم، بحثوا عن بقايا لا تزال موجودة من حلمهم، ورويداً رويداً رسموا لأنفسهم خريطة جديدة، غطت المشهد المهدد، ولكن لم يكن هذا مجرد خريطة من الورق والأوهام، فقد أصروا على أن يصمموا الواقع، المشهد المادي، وفقاً لرؤياهم وأحلامهم، فقد حطموا المشهد الفلسطيني وبنوا مكانه مشهدهم الخاص، حيث تشكل الأسطورة العتيقة مبرراً وذريعة»[٧١].

69 صالح محمد النعامي، هدم الأقصى.. طبخة يعدها «البلدوزر» مع اليمين واليسار – غزة، إسلام أون لاين نت، شؤون سياسية، القضية الفلسطينية، بتاريخ ٢٠٠١/٨/١.

70 «علم الآثار يكشف زيف الحق التاريخي (الإسرائيلي)، البروفيسور زئيف هرتسوغ، موقع مقاومة الالكتروني، (٢٠٠٢/٣/٩)، نقلاً عن صحيفة (هآرتس) الصهيونية (١٩٩٩/١١/٢٨).

71 نواف الزرو، «حقائق مرعبة في المشهد المقدسي/٢٠٠٩»، صحيفة البيان الإماراتية، (الاثنين ٢٠٠٩/٣/٢٣).

وأخر ما أعلنه علماء الآثار الصهاينة عن (أسطورة الهيكل ومدينة داود) ما ذكرته قناة (فلسطين الفضائية بتاريخ ٢٠١٠/٢/٢، في نشرتها الإخبارية الساعة الثالثة بتوقيت القدس المحتلة):أن مجلة (التايمز الأمريكية) نشرت في عددها الأخير تقريراً على لسان علماء آثار يهود صهاينة اعترفوا فيه أن نتيجة التنقيبات والحفريات التي أجراها كيان العدو الصهيوني فشل طوال سنوات الاحتلال في القدس وتحت المسجد الأقصى، في العثور على أي آثر أو دليل يثبت صحة وجود (الهيكل الأسطوري) في القدس، أو حتى يثبت أنه كان هناك وجود يهود في فلسطين أو القدس قديماً كما يصوره الفكر الصهيوني في الوقت الحاضر!.

كما أكد علماء الآثار الصهاينة أنفسهم أنهم يقومون بالحفر تحت حي سلون في القدس الذي يقع جنوب المسجد الأقصى منذ سنتين، علهم يعثرون على أي دليل يؤكد صحة مزاعمهم عن (مدينة داود)، التي يزعمون أن حي سلون يقوم مكانها وأنها تمتد إلى ما تحت المسجد الأقصى، ولكنهم لم يعثروا على أي أثر يدل على وجود تلك المدينة المزعومة. وصرحوا بما سبق أن أعلنه (ميرون بنفنستي): أن الهدف من تلك الحفريات والإدعاءات الصهيونية عن (مدينة داود والهيكل) هو اغتصاب الأرض من أصحابها الأصليين و إسكان مغتصبين يهود جدد مكانهم، وتهويد المدينة المقدسة القضاء على المعالم التاريخية العربية والإسلامية، والوجود الفلسطيني فيها!!.إذن ما دام أن نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام لم يبنيا (هيكلاً) حسب المواصفات الدينية والمعمارية التي يتحدث عنها اليهود الصهاينة في هذا العصر، إذاً ماذا بنيا؟!! لنستمع للقول الفصل في هذه القضية من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما قاله علماء الآثار عن المواصفات البنائية والمعمارية لما ذكره القرآن الكريم.

٨ـ قصة الهيكل المزعوم في القرآن

بعد ما تقدم عن عدم صحة المزاعم الدينية اليهودية عن خرافة (هيكل سليمان) عليه السلام التي تحدثت عنها كتبهم الدينية، وبعد ما كشفه علماء الآثار طوال مائة وثمانين عاماً من الحفرات والتنقيبات ولم يعثروا على دليل واحد يثبت حتى وجود نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام في القدس، وآخرهم علماء الآثار الصهاينة، دعونا نختم الرد على عدم صحة المزاعم الصهيونية بالقول الفصل الذي أخبرنا به الله تعالى في كتابه القرآن الكريم.

محراب لا هيكل!

إن الله تعالى أخبرنا في بعض آيات كتابه العزيز عن الأماكن التي كان يتعبد فيها أنبيائه ورسله عليهم جميعاً السلام؟ قال تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ {آل عمران:٣٩}. وقال تعالى: {﴿خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ {مريم:١١}. وقال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ {آل عمران:٣٧}.

زكريا عليه السلام نادته الملائكة وهو قائماً يتعبد في المحراب، وخرج على قومه من المحراب، فلو كان المحراب مكان عام واسع وكبير ما كان ليقول الله تعالى: فخرج على قمه من المحراب! لأنه سيكون في المحراب مثله مثلهم لأنه مكان عبادة عام، كما لو كان جامع أو مسجد للمصلين. ومثله السيدة مريم لو كان المحراب عام لَما قال تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ}! فالمحراب مكان عبادة صغير خاص بالشخص ينقطع فيه للعبادة بعيداصً عن أعين الناس. ولأن الله تعالى علام الغيوب يعلم أن مكان عبادة داود وسليمان عليهما السلام سيكونا موضوع صراع بين اليهود وأمة محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، وريثة تركة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام جميعاً في حمل الرسالة وتبليغها للناس كافة وتحقيق مهمة الاستخلاف التي خلق الله تعالى آدم وذريته لها، فلم يترك سبحانه هذا الأمر دون أن يبين لنا في كتابه العزيز حقيقة ما بنياه نبييه داود وسليمان عليهما السلام، ولم يتركنا أو يترك الباحثين عن الحقيقة دون هدى في ذلك.

فقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ {سورة سبأ:١٣}. قال تعالى: محاريب! وكلمة محاريب هي جمع محراب، المحراب مكان صغير للعبادة! ومحاريب داود عليه السلام أعلمنا الله تعالى عن مواصفاتها البنائية والمعمارية في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ {ص:٢١،٢٢}. وقد ذكر الإمام القرطبي الفرق بين المحاريب والقصور عند تفسيره لقوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّٰسِيَٰتٍ ،ٱعْمَلُوٓا ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا،

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ {سبأ:١٣}. فقال: المحراب في اللغة: كل موضع مرتفع. وقيل للذي يصلَّى فيه: محراب؛ لأنه يجب أن يرفع ويعظّم. وقال الضحاك: ﴿مِنْ مَحَارِيبَ﴾ أي من مساجد. وقال أبو عبيدة: المحراب أشرف بيوت الدار[٧٢].وقال الإمام الطبري: هي جمع محراب، والمحراب: مقدّم كل مسجد وبيت ومصلى، وقال مجاهد: هو بنيان دون القصور[٧٣]. وقال الإمام ابن كثير: أما المحاريب فهي البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره. وقال الضحاك: هي المساجد، وقال قتادة: هي القصور والمساجد. وقال ابن زيد: هي المساكن[٧٤]. وقال النسفي: أي مساجد أو مساكن[٧٥]. وقال الألوسي: وقيل ما يُصعد إليه بالدرج كالغرف، وقال مجاهد: هي المساجد سميت باسم بعضها تجوزاً على ما قيل، وهو مبني على أن المحراب اسم لحجرة في المسجد يُعبد الله تعالى فيها أو لموقف الإمام[٧٦].وقال صاحب (روح البيان) في «القاموس»: المحراب الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الإمام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس انتهى. وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم لما اتخذت المساجد سمي صدرها به. وقيل: بل المحراب أصل في المسجد وهو اسم خص به صدر المسجد وسمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد وهذا أصح انتهى[٧٧].وفي معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ قال الإمام القرطبي (الجزء الخامس عشر:١٦٤): وقد أتوه من أعلى سوره. يقال: تسوّر الحائط تسلّقه، أي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب؛ قاله سفيان الثوري وغيره. والمحراب هنا الغرفة؛ لأنهم تسوّروا عليه فيها؛ قاله يحيى بن سلام. وقال أبو عبيدة: إنه صدر المجلس، ومنه محراب المسجد.

72 تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن(، أبو عبد الله القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح)، دار الكتب العلمية، الجزء الرابع عشر، ص٢٧١.

73 تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ابن جرير الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري)، عدد المجلدات ٣٠، دار المعرفة، ١٩٩٠، جزء الثاني والعشرون، ص٤٨.

74 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، ثم الدمشقي)، عدد المجلدات (٨)، دار إحياء التراث العربي، الجزء السادس، ص٤٤٠.

75 تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد النسفي (عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات)، أربع مجلدات، دار النفائس، ١٩٩٦، الجزء الثالث، ص٤٦٥.

76 روح المعاني في تفسير القرآن، الألوسي البغدادي (محمود شكري ابن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي)، عدد المجلدات (٣٠)، دار إحياء التراث العربي، الجزء الثاني والعشرون، ص٦٣١.

77 روح البيان في تفسير القرآن للبروسي، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي البروسوي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥، الجزء السابع، ص٢٧١.

لأنهما أتياه ليلاً في غير وقت دخول الخصوم. وقيل: لدخولهم عليه بغير إذنه. وقيل: لأنهم تسوّروا عليه المحراب ولم يأتوه من الباب. وقال الطبري (الجزء الثالث والعشرون:٨٩): دخلوا عليه من غير باب المحراب والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه.كما قال ابن كثير (الجزء السابع:١٥): إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما. وقال النسفي (الجزء الرابع:٥٦): تصعدوا سوره ونزلوا إليه، والسور الحائط المرتفع، والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد. وقال البروسوي (روح البيان، الجزء الثامن:٢): يقال: تسور المكان إذا علا سوره وسور المدينة حائطها المشتمل عليها. وقد يطلق على حائط مرتفع وهو المراد هنا. والمراد من المحراب البيت الذي كان داود عليه السلام يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه. قيل: كان ذلك البيت غرفة وسمي ذلك البيت محراباً لاشتماله على المحراب على طريقة تسمية الشيء بأشرف أجزائه.

في ضوء معاني المحراب في اللغة، وما قاله المفسرون: فإن محراب داود عليه السلام قد يكون مكان عبادة خاص به عليه السلام في بيته، أو قد يكون صدر المجلس في بيته أيضاً الذي عينه ليستضيف فيه الخصوم أثناء نظره وقضائه في خصوماتهم. وفي الإجمال هو مكان خاص في بيت داود عليه السلام ولم يكن أبداً معبداً عاماً لكل اليهود. فلو كان المحراب معبد عام لليهود أو (هيكل) كما يزعمون لَمَا تفاجأ داود بهما أمامه ولَكان شعر بقدومهما قبل أن يفاجئاه بوصولهما إليه الذي أفزعه. أما عن (هيكل) سليمان عليه السلام فقد أخبرنا الله تعالى أنه لم يبنِ (هيكلاً) ولكنه بنى صرحاً، والفرق بين الهيكل والصرح كبير، ذلك أن الهيكل يقوم على أعمدة ويستوي مسطحاً كمعابد الفراعنة والبابليين وبلعبك، أما الصرح فهو دائري عمودي كالمئذنة. قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ {النمل:٤٤}. لا بد لنا من وقفة هنا مع معنى الصرح كما توقفنا مع معنى المحراب، لنصل إلى أدق المواصفات البنائية الخاصة بالصرح، حتى نعرف إن كان ما بناه سليمان عليه السلام (هيكلاً) أم صرحاً، لأنه هناك اختلاف كبير بين البنائين في التصميم المعماري والمواصفات الفنية. قال القرطبي (الجزء الثالث عشر:٢٠٨): ... كما قال: تَحسِب أعلامَهنّ الصُّروحَا.

وقيل: الصَّرْح الصَّحْن؛ كما يقال: هذه صَرْحة الدار وقاعتها؛ بمعنًى. وحكى أبو عبيدة في الغريب المصنف أن الصَّرح كل بناء عال مرتفع من الأرض، وأن الممرد الطويل. من قولهم: لبن صريح إذا لم يَشُبه ماء؛ ومن قولهم: صَرَّح بالأمر، ومنه: عربي صريح. وقال النسفي (الجزء الثالث:٢١٣): أي القصر أو صحن الدار. وقال الألوسي (الجزء الثالث والعشرون:٨٠٢): وقال مجاهد {ٱلصَّرْحَ} هنا البركة. وقال ابن عيسى الصحن وصرحة الدار ساحتها. وقال البروسوي (الجزء السادس:٣٥٣): ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سليمان عليه السلام.

أما محمد طاهر بن عاشور صاحب «التحرير والتنوير» فقد كان أكثر وضوحاً في ذكر مواصفات الصرح الذي بناه سليمان عليه السلام، خاصة عندما ربط بين البناء وحال الدخول إليه، وذلك ما سيأتي معنا عند ذِكر المواصفات الفنية للصرح، فقال: والصرح يطلق على صحن الدار وعَرصتها. وذِكر الدخول يقتضي أن الصرح مكان له باب. وفي سفر الملوك الأول في الإصحاح العاشر: فلما رأت البيت الذي بناه. وحكاية أنها حسبته لجة عندما رأته تقتضي أن ذلك بدا لها في حين دخولها فدل على أن الصرح هو أول ما بدا لها من المدخل فهو لا محالة ساحة مَعْنِيّة للنزهة فرشت بزجاج شفاف وأجري تحته الماء حتى يخاله الناظر لُجّة ماء[٧٨].

سبق القول: أنه لا يوجد في القدس مساحة جغرافية تتسع لتلك المواصفات والمبالغات التي تحدث بها اليهود عن (الهيكل المزعوم)، وتتضح الصورة أكثر عندما نعلم أنه هناك فرق شاسع بين المساحات التي تقام عليها الهياكل ومساحة الصروح، فـ{مواصفات الصرح البنائية تتضح عند الفراعنة، فالفراعنة كانوا يملكون الهياكل ويملكون الأهرامات ولكن مع وجود الأهرامات والهياكل والمعابد، فقد طلب فرعون من هامان أن يبنِ له صرحاً ليطلع به على أسباب السماء ودروبها تعالياً في البنيان، لينظر إلى حيث يكون إله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ {غافر: ٣٦،٣٧}.فالصرح هو المئذنة وليس الهيكل، فكل الهياكل والمعابد في العالم يحيط بها المتسع من المساحات، كما تزدان مداخلها الفسيحة بالمدرجات. أما الصرح فإن الدخول إليه يكون مباشرة من فتحة الدرج الأسفل إلى فتحة الدرج الأعلى ثم صعوداً، وهذا هو ما فاجأ به سليمان عليه السلام الملكة (الماجدة)، التي ورد اسمها في القرآن (بلقيس).

78 التحرير والتنوير في تفسير القرآن، محمد طاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧، الجزء التاسع عشر، ص٢٧٥.

فقد فوجئت بثيابها لتعلو عتبة الدرج على ما ظنته ماء، وهو أمر لا يتم في مداخل المعابد والهياكل ذات المساحات المتسعة، فأنت من على بُعد تعرف إن كان ما أمامك يشبه الماء في الساحة أو لا، إن الأمر هنا يختلف عن دخولك أي مئذنة في أي مسجد مع فارق البناء. فالمفاجأة كانت لحظة الدخول، ولعل باعث بناء الصرح ما كان في جند سليمان من طير، وما كان يرصده من حركة الريح التي تجري بأمره، وهذه قضايا رصد تتطلب مبنى عالي الارتفاع وبالذات في منطقة تتوازى جبالها كالقوس}[٧٩].

هكذا يتبين لنا أن زعم اليهود عن (هيكل) سليمان لا يزيد عن كونه محض خرافة وخيال وليس حقيقة، ولكنهم اجتمعوا على باطلهم ويحاولون أن يجعلوا منه حقيقة، في الوقت الذي نحن تفرقنا فيه عن حقنا ونكاد نحوله إلى ماضي وتاريخ لا وجود له على أرض الواقع، فهل يدرك كل منا حجم الخطر الذي يتهدد أقصى الأمة وينذر بزواله عن وجه الأرض إذا لم تسارع الأمة إلى تصحيح خطأها، وتخرج عن صمتها واستسلامها وخنوعها وتهب للدفاع عنه؟!!. وما دام لا يوجد ما يزعمه اليهود أنه (هيكل) أو معبد بالمواصفات الدينية والمعمارية التي يتحدث عنها اليهود الصهاينة في هذا العصر، ماذا يوجد في التوراة؟! وعلى ماذا يدور كل هذا الصراع الدامي الذي يرفض فيه اليهود الصهاينة الصلح وأنصاف الحلول والتنازلات التي يُقدمها العرب للكيان الصهيوني من أجل إنهاء هذا الصراع؟! ذلك ما سنحاول أن نعرفه في هذا الفصل والمباحث التالية.

79 مجلة الصخرة، أسبوعية، تصدر عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالكويت، العدد (٥٦)، بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٦، ص٢٠.

الفصل الثاني

مركزية القدس و(الهيكل)

في

فكر الحركة الصهيونية

المبحث الأول

القدس والأقصى في الفكر الصهيوني

اتضح معنا في الفصل الأول؛ عدم صحة المزاعم اليهودية عن (الهيكل المزعوم) في التوراة وتاريخ اليهود، وعلم الآثار، وأن تلك الأفكار وغيرها من غايات دنيوية ابتدعها كتبة التوراة أيام السبي البابلي، وصاغوها في شكل عقائد، وصبغوها بالصبغة الدينية. لذلك فإن كل الأفكار التي تنادي بها المنظمة اليهودية والحركة الصهيونية العالمية، وكيان العدو الصهيوني الجاثم في قلب الأمة والوطن بالاغتصاب والسلب عن (الهيكل المزعوم) الذي على حد زعمهم أن المسجد الأقصى يقوم مكانه، وعن إعادة بنائه، و إقامة العرش بداخله حتى يتسنى لمسيحهم المزعوم أن يُبعث ويجلس عليه ويحكم العالم، وتحاسب (إسرائيل) جميع الأمم على ما اقترفته أيديهم في حق (شعب الله المختار) للسيادة العالمية، وعلى ما بددته من أموالهم وثرواتهم.

كل الأفكار ليست وليدة عصور الاحتلالات الغربية لوطننا، ولا هي من صنع النصارى المؤمنين وغير المؤمنين بتلك الخرافات والأساطير لاستغلال اليهودي وتسخيره خدمة أطماعهم في وطننا، ولا هي من ابتكار بنات أفكار هرتزل ولا قادة الحركة الصهيونية، ولا حاخامات اليهود ولا أنهم ابتدعوها وزعموا أنها من (الدين اليهودي) - وكأنها ليست منه - ليخدعوا ويضللوا بها عامة اليهود ويقودوهم لخدمة المشروع الاحتلالي الغربي لوطننا، ولكنها مؤامرة حيكت قبل ٢٥٠٠ عام هناك في المنفى البابلي،

وما الحركة الصهيونية الحديثة وكيان العدو الصهيوني الذي ولد عنها إلا إحدى أدوات اليهود لتحقيق تلك الخرافات، وذلك ما سنتعرف عليه في هذا الفصل.

القدس والهيكل في فكر الحركة الصهيونية

اعتبر السواد الأعظم من مؤرخي الحركة الصهيونية الحديثة أنها حركة سياسية، استغلت اليهود لتحقيق مشروع يخدم مصالح الدول الغربية الصليبية التي كانت تحتل وطننا آنذاك، وأن اليهود لم يفكروا منذ أن دمر القائد الروماني هدريان وجودهم في فلسطين وشردهم خارجها عام ١٣٥م في العودة إليها، وأن ارتباطهم بفلسطين اقتصر على الارتباط الديني والروحي فقط. ونرى أن هذا الرأي قد جانب الحقيقة كثيراً، لأنه تم إساءة فهم حقيقة اليهودية كديانة من وضع البشر، اختلط فيها الإلهي بالإنساني، والديني بالقومي، والأخروي بالدنيوي..... إلخ. ولم يتم تحديد هوية ما ادعاه اليهود (قومية يهودية) لأن اليهود لا يتوفر فيهم أي عنصر أو مقوم من عناصر أو مقومات القومية العلمانية، التي اعتمدها الكتاب والمفكرين العرب هوية للحركة الصهيونية، والقومية اليهودية، في الوقت الذي لا ينطبق عليها سوى مفهوم وهوية واحدة هي (الأمة الدينية)، أو (الأمة اليهودية).

لخص المفكر وعالم الاستشراق الصهيوني (ريتشارد جيمس هوراشيو غوتهيل) في كلمته في المؤتمر الصهيوني الأول فهمه لليهودية: «نحن نؤمن بأن اليهود هم أكثر من جماعة دينية بحتة وبأنهم ليسوا جنساً بل أمة ولكن بدون الشرطين المهمين للأمة: اللغة والوطن!»[٨٠].نعم: اليهود (أمة دينية)، وهدفهم منذ البداية تأسيس كيان يهودي لا يشاركهم فيه أحد من غير اليهود (جيتو يهودي) في قلب وطننا، وذلك كان واضحاً ليس فقط في عنوان تيودر هرتزل لكتابه «دولة اليهود»، لاحظوا بدون لام التعريف! ولكن مَنْ يقرأه بتجرد وموضوعية يتأكد من البُعد الديني لدى هرتزل واليهود في صراعهم، وهدفهم، من المقدمة مباشرة! وعلى الرغم من أن الكتاب العلمانيين كتبوا ونظروا لسياسة الخطوة خطوة، والتدريج، في تحقيق اليهود أهدافهم، بمعنى: أنهم لا يكشفون عن أهدافهم كلها دفعة واحدة، ويتبعون سياسة التمويه والتضليل، وأنهم كلما حققوا شيء من أهدافهم يركزون جهودهم على تكريسه وتجسيده واقعاً قبل الانتقال للخطوة التالية والإعلان عن هدفهم!وقد بلغت الصهيونية مبلغاً ولم تعد بحاجة إلى التمويه أو التضليل وأعلنت عن حقيقتها وجوهرها وغاياتها الدينية، وذلك في قانون ما أسموه (قانون القومية)! الذي اعتبره أستاذ القانون البروفيسور مردخاي كرمنيتسر: «وضع حداً لـ(إسرائيل) «كدولة يهودية ديمقراطية» تلتزم بمبادئ «وثيقة الاستقلال» وبالقيم الليبرالية العامة،

80 الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، إشراف الدكتور أنيس صايغ، ترجمة لطفي العابد وموسى عنتر، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطينية (١٢)، بيروت، ١٩٦٨، ص٣٧٠.

ويخلق بالمقابل دولة يهودية، قومجية، دينية مناهضة للقيم الإنسانية والليبرالية»[81].

و إن كانت الأدلة والحجج التي استشهد بها من قالوا بعلمانية الحركة الصهيونية، و(القومية اليهودية) وكيان العدو الصهيوني كثيرة، إلا أن أهم الأسباب التي أحدثت كل ذلك الخلط، أو الضبابية في الرؤية في تحديد الهوية الدينية لليهود الصهاينة، هي:

أولاً: إسقاط الكتاب والمفكرين العلمانيين من غير اليهود وخاصة العرب والمسلمين فهمهم للعلمانية على أنها فصل تام للدين عن السياسة وشئون الحياة على اليهود وقادة الحركة الصهيونية، ظناً منهم أن الصهاينة كعلمانيين – حسب فهمهم - يتعاملون مع دينهم اليهودي مثلما يتعامل العلمانيين المسلمين مع الإسلام، ويفصلون بين مفاهيمهم القومية والفكرية ومعتقداتهم الدينية.

ثانياً: اعتمد أنصار أن الحركة الصهيونية حركة علمانية، على موقف ورأي طائفة دينية أو أكثر من الطوائف الدينية اليهودية التي تؤمن أن عقيدة (المسيا أوالمسيحانية) أي بعث المسيح اليهودي، أو إرسال إلههم (يهوه) له من السماء آخر الزمان ليعيدهم إلى (أرض الميعاد) وتحقق كل خرافات التوراة بالسيادة العالمية، عقيدة صوفية تأملية فقط، وجوهرها أن كل خرافات التوراة تتحقق سلمياً مع عودة/بعثة مسيحهم. وبناء عليه حددوا هوية الصهاينة أنهم علمانيين. إلى جانب أدلة أخرى مردود عليها عند المناقشة، معتبرين أن جميع اليهود يؤمنون بالعودة السلمية للمسيح اليهودي، بدون عنف أو فعل بشري.كما أن التمسك بالحلم المسيحاني وبأرض فلسطين لإقامة (دولة يهودية) عليها لتكون أداة لَمْ شمل اليهود المنفيين تهيئةً لمجيء المسيح لا يختلف عليها أحد من اليهود، حتى الإصلاحيين المتهمين بالعلمانية والاندماج، وخاصة إصلاحيي أمريكا، منهم بعد أن عدلوا من نظرتهم إلى الرؤية الصهيونية بعد مؤتمر عام ١٩٣٧م، ولكن الاختلاف في التوقيت والطريقة.

ثالثاً: تجاهلوا اليهودية الأرثوذكسية التي وضعت منذ أيام السبي البابلي كل تلك الخرافات، وهي في الغالب التي قادت اليهود داخل أسوار الجيتو التي فرضها عليهم مؤسسي اليهودية الأرثوذكسية الأوائل عندما وضعوها أيام السبي البابلي. كما أنها هي التي قامت بتطوير مفهوم الخلاص المسيحاني عبر٢٥٠٠ سنة.

81 قانون القومية» يلامس هوية الدولة وبنيتها القانونية، تحليل إخباري، موقع إخباري الكتروني عرب ٤٨، ٢٠١٨/٠٧/١٨.

ومن رحمها خرج كل المسحاء اليهود الدجالين، ومنها انبثقت حركة (القبالاه) اليهودية، التي نشأت في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي في الأندلس، والتي تُشكل رؤاها الدينية للخلاص الخلفية الدينية والفكرية للحركة الصهيونية. وقد اشتدت عمليات التطوير لفكرة الخلاص المسيحاني، وربطها بواجب شراء أو اغتصاب الأرض في فلسطين، وبلورة المفهوم القومي اليهودي منذ بدايات القرن السادس عشر الميلادي، أي من قبل حركة مارتن لوثر والانشقاق البروتستانتي على الكنيسة الكاثوليكية.

ومن المفارقات العجيبة لدى الكتاب العلمانيين في وطننا؛ إنهم يعترفون أن حركة الاسترجاع النصرانية (الرؤية المسيحانية النصرانية)، والرؤية المسيحانية الصهيونية، هي نفسها رؤية حركة القبالاه اليهودية التي يعتبرونها حركة صوفية تأملية وليست سياسية! ويخلصون إلى نتائج خاطئة تتعارض مع المنطق العقلي، فيقولون: أن الحركة الصهيونية نشأت في الفكر النصراني، وتأثرت بفكر حركة الاسترجاع النصرانية، والفكر القومي الغربي، واكتسبت روح وممارسة العنف من الفكر الاحتلالي الغربي، وأن اليهود قبل حركة الاسترجاع النصرانية لم يفكروا في العودة إلى فلسطين نهائياً!

ألا يحق لنا أن نتساءل: منذ متى السابق يصبح تابع للاحق؟! حركة القبالاه اليهودية بدأت تنشط منذ القرن العاشر الميلادي وسط اليهود في الأندلس، وقد أضفت على المعاني الرمزية للعودة في اليهودية نوعاً من التمويه والسرية، بحيث لا يفهمها إلا القلة من اليهود أنفسهم. وحركة الاسترجاع النصرانية نشأت في القرن السادس عشر الميلادي، وهي تستمد فكرتها التي تطالب بإعادة اليهود إلى وطنهم الأم، كشرط لعودة المسيح المخلص الذي سيحكم العالم ويسود السلام والطمأنينة، من رؤية وفكر حركة القبالاه اليهودي، هذه الرؤيا استغلها اليهود عند نصارى الغرب البروتستنتي خاصة لدعمهم في الحصول على فلسطين والحفاظ على الكيان الصهيوني بعد نشأته، وليس العكس كما يزعم الكتاب العلمانيين!

إن العقيدة المسيحانية اليهودية ليست عقيدة دينية لاهوتية صوفية تأملية فقط، لكنها عقيدة سياسية وعملية لاغتصاب الأرض، ولا تمنعهم من احتلال فلسطين، و إقامة الدولة فيها، إذا ما كانت الظروف الذاتية اليهودية، والموضوعية الدولية مهيأة لذلك، حاخاماتهم يعتبرون الدولة المقدمة لقدوم المسيح اليهودي.

ذلك كله حدث في اليهودية الأرثوذكسية التي تؤمن بأن عقيدة المسيا أو المسيحانية عقيدة دينية سياسية وليست عقيدة دينية صوفية تأملية. ولذلك كانت الحركة الصهيونية هي نتاج الفكر الديني اليهودي الذي أشرف على بلورته الحاخامات اليهود طوال القرون الماضية. هذه اليهودية أسقطتها المنهجية العلمانية الانتقائية في الكتابة واعتمدت أيضاً على موقف اليهودية الإصلاحية «الداعية لدمج اليهود في شعوبهم»، واليهودية المحافظة التي تظاهرت بالعلمانية لإفشال مخططات اليهودية الإصلاحية، بهدف الحفاظ على الانتماء اليهودي وعدم ذوبانه وسط (الأغيار أو الجوييم).

يقول الدكتور (سمير أيوب) عن دور الدين اليهودي والحاخامات اليهود في الإعداد للحركة الصهيونية: هكذا يثبت وبلا «شك أن المعتقدات الدينية التلمودية وما يتبعها من اجتهادات وتفسيرات أطلقها الحاخامون خلال القرن السادس عشر والسابع عشر قد أحدثت تطوراً واضحاً في الحركة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ظهرت بين اليهود خلال القرون الخمسة الأخيرة ومن بينها الحركة الصهيونية. وهي التي تقف وراء العديد من أسسها ونظرياتها بل كلها وأيضاً وراء العديد من الحقوق والمتطلبات الاستثنائية التي تدعيها الصهيونية المعاصرة في مواقفها من باقي الشعوب والدول»[٨٢].

أما الدكتورة (منى كاظم) فإنها ترى أن الحركة الصهيونية لم تكن وليدة فكرة قومية غريبة عن أوساط اليهود المتدينين بل هي ثمرة جهودهم عبر قرون طويلة، وما «الصهيونية إلا الرداء الحديث للأمل المسيحاني القديم الذي حافظ اليهود على إحيائه خلال العصور الماضية إنه الأمل الذي يهدف إلى تحقيق شقين – كما يقول الأنبياء – فهو يهدف إلى إعادة اليهودي لحياته القومية في أرضه الوطنية في فلسطين كما أنه يهدف أيضاً إلى إعادة إنشاء إسرائيل الذي يساعد على إعادة خلق البشر جميعاً»[٨٣].

ويقول الدكتور (جورجي كنعان): «لقد زحف علينا الصهاينة بفكرة عقائدية عمرها ثلاثة آلاف عام وما فتئوا يزرعونها في أفكار الشعوب طوال هذه الأجيال وهنا تكمن قوتهم رغم قلة عددهم، فالصهيونية دعوة سياسية من أشد العقائد السياسية ضراوة وفتكاً في إطار من عقيدة دينية، تعتبر من أبشع العقائد التي عرفها تاريخ الإنسانية من حيث تعصبها الذميم وعزمها على الفتك بجميع الأمم... خطأنا الأكبر كان يوم فسرنا تحركات الصهيونية من خلال ما نعتقده نحن.

82 سمير أيوب، الصراع العربي الصهيوني، خمسة أجزاء، الجزء الأول، صامد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص١١.

83 منى كاظم، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، الاتحاد للطباعة والنشر، أبو ظبي، سلسلة ثقافة (نحن وهم)، ص٢٥٢-٢٥٣.

وعمينا. اعمانا الجهل والتخلف وضحالة الوعي ... إني أرثي وأرثي بمحبة فائقة، لحال الذين يقبلون اليهودية كدين ويرفضون الصهيونية كقومية، ويحاربون الكيان السياسي الذي تجسدت فيه (دولة إسرائيل)، لأن بذور الصهيونية مطمورة في كتاب العهد القديم. وما شق أرض التاريخ عن هذه البذور غير العهد القديم. وما جمع الصهاينة وأعادهم إلى فلسطين إلا كتاب العهد القديم. وما القلب الذي يدفق دم الحياة في جسد الصهيونية المحلية في فلسطين والعالمية، غير كتاب العهد القديم»[84]. وبناء على ذلك يمكننا القول: أن الحركة الصهيونية حركة دينية، في إطار سياسي، لتحقيق معتقدات وغايات عقائدية توراتية. وأن الخطأ الذي وقع فيه من قالوا بأنها حركة سياسية علمانية لا علاقة لها بالدين، راجع إلى أنهم فسروا أفكار الصهاينة من خلال فهمهم هم لمعنى العلمانية، وليس من خلال فهم اليهود الصهاينة أنفسهم لها! لذلك قام الحاخامات بتغذية الحركة الصهيونية منذ اللحظة الأولى بأفكارهم، ما ذكا روح اغتصاب الأراضي في فلسطين دينياً، واعتبار هذا أنه الجهد البشري الذي يسبق لظهور المسيح المخلص، وليس غريباً أن يقال عن هرتزل أنه المسيح أو أنه النبي الذي يسبق مجيء المسيح.

أخيرا: ترى إذا جردنا الصهيونية من مفاهيمها التوراتية، هل يبقَ هناك صهيونية في العالم؟!!

لا صهيونية بدون التوراة

الكتاب العلمانيين كلما اصطدموا في أدبيات الحركة الصهيونية أو أدبيات قادتها بأي فكرة، أي شيء له علاقة بالبُعد الديني، تلقائياً يفسرونه تفسرات غير صحيحة ويقنعون أنفسهم بصحتها، حتى أصبحت تلك التفسيرات المغلوطة المخالفة للحقيقة والمنهج العلمي والمنطق العقلي، ولا تنسجم أو تتساوق مع مسيرة وواقع وسياسة الحركة والعصابات الصهيونية قبل اغتصاب فلسطين، ومع سياسات الكيان الصهيوني والأحزاب الصهيونية على اختلاف مشاربه الفكرية وخلفياتها الأيديولوجية وتناقضاتها الظاهرة، هي المفاهيم الشائعة لدى كل المؤرخين وكتبة الرسائل العلمية والمثقفين وعامة القراء! ومثال على ذلك:

الارتباط العضوي الواضح بين (الديانة اليهودية) و(القومية اليهودية)! لم يجدوا له تفسيراً، سوى: بالنسبة لليهودي المتدين هي دين، أما بالنسبة لليهودي العلماني هي موروث ثقافي! ذلك دون تحديد علمي واضح لمعنى الدين ومعنى الثقافة!

84 جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، الطبعة الأولى، توزيع دار النهار للنشر، ص٩ – ١٠.

ودون تحديد واضح للفارق بين الثقافة اليهودية والدين اليهودي! علماً أن المفهوم والتعريف الغالب للثقافة: هي الدين عندما يتحول إلى سلوك وممارسة! وتجاهلوا بشكل فاضح ذلك التطابق بين الدين اليهودي والثقافية اليهودية الظاهر للعيان في توجهات وأفكار اليهود العلمانيين، وممارستهم وسلوكياتهم وجرائمهم والمجازر التي ارتكبوها في فلسطين ضد المدنيين، وأرجعوها إلى تأثر الفكر الصهيوني القومي بالفكر الغربي القومي، وأنه جاء متزامناً مع اتساع الاحتلالات الغربية خارج أوروبا وما صاحبها من تصاعد للعنف وسياسة القوة في الفكر القومي الاحتلالي الغربي! كما تغافلوا عن أن كل أهداف وغايات الحركة الصهيونية وكيان العدو الصهيوني تتطابق تماماً مع أهداف وغايات التوراة السياسية التي هي ما أمر به رب البهود الخاص (يهوه) في توراتهم المُحرفة!

مَنْ يعود إلى كتاب «الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية»، الذي جمع معظم ما قاله وكتبه وصرح به القادة المؤسسين للحركة الصهيونية الحديثة، ويطلع على آرائهم وأفكارهم ويقرأ بموضوعية وتجرد سيجد أن حاخامتهم اليهود الذين شاركوا معهم في المؤتمر التأسيسي (بال) للحركة الصهيونية اغتبروهم يهود متدينين وليسوا علمانيين ولا ملحدين كما اعتبرهم كتابنا العلمانيين، وقدموا تفسيرات منطقية لكل الحجج التي يعتمد عليها الكتاب العلمانيين في وظننا في ادعائهم أن قادة الحركة الصهيوني كانوا علمانيين وملحدين، وأن الحركة الصهيونية كلها علمانية ملحدة معادية للدين اليهودي!

الحاخام سولومون شيختر الذي ركز أفكاره وكتاباته على الهوية القومية الدينية، وشدد على النواحي الدينية في القومية الصهيونية، وكان يرى أنه لا يمكن الفصل بين الشعور القومي الإسرائيلي و إحياء ديانة إسرائيل، و إحياء الدين اليهودي، واستشهد بالقول التالي على التقاء العناصر القومية والإنسانية الجامعة في اليهودية: «إن حكمائنا أنفسهم قد عبروا عن ذلك التطابق بين العناصر الأممية والقومية اليهودية. فهم يعلنون ذلك بالاستشهاد بقوله تعال: (إنني لن أدخل أورشليم السماوية حتى تأتي إسرائيل إلى أورشليم الأرضية)»[85].

ذلك الحاخام قدم تفسيراً عميقاً للاختلافات التي جعلت علمانيي وطني يختلفون على دينية الحركة الصهيونية؛ فقال: «إن الصهيونية مثل أعلى، ولذلك لا يمكن تعريفها. ولهذا السبب فإنها خاضعة لتفسيرات عديدة وقابلة لأشكال مختلفة، يمكن أن تعني بالنسبة لواحد بعث الوعي القومي اليهودي ولآخر بعثاً دينياً، بينما بالنسبة لثالث فإنها يمكن أن

85 المرجع السابق، ص٣٨٣.

تكون طريقاً يوصل إلى الثقافة اليهودية، ولرابع يمكن أن يشكل الحل النهائي والوحيد للمسألة اليهودية. وبسبب هذه الجوانب المتعددة استطاعت الصهيونية أن تجمع ضمن برنامجها عناصر متشعبة تمثل يهود العالم أجمع وتمثل تقريباً جميع صنوف الثقافة والفكر كأي حركة عالمية عظيمة أخرى». كما أنه اعتبر أن: «الغالبية العظمى من الصهيونيين تبقى مخلصة لفكرة صهيون وللقدس التي يشير إليها التاريخ والتقاليد والعواطف اليهودية بشكل عام[86]. وفي رده على زعم البعض أن قادة الحركة الصهيونية ومفكريها ليسوا متدينين وأنهم علمانيون وملحدون، لأنهم لا يظهر عليهم الجانب الروحي، يقول: «إن المأخذ على الصهيونية بأنها غير روحية لا معنى له. وفي الحقيقة هناك فكرة شائعة في الخارج تعتبر الروحاني صفة سلبية ... فالتهمة هذه قديمة قدم اليوم الذي أصبح فيه اسم الفريسيين تعبيراً، وأنه من المتوقع أن يحدث الشيء نفسه للصهيونيين. إن الشخص المناهض للناموس هو الذي يعتبر نفسه وريثاً لصفة الروحانية بينما القديس الحقيقي عفوياً وصادقاً في أعماله لدرجة أنه لا يشعر بأن لديه هذه الصفة وحتى لا يذكرها أبدا. إن الصهيونيين ليسوا بقديسين»[87].

أما الزعيم الروحي الصهيوني الحاخام (إبراهام إسحاق كوك) فقد اعتبر أن جيله الحاضر - الحركة الصهيونية - هو «الجيل الذي تحدثت عنه النبوءة على أنه ينتمي إلى عصر مجيء المسيح المنتظر»[88]. ما يعني أنه كان يرى في الحركة الصهيونية أنها تمهيداً لحضور مسيحهم الدجال. وهو بذلك يؤيد دفاع الحاخام (صموئيل موهيليفر) في رده على الحاخامات الذين كانوا يرون أن الحركة الصهيونية تتناقض مع عقيدة الإيمان بالمسيح، الذي قال: «ويعتقد بعض هؤلاء الحاخامين أن القومية تتناقض مع إيماننا بقدوم المسيح،

إنني أود أن أعلن بأن ذلك ليس صحيحاً على الإطلاق لأن أملنا و إيماننا كان دائماً ولا يزال هو أن مسيحنا المنتظر سيأتي ويجمع إسرائيل المشتتة ليسكن أبناؤها في بلدهم بدل أن يظلوا هائمين على وجه الأرض ينتقلون من مكان لآخر. وبدلاً من أن نكون موضع احتقار وسخرية في عين الشعوب ستحترمنا وتمجدنا كل شعوب العالم، هذا هو إيماننا وأملنا الذي أعرب عنه أنبيائنا وحكماؤنا طيبوا الذكر وهو ما يتمسك به شعبنا»[89].

86 الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، مرجع سابق، ص٣٧٤ -٣٧٥.
87 المرجع السابق، ص٣٧٩.
88 المرجع السابق، ص ٢٩٣.
89 المرجع السابق، ص٢٨٣.

المسيا .. عقيدة دينية سياسية

إن كان الكتاب العلمانيين في وطننا قدموا لنا تفسيرات خاطئة بعيدة عن المنهجية العلمية، والموضوعية والتجرد من التأثيرات الأيديولوجية، وموقفهم السلبي أو المعادي للدين الإسلامي، عن العلاقة بين الدين والقومية والثقافة اليهودية، وأن عقيدة المسيا (الصهيونية) عقيدة سياسية لا علاقة لها بالدين ولكنها استغلت الدين ...، فإن حاخامات يهود ومفكرين ويهود وغربيين فسروا لنا تلك الظاهرة، تفسيراً دقيقاً وصحيحاً يستقيم والفهم الصحيح لحقيقة الديانة اليهودية!

في الحقيقة أن عقيدة المسيا هي في الأصل عقيدة دينية سياسية، كما يقول «ساراشك»: «بأن هذه الفكرة – عقيدة المسيا - هي عقيدة سياسية أكثر منها لاهوتية، وعملية أكثر منها تأملية، وأن اليهود وجدوا فيها نوعاً من صمام الأمان ينفسون بواسطته في أوقات الضيق والشدة. مثلما علقوا آمالهم على مجيء ذلك (المحرر) الذي أحاطوه بهالة من الجبروت والقداسة، وراحوا ينتظرون قدومه لكي يخلصهم من المحن والبلايا. فهو المنتظر الذي سوف يحول ظلمتهم إلى نور وكربهم إلى فرح وبهجة»[٩٠].

ولأن اليهودي هو الأكثر قدرة على فهم دينه وتفسيره؛ فإن اليهودي الفرنسي (أندريه شوراقي) يرد على سوء فهم العلمانيين وتفسيراتهم المغلوطة بحق الحركة الصهيونية، في كتابه «تاريخ اليهودية» فيقول: «تتميز اليهودية بالزواج بين إله هو إله سيناء، وشعب هو إسرائيل وأرض هي الأرض المقدسة. إن تاريخ اليهودية هو تاريخ ثالوث: فالرسالة هنا لا يمكن فصلها عن الشعب الذي يتسلمها وهذا الشعب لا يمكن تصوره إلا بالعلاقة بأرضه، هذا التحالف الثلاثي قهري وإجباري بقدر ما هو غير قابل للانفصام». هذا التصور تتبعه نتيجتان حتميتان: الأولى: عملهم على استمرار إبعاد هذه الأمة عن دينها لأنها به وبه فقط استحقت العهد الإبراهيمي وبه فقط تستطيع اقتلاع اليهود من فلسطين. والثانية: هدم الأقصى بناء الهيكل من حيث كون هذا الهدف هو السبب الحقيقي لاحتلال للقدس بل لحركة اليهود في التاريخ[٩١]. وهذا ما اتفق عليه اليهودي المتدين واليهودي المتهم بالعلمانية والإلحاد من كتابنا الآن!

90 أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، مرجع سابق ، ص٢٢٨.

91 محمد هلال (دكتور)، الإسراء وإسرائيل، مؤسسة الرسالة–دار البشير، لبنان–الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ص١٠٥–١٠٦.

تلك هي الحقيقة التي يأبَ الكتاب العلمانيين الاعتراف بها، في الوقت الذي يعترفون فيه بدور الجيتو في تعميق نزعة العزلة والشعور بالتمييز والتفوق العرقي وعقدة الاستعلاء على الآخرين لدى اليهود، وقد كان ذلك سبباً في ارتداد وعودة كثير من اليهود الذين انتسبوا إلى حركة الإصلاح الديني «الهسكلاه»، إلى العزلة ورفض التخلي عن شيء من تعاليم دينهم، ولأن مجتمعات الاندماج لم تمنحهم تلك الامتيازات الت منحهم إياها دينهم ، ولا هم استطاعوا التخلي عنها كحق لهم، لذلك سعوا إلى إنشاء جيتو كبير باسم دولة في (أرض ميعادهم) المزعومة (فلسطين)!

يقول المفكر «ناثان وينستوك» في كتابه «الصهيونية ضد إسرائيل»: «إذا كانت المظلمانية (نزعة) الانغلاق و إعاقة المعرفة والتقدم (الربانية) قد انتصرت في (إسرائيل) فما ذلك إلا لأن التصوف (الإيمان المطلق القائم على التسليم والعاطفة لا على العقل وهو قريب من التعصب الأعمى) الصهيوني لا يتماسك إلا بالرجوع إلى الدين الموسوي. ألقوا مفاهيم (الشعب المختار) و(الأرض الموعودة) ولسوف ينهار أساس الصهيونية[٩٢]*، ولذلك نجد أن الأحزاب الدينية تستمد قوتها بشكل متناقض في التواطؤ بين الصهيونية واللا أدريين. لقد فرض التماسك الداخلي في الكيان الصهيوني لـ(إسرائيل) على قادتها تقوية سلطات الكهنوت. وقد كان الحزب الاجتماعي الديمقراطي (الماباي) –بالتحريض من بن غوريون- هو الذي جعل دراسة الدين إجبارية في مناهج المدارس وليست الأحزاب الدينية»[٩٣].

واليهود أنفسهم يعترفون أنهم عاشوا طوال سنوات الشتات في أحياء الجيتو وهم يعتقدون أن الجيتو مكان مؤقت «يحفظ الله فيه الأمة وروحها إلى أن يحين الوقت الذي يشاء فيه أن يعيد[٩٤]* (شعبه) إلى (أرضه) وحريته»[٩٥].

ويؤمن اليهود بعقيدة المسيح المنتظر (المسيا أو الماشيح) الذي هو من نسل داود، وأنه سيجمع (شتات) اليهود ويعود بهم إلى الأرض المقدسة ويحرر (أرض إسرائيل).

92 ذلك ما كتبته منتصف ثمانينات القرن الماضي وأنا أعد النسخة الأولى لهذه الأبحاث ولم أكن اطلعت على هذا الرأي وأمثاله.
93 رجاء جارودي، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة وتعليق وتقديم عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، ص٢٤١.
94 نُعيد التأكيد هنا على ما سبق التأكيد عليه، نحن لا نؤمن بحق اليهود دينياً في العودة، ولا لغة، دينياً لأن كل نبوءات التوراة والأناجيل تعني المسلمين الورثة الشرعيين لتركة الأنبياء والرسل جيمعاً عليهم الصلاة والسلام، ولغة، لأن كملة عودة لليهود خطأ، لأن العودة تكون لمن كان سابقاً يعيش في المكان الذي يعود له أو سيعود له، واليهود الحاليين معظمهم لا يمتون بأدنى صلة دم لبني إسرائيل أو القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية، وهم يهود خزر في معظمهم، والبقية من نفس جنسيات الأقوام التي يعيشون بين ظهرانيهم! (الباحث)
95 بداية المؤامرة، اتحاد طلبة فلسطين، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٤.

جاء في قانون «الإيمان اليهودي»: «إن ما ضمن بقاء الشعب اليهودي عبر الأجيال، وأدى إلى خلق (دولة) هو رؤيا المسيح المنتظر لدى أنبياء إسرائيل، ورؤية خلاص الشعب اليهودي ومعه الإنسانية جمعاء! و(دولة إسرائيل) هي أداة لتحقيق هذه الرؤيا عن المسيح المنتظر»[٩٦]. ومن الجدير بالذكر أن اليهود يفرقون بين (أرض إسرائيل ودولة إسرائيل): «فـ(دولة إسرائيل) التي أقاموها الآن في فلسطين هي في عقيدتهم ليست (أرض إسرائيل) كلها و إنما أقاموها حتى يوطئوا ويهيئوا الجو وييسروا الإسراع بمجيء المسيح المنتظر الذي سيحكم (أرض إسرائيل) وليس (دولة إسرائيل) فقط»[٩٧].

لقد استطاعت اليهودية كدين وليس كثقافة – حسب فهم الكتاب العلمانيين – أن تحافظ على ربط اليهودي من أي جنسية كانت بما أدعته (أرض الميعاد) طوال تاريخهم، ولم يكن ذلك الارتباط ارتباط ديني وروحي فقط، ولكن ارتباط سياسي أيضاً! يقول (إبراهيم عبد الكريم): «على خط الاتصال بين الماضي والمستقبل في اليهودية، خلافاً للحالة اللاهوتية الغربية التي استقلت عن السياسة، لذلك ظلت الصهيونية تحتوي داخلها استمرارية العلاقة التقليدية بين اليهودية والسياسة، وبقيت الرؤية اليهودية في جميع أشكالها ترفض الفصل بين الدين والدولة. وحافظت الصهيونية على بنيتها الخاصة ، فانطوت على التعددية في هويتها الذاتية (بتعبيراتها الدينية والأيديولوجية والسياسية) إلى جانب التماثلية في هويتها العالمية (بتعبيراتها شبه القومية) واتسمت التوجهات الصهيونية بجهوية متكاملة عبر التركيز على نقل اليهودي/ الإنسان من فضاء الانعتاق والمواطنة إلى أسر الانتماء لمعزل أيديولوجي قوامه الأمة اللامكانية المصطنعة المتمايزة عن محيطها الاجتماعي، وتسخير هذه الأمة في مشروع سياسي متعدد الأهداف».[٩٨] وذلك ما انتهَ إليه الكيان الصهيوني في تشريع (قانون القومية)! خلاصة القول: أن اليهودية كدين لها غايات سياسية، وأن التوراة ككتاب للدين اليهودي لها معنى سياسي، تعبر عنه عقيدة المسيا اليهودية.

96 الصهيونية بين تاريخين «قسمين»: القسم الأول–السفير عبد الله النجار، القسم الثاني،–الدكتور كمال الحاج، الطبعة الأولى، كانون الثاني /يناير ١٩٧٢م، دار العودة ، بيروت،ص٢٤٠. أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، مرجع سابق، ص٢٢٤.

97 بداية المؤامرة، مرجع سابق، ص٢٤.

98 المنظمة الصهيونية وإسرائيل ويهود العالم تفاعلات الحاضر وآفاق المستقبل، إبراهيم عبد الكريم، أعمال ندوة الحركة الصهيونية والصراع العربي– الإسرائيلي في مائة عام دروس الماضي وآفاق المستقبل ، مجموعة من الكتاب، (١٤–١٥ مايو/أيار ٢٠٠٠)، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ص٢٠٦).

الخداع والتضليل الصهيوني

اليهود طوال عصورهم التاريخية يؤمنون بعقيدة المسيح المنتظر (المسيًّا أو الماشيح) الذي هو من نسل داود وأنه سيجمع شتات اليهود ويعود بهم إلى الأرض المقدسة ويحرر (أرض إسرائيل) من الأغيار، ولكنهم يختلفون في فهمهم حول الأسلوب والطريقة التي سيتم بها تحقيق هذه العودة، فمنهم من يؤمن بأنها عودة سلمية، ومنهم من يؤمنون بأنها ستكون بالقوة. و إن كان المفكرين الصهاينة الأوائل لم يجروءا على الحديث عن القدس خوفاً من أن تكتشف دولة الخلافة الإسلامية العثمانية التي كانت وصية على المسجد الأقصى أمرهم، فتفشل اليهودية في تحقيق أهدافها، إلا أنهم مع ضعف الخلافة العثمانية بدءوا يتحدثون عن أهدافهم الخبيثة في القدس دون بنوع من التلميح دون التصريح. وقد كان أول من تحدث بشيء من الصراحة عن القدس المفكر اليهودي الألماني (موسى هس) عام ١٨٦٢م في كتابه «روما والقدس»، الذي دعا فيه إلى إعادة بعث اليهود كأمة، و إقامة مجدهم الرباني في القدس. يقول: «ولكي نبعث الأمة اليهودية إلى الحياة ثانية يتوجب علينا أن نبقي فكرة البعث السياسي لأمتنا حية أولاً وأن نوقظ هذا الأمل حيث بدأ يغط بسبات عميق ثانياً. وعندما تتهيأ الظروف السياسية في الشرق لدرجة تسمح لتنظيم عودة الدولة اليهودية للحياة تكون هذه العودة بتأسيس (مستعمرات) في أرض أجدادنا ولا شك أن المساعي الفرنسية تمد لنا يد العون»[٩٩]. كما أنه وضع شرطاً لعودة اليهودي إلى فلسطين وهو: «أن يعاد التقليد الديني للتضحية إلى القدس الجديدة»[١٠٠].

ويكشف المفكر والشاعر الصهيوني (حاييم نخمن بيالك) في كلمته التي ألقاها في حفل افتتاح (الجامعة العبرية) في القدس في ١٩٢٥/١/٤م يكشف عن البعد العالمي للقدس في عقيدة اليهود والفكر الصهيوني وسيادتهم العالمية، فيقول: «وفي هذا اليوم ستصل الأنباء السارة إلى جميع عائلات إسرائيل المبعثرة في كل مكان بأن أول وتد في عملية تشييد القدس العالمية فقد ثبت اليوم وللأبد»[١٠١].

وأضاف داعياً شباب اليهود لإشعالها ناراً مقدسة لبناء القدس الأرضية التي من دون بنائها لن يتسنى للرب إلههم دخول القدس السماوية، فقال: «إنه من الواجب علينا أن نشعل مثل هذه النار المقدسة ضمن جدران البيت الذي افتتحناه الآن على جبل سكوبس.

99 الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، مرجع سابق، ص ٣٦.
100 المرجع السابق، ص٣٨.
101 المرجع السابق، ص١٧٣.

فليبنِ هؤلاء الشباب القدس الأرضية بالنار وليبنِ أولئك الذين يعملون داخل هذا البيت القدس السماوية بالنار أيضاً»[102].

وتتضح المكانة السامية للقدس وأهميتها في مشروع اليهود العالمي أكثر ما تتضح في فكر مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة، اليهودي الماكر الخبيث، الذي استطاع أن يضلل الغافلين من أبناء الأمة عن حقيقة تعصبه الديني لعقيدته اليهودية، (بنيامين تيودور هرتزل). وتتجلى هذه الحقيقة والأهمية للقدس في فكر هرتزل من خلال إدراكه لأهمية القدس عند أتباع الرسالات السماوية الثلاثة، وانتهاجه أسلوب الخداع والمراوغة والتضليل على حقيقة نوايا اليهود من القدس عند مقابلته للزعماء النصارى غير المتعاطفين مع الحركة الصهيونية. لذلك طرح فكرة تدويل مدينة القدس، و إبقاء الأماكن المقدسة خارج سيطرة الكيان الصهيوني المزمع إقامته بالاغتصاب في فلسطين. فقد كتب في يومياته بعد رفض القيصر الروسي مقابلته، بأنه يمكن إيجاد حل للاماكن المقدسة وذلك بوضعها خارج نطاق الحكم باتفاق جميع القوى. وبإعادة تنظيم الأحوال ستكون الأماكن المقدسة في مأمن أفضل مما هي عليه الآن الأمر الذي يكون أفضل لمشاعر العالم المسيحي[103][104]*.

أما حقيقة موقفه من القدس فقد كتبه في يومياته بتاريخ ١٩٠١/٩/٢٣م، أي قبل سنين من لقائه بابا الفاتيكان في ١٩٠٤/١/٢٥م، وهو يجمل له خبثه وشره بكلمات الإعجاب بالكنيسة الكاثوليكية وتاريخها وفنها، حيث كتب عن القدس وعن إله النصارى – حسب اعتقادهم الباطل - يقول: «عندما أتذكرك في المستقبل، فإن ذكرياتي ستكون سعيدة. إن عفونة ألفي من اللا إنسانية، والظلم والوسخ تنبعث رائحتها من شوارعك الضيقة، إن الرجل – يقصد المسيح عليه السلام - الذي كان موجوداً فيها طيلة ذلك الوقت، الناصري الحالم لعب دوراً في زيادة الكراهية لنا. فإذا ما حصلنا على القدس يوماً، و إذا كنت لا أزال نشيطاً أستطيع أن أقوم بالأعمال سأبدأ بتنظيفها قبل كل شيء.

102 المرجع السابق، ص١٧٩.

103 يوميات هرتزل: إعداد أنيس صايغ، مرجع سابق، ص١٣٢.

104 هذا النص وغيره لهرتزل سبق أن نقلته عن كتاب «يوميات هرتزل» نسخة ورقية عام ١٩٨٥، كالتالي: «... أفضل لمشاعر العالم الإسلامي»! ولكن عندما عدت لنسخة الكترونية لتدقيق النص تفاجأت بالنص المثبت في المتن! وظننت أني أخطأت في النقل فعدلت النس الأول، ولكني وأنا أدقق بعض النصوص من كتاب الأستاذ (حسن الباش، القدس بين رؤيتين)، وجدته مستشهد بنفس النص الأول «أفضل لمشاعر العالم الإسلامي»، (صفحة ٨٣) وليس المسيحي! والمرجع نفسه «يوميات هرتزل» (صفحة ١٣٢)!
فأردت لفت انتباه القارئ إلى ذلك، وأن النص الأول هو الأدق، لأن قيصر روسيا أو قيصر ألمانيا وغيرهم كان أحد أسباب رفضهم تأييد الحركة الصهيونية خشيتهم من الغايات اليهودية في القدس وخطورتها على المقدسات النصرانية، وخشية من استثارة مشاعر المسلمين والسلطان عبد الحميد خاصة، مما قد يتسبب في تطور الأحداث! وما يجعلنا نميل إلى صحة النص الأول أن العالم الغربي كان متواطئ مع الصهاينة، والبابا نفسه كانت معارضته سلبية! أضف إلى ذلك محاولات حاييم وايزمان الاتصال بمسلمي الهند وباكستان وطمأنتهم نحو المقدسات الإسلامية في القدس، والحصول على مواقفهم على وجود يهودي في فلسطين، يؤكد صحة النص الأول!

سأبدأ بإزالة كل ما هو ليس مقدساً، وسأقيم بيوت المال خارج المدينة، وسافرغ أعشاش القاذورات أحرق الآثار العلمانية – يقصد المساجد والكنائس- وأنقل الأسواق إلى غير موضعها الآن. وعندها أبقي على النمط المعماري القديم بقدؤ الإمكان، وأبني حول الأمكاكن المقدسة – يقصد أماكن العبادة اليهودية – مدينة مريحة منشرحة صحيحة»[105].

كان هرتزل يولي اهتماماً كبيراً لكسب رأي البابا إلى جانب مشروع اليهود، فهرتزل تحرك لحل مشكلة اليهود من خلال برنامج عمل موضوع مسبقاً، ولم يوضع بعد محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي (دريفوس)، الذي اتهم بالخيانة، وادعى أنها كانت سبباً في تحوله إلى الصهيونية، لذلك حاول الاتصال بالبابا منذ وقت مبكر، حيث نجح في ١٨٩٦/٥/١٩م بمقابلة القاصد الرسول في فينا، وقد طلب منه مساعدة البابا للمشروع الصهيوني ولكنه فشل في ذلك. ولم يثنه ذلك الفشل عن المحاولة مراراً إلى أن تحقق له ذلك في ١٩٠٤/٤/٢٥. وقد بدأ حديثه مع البابا بالمراوغة ومحاولة التمويه عن حقيقة غايات اليهود نحو القدس، وقد وصف تلك المقابلة في يومياته فكتب:

بدأه البابا بالقول: «لا نستطيع أن نقبل بهذه الحركة. لا نقدر أن نمنع اليهود من الذهاب إلى القدس – ولكن لن نرضى به رسمياً أبداً. إن لم يكن دائماً مقدساً، فقد قدسته حياة المسيح الذي عاش عليه، وكرئيس للكنيسة لا أستطيع أن أقول غير هذا. لم يعترف اليهود بسيدنا لذلك لا نستطيع أن نعترف بالشعب اليهودي. وهكذا ابتدأ مرة ثانية النزاع بين روما. التي يمثلها البابا وبين القدس التي أمثلها أنا»[106].

يبدو أن هرتزل لم يكن يشعر داخل نفسه أنه المتحدث الرسمي باسم اليهود فقط، بل المتحدث الرسمي باسم القدس، دلالة على ملكيتهم وحدهم لها! وكما أن عدم ذكره لليهودية كدين هنا وذكره «القدس» فقط، دلالة على مركزية القدس في الفكر الصهيوني الديني، وتأكيداً على أن اليهودية بدون القدس لا شيء كما قال بن غوريون بعد ذلك! ويقول: «وحاولت في البدء أن أكون مسالماً وتلوت عليه مقطوعتي عن إخراج مدينة القدس عن نطاق حكم الدولة، و إبعاد الأماكن المقدسة عن مناطق العمل، ولكن ذلك لم يترك فيه أي أثر، وأعاد قوله أن القدس يجب ألا تكون بأيدي اليهود. فسألت: (وحالها الراهنة؟ يا قداسة البابا). قال: أعرف أن كونها الآن في حوزة الأتراك سيء، وهذا ما علينا تحمله، ولكن لايمكن أبداً أن ندعم اليهود في الاستيلاء على هذه الأماكن المقدسة؟

105 المرجع السابق، ص١١٩.
106 المرجع السابق، ص٣٢٣ – ٣٢٤.

قلت: إن غايتنا هي فقط تخفيف آلام اليهود ولا غاية دينية لنا أبداً.

أجاب: (نعم ولكننا، وخصوصاً أنا رئيس للكنيسة، لا يمكن أن نقبل بهذا. أي أن هناك إمكانيتين. إما أن يظل اليهود متمسكين بإيمانهم ويظلون ينتظرون المسيح، الذي بالنسبة لنا قد جاء، وبهذا يكونون منكرون ألوهية المسيح ولا نستطيع مساعدتهم، أو يذهبوا إلى فلسطين بدون إيمان، وهذا بالطبع يجعلنا أقل عطفاً عليهم ونصرة لهم. إن ديانة اليهود هي أساس ديننا ولكنها أُلغيت بتعاليم المسيح، ولا يمكن أن نقر لها بأكثر من هذه الحقيقة. فاليهود الذين كان يجب أن يكونوا أول من يعترف بالمسيح لم يعترفوا به حتى اليوم»[١٠٧].

كان هرتزل يظن أنه ذكي وأن الذكاء وحده يكفي – كما قال عنه السلطان عبد الحميد - لأن يقنع الآخرين بكذبه، ومحاولة تحريض البابا ضد الأتراك لصالح اليهود، وكأن الآخرين يجهلون غايات اليهود؟! وقد كان هرتزل يهودي يقظ ومدرك لحساسية الموقف البابوي من القدس وخوفه من خطر أطماع اليهود فيها، لذلك حاول جهده المراوغة والتمويه عن حقيقة موقفه من القدس، ولكن ذكائه فشل أمام يقظة وفطنة البابا لاطماع اليهود في القدس. لذلك عاد هرتزل إلى الكذب محاولاً خداع البابا عندما سأله البابا:

«أيجب أن تكون هذه الأرض القدس؟»

«نحن لا نطلب القدس، نطلب فلسطين، الأرض غير المقدسة منها»

«لا يمكننا أن ندعم هذا».

وكان رد البابا النهائي: «لالا نستطيع»[١٠٨].

وقد كان رفض البابا لطلب هرتزل كم(أوضح الكاردينال «ميري دي فال) لهرتزل راجع إلى أسباب دينية تتعلق بعدم إيمان اليهود بالمسيح. لذلك ركز اليهود جهدهم منذ ذلك التاريخ على تغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية والبابا من اليهود، لمعرفة بخطورة ذلك الموقف على مستقبل جهودهم وخاصة في ما يتعلق بمدينة القدس التي هي جوهر المشروع الصهيوني، وقد نجحوا في ذلك أيما نجاح!

107 المرجع السابق ص٣٢٤.
108 المرجع السابق، ص ٣٢٤.

والخداعنفسه مارسه حاييموايزمنأثناء سعية للحصول على وعدمن بريطانيا بمنحهم أرض فلسطين، ففي اجتماعه مع مارك سايكس (الطرف البريطاني في اتفاقية سايكس – بيكو)، قال مخادعاً: «... وأوضحنا كذلك أن كل هذا الذي نريده في فلسطين لا علاقة له بالأماكن المقدسة التي لا نعارض في وضعها تحت الإشراف الدولي»[١٠٩].

إعادة تخطيط مدينة القدس

ولأهمية القدس في المخططات اليهودية - الغربية وحرصهم على إخراجها من أيدي المسلمين نهائياً، فقد كان لديهم مخططات مرسوم مسبقاً قبل احتلالهم مدينة القدس، وتلك المخططات لم تكن على مستوى القيادة العليا للدولهم فقط ولكن كان قادة الجيوش على علم بهم، ولديهم نفس الاهتمام والتحفز لتنفيذه! فهذا قائد القوات البريطانية في الحرب العالمية الأولى الذي كان من ضمن مهامه احتلال فلسطين (سلفادور أللنبي)، نجده قبل احتلاله لبلاد الشام وليس للقدس، قد «استدعى (مالكين) مهندس الإسكندرية ليضع تخطيطاً للمدينة يحقق الهدف الصهيوني وقد قام الأخير بذلك خير قيام في مخططه الذي وضعه في عام ١٩١٨م فقد قسم المدينة إلى أربعة أقسام: البلدة القديمة وأسوارها.. المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، الدس الشرقية (العربية) القدس الغربية (اليهودية) وسمحت هذه الخطة بالبناء في القدس الغربية وجعلها منطقة صالحة للتطوير بينما منعت ذلك تماماً في البلدة القديمة وقيدته بشدة في القدس الشرقية وبذلك سمحت هذه الخطة بتعزيز الوجود الصهيوني في القدس، و إحكام تطويقها واستيطانها، لمنع أي توسع عربي محتمل ومحاولة السيطرة على الحكم البلدي للمدينة، ليتسنى السيطرة تماماً على المدينة وتحويلها إلى عاصمة «للدولة اليهودية»[١١٠].

واستكمالاً لتنفيذ المشروع المتعلق بالقدس، حضر إليها وفد يمثل اللجنة الصهيونية في لندن برئاسة حاييم وايزمان وذلك في شهر نيسان١٩١٨م. وفي أيار من عام ١٩١٨م طلب وايزمان من السلطة العسكرية التوسط لشراء الممر المؤدي لما يسمى حائط المبكى. وقدم ثمانين ألف جنيه ثمناً ولكن أهل القدس رفضوا ذلك بالإجماع[١١١]. كما أن حاييم وايزمان كان يدرك أهمية القدس بالنسبة للمسلمين ومخاطر المشروع اليهودي التوراتي عليها في نظر المسلمين،

109 مذكرات حاييم وايزمان، التجربة والخطأ، مرجع سابق، ص١٥٢ – ١٥٣.
110 خالد محمد غازي، القدس.. سيرة مدينة، دار القبس للطباعة–دار الهدى للنشر والتوزيع،القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٨م، ص١٥٤، ٥٥١.
111 حسن مصطفى الباش، القدس بين رؤيتين، مرجع سابق، ص٨٣.

ويتضح ذلك من بعض المساعي اليهودية لإقامة علاقات مبكرة مع الاتجاهات الإسلامية ذات التأثير السياسي والشعبي في الهند وباكستان، حيث العمق والثقل الإسلامي، والعاطفة والحمية الإسلامية الجياشة، والحراك والتفاعل والتضامن الشعبي القوي مع فلسطين، والعمل من أجل وحدة الأمة سياسياً، ونصرة قضاياها المصيرية. وفي محاولة من الصهيونية الحصول على موافقة القوى الإسلامية على مشروعها التوراتي في فلسطين، أو إبداء التعاطف والتسامح معه: «بإيحاء من بريطانيا أرسل حاييم وايزمان الزعيم الصهيوني إلى مولانا شوكت علي في الهند عام ١٩٢٤، يعرض عليه سكوت مسلمي الهند على السيطرة اليهودية في فلسطين، مقابل أن تكون القدس للمسلمين، مع ممر يصلها بيافا على المتوسط، وهو أمر رفضه شوكت علي بشدة»[١١٢]. من المعروف أن شوكت على كان صاحب فكرة المؤتمر الإسلامي العام الذي عُقد في فلسطين عام ١٩٣١، وقد فكر في ذلك منذ عام ١٩٢٤ هو والحاج أمين الحسيني عندما التقيا في مكة في موسم الحج ذلك العام.

لقد كانت العيون اليهودية ساهرة على التصدي لأي نزعة إسلامية متضامنة مع فلسطين والقدس منذ زمن مبكر، فقد قامت القوى اليهودية بتوظيف القوى الدولية المتحالفة معها للتصدي للنزعات الإسلامية التي تحرك مواقف الشعوب الإسلامية في آسيا و إفريقيا، وتبلور رؤيتها لما يجري في فلسطين، وتدفعها للتضامن معها. «ففي الثلاثينيات - القرن الماضي - تدخلت السلطات البريطانية في الهند بإيعاز صهيوني لمنع بعثة فلسطينية جمعت أموالاً لبناء جامعة إسلامية في القدس من تحويل هذه الأموال إلى فلسطين»[١١٣].

الجامعة الإسلامية التي كان مزمعاً إنشائها في القدس هي أحد مقررات المؤتمر الإسلامي العام.

كما تحولت القدس تدريجياً وبفضل التواطؤ بين الحركة الصهيونية والاحتلال البريطاني إلى مركز لنشاطات الحركة الصهيونية، فأصبحت مقراً للجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية، والصندوق التأسيسي «كيرن هيود»، والصندوق القومي اليهودي «هيكرن هكمت»،

112 محمد الأزعر «دكتور»، «مسارات الصهيونية و(إسرائيل) في آسيا تحولات الرؤى المتبادلة ومحدداتها»، أعمال ندوة الحركة الصهيونية والصراع العربي . الإسرائيلي مرجع سابق، ص٢٦٤.

113 المرجع السابق نفسه.

والمجلس الوطني للتشوف، أي الاستيطان، ومركز اللجنة القومية اليهودية عام ١٩٢٠م ، والتي كانت أعلى سلطة يهودية سياسية إدارية في فلسطين، والحاخامية الكبرى ثم كنيست «يسرائيل» الهيئة التمثيلية «للمستوطنين» اليهود في القدس، ثم افتتحت الجامعة العبرية في القدس سنة ١٩٢٥م، ومستشفى هداسة الجامعي عام ١٩٣٩م. وقد كان الهدف من عمليات التهويد طمس هوية القدس الحقيقية التي يمثلها أهلها الذين استقروا فيها عبر العصور ولاسيما بعد الفتح الإسلامي وسيطرة الحضارة الإسلامية[١١٤]. وفي مطلع الثلاثينات كان الوزير البريطاني اليهودي اللورد (ميلشيت) قد كشف عن النوايا الصهيونية الحقيقية تجاه المسجد الأقصى عندما قال: «عن يوم إعادة بناء (هيكل سليمان) قد اقتربت، وسأصرف بقية حياتي في السعي لإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى»[١١٥].

اليهودية تمنع اليهود من دخول الحرم ولا وجود للهيكل!

قبل أن نكمل حديثنا عن المخططات الصهيونية (كيان العدو الصهيوني الرسمي) لهدم المسجد الأقصى و إعادة بناء الهيكل المزعوم، نود أن نثبت حقيقة دينية يهودية يعلمها حاخامتهم وساستهم، ولكنهم لا يلتزمون بها لأنهم منهم مَنْ يؤمن بضرورة الفعل البشري اليهودي لتحقيق الوعود التوراتية، وهي:أن الدين اليهودي يُحرم على اليهود ضم القدس إلى الكيان الصهيوني، أو دخولهم إلى ساحات المسجد الأقصى. فقد اعترف ناحوم غولدمان رئيس الحركة الصهيونية ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي الأسبق، «بأن عدداً من الحاخامات اليهود أكدوا خاصة بعد عام ١٩٦٧م عندما ضم الكيان الصهيوني القدس لكيانه أنه لا وجود لنصوص تلمودية تأمر وتنهي بشأن ضم القدس».

يقول غولدمان: «عندما قررت الحكومة الإسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧م بقليل ضم القدس اقترح اليد موشي حاييم شابيرو الذي كان آنذاك رئيس حزب المتدينين (مزراحي) ضد قرار الضم وكان رجلاً معتدلاً يتمتع بحكمة سياسية واسعة. لقد نفى هذا العلامة نفياً قاطعاً أن يكون هنالك أوامر ونواهٍ ذات أصل ديني تنص على ضرورة ضم القدس»[١١٦].

114 قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين، مجموعة من الكتاب، مركز دراسات الشرق الأوسط، دراسات (٢٤)، عمان-الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص٦٨.

115 خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص١٩٢.

116 حسن مصطفى الباش ، مرجع سابق، ص٨١ ، ٨٢.

كما ذكرت صحيفة «القدس» الفلسطينية في تقرير لها أن أشهر علماء الآثار في (إسرائيل) ويدعى (مائير بن دوف) قال عن الزوبعة الصهيونية حول أعمال الترميم في المسجد الأقصى بأنها غير مبررة و إنها لأغرض سياسية. وأكد (دوف) عدم صحة ما يقال عن أن بقايا الهيكل موجودة أسفل الحرم القدسي، وأكد أن الدين اليهودي يمنع منعاً باتاً اليهود من الدخول إلى الحرم. وأشار إلى ما تقوم به الحركات اليهودية مثل (جماعة أمناء الهيكل) بقيادة (غرشون سلمون) ليس من تعاليم اليهود وأنه خروج على شريعتهم. من جانب آخر أكد (دوف) أنه خلال مسيرة الحفريات والدراسات التي أجريت خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية تبين أنه لا يوجد هيكل أسفل الحرم «أي لا توجد بقايا من ذلك الهيكل»! غير أن هذه التصريحات دفعت (تيدي كوليك) رئيس بلدية القدس وهو المتطرف المعروف و(شلومو بن عامي) المصنف في خانة الحمائم في حزب العمل إلى رفض هذه التصريحات مؤكدين أن الحرم تحته الهيكل وأن (حائط المبكى) أيضاً يملكه اليهود حتى قبل أن يدخل المسلمون إلى فلسطين[117]. كما أكد المؤرخ اليهودي (يهودا رايمان) أنه لم يتم العثور على أي دليل أثري يمكن أن يكون أساسا للاعتقاد أن المسجد الأقصى قد أقيم على أنقاض جبل الهيكل، بل إن (رايمان) يشكك في حقيقة أن يكون هناك أصلاً هيكل في المكان[118].

مركزية القدس والهيكل في سياسات حكومات العدو الصهيوني

كما أن القدس والهيكل لدى واضعي الدين اليهودي وكتبة أسفاره وكتبه الدينية تحتل المكانة الدينية الأولى والأعلى في العقيدة اليهودية، وكما أنها كانت حاضرة لدى القادة المؤسسين للحركة الصهيونية والساسة والمفكرين الصهاينة ولم تغيب عنهم، وكانت تحتل حيزاً كبيراً من جهودهم كما أوضحنا، ولكنهم لم يصرحوا عن حقيقة نواياهم وأهدافهم الدينية فيها بشكل مباشر حتى لا يستثيروا مشاعر المسلمين والنصارى في العالم خشية على مستقبل مقدساتهم ومكانتها الدينية في عقائدهم، فإنها كانت على رأس أوليات الحكومات الصهيونية المتعاقبة بعد اغتصابهم فلسطين و إقامة كيانهم الصهيوني فيها. وسنعرض لأهم السياسات الحكومية الرسمية الصهيونية تجاه القدس والعمل على تهويدها وتغيير معالمها التاريخية والدينية والآثارية والواقع السكاني والاجتماعي والاقتصادي ... وتوحيد شطريها و إعلانها عاصمة موحدة وأبدية للكيانهم المغتصب لفلسطيننا.

117 محمد عبد الرحمن، دخول «الحرم» مخالف لتعاليم «الديانة اليهودية»، أشهر عالم آثار إسرائيلي ينفي وجود الهيكل، صحيفة السبيل الأردنية.

118 صالح محمد النعامي، هدم الأقصى.. طبخة يعدها «البلدوزر» مع اليمين واليسار – غزة، اسلام اون لاين نت، شؤون سياسية، القضية الفلسطينية، بتاريخ ٢٠٠١/٨/١.

دافيد بن غوريون وفرض سياسة الأمر الواقع

قد يكون بن غوريون من أكثر اليهود الصهاينة الذين أفصحوا عما تمثله الرؤية المسيحانية في الفكر الديني الصهيوني الحديث، وأنه أكثر مَنْ أظهر الناحية المسيحانية في الحركة الصهيونية، فهو ينظر إلى «الحركات المسيائية التي ظهرت بين اليهود على يد المسحاء الكذبة بمثابة تعبير حي ومتجسد عن التوق إلى الوطن والتطلع نحو الخلاص وهم المشاعر التي خفقت لها قلوب اليهود»[119]. كما أن فكرة الخلاص المسيحاني التي يؤمن بها بن غوريون كغيره من اليهود هي: «التي كان لها الفضل الأول في تحقيق الهدف الصهيوني و إقامة الدولة، وعلاوة على ذلك، ينبغي لها الآن أن تفعل في النفوس من جديد وتستعيد مجدها الغابر. أي أن وظيفة الفكر تكمن في التحقيق المستمر بغية الوصول إلى الأهداف التالية»[120]. والأهداف التالية هي: تهويد القدس، وهدم المسجد الأقصى، و إعادة بناء الهيكل المزعوم.

إذ أنه كان يعتبر أن لا معنى (للشعب اليهود) لو لم تغرس فيه الرؤية الخلاصية عند مجيء المسيح. كما أنه كان يرى أن رجوع اليهود إلى فلسطين وتجميعهم فيها هما من منجزات العصر المسيحاني، وأن فكرة العودة ليست فكرة بنسكر أو هرتزل أو غيرهم من الصهاينة الذين اتهموا باتباعها بعمالتهم للغرب من أجل تحقيق أهدافه في بلادنا. بل هم في نظر بن غوريون يهود بحثوا عن طريق ناجح لتحقيق الفكرة التي تضرب بجذورها إلى ما قبل (خراب الهيكل) على حد قوله: «إن فكرة العودة إلى صهيون و إحياء الدولة اليهودية ليست من اختراع بنسكر أو هرتزل. فالرؤية والأمل هما بعمر الغربة ذاتها، لا بل يرجعان إلى ما قبل (خراب الهيكل الثاني). وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة إرساء هذه الفكرة القديمة. بجذورها العميقة في حياة الشعب على أساس الحاجات المادية لدى اليهود الأوربيين، في القرن التاسع عشر، والبحث عن طريق عمل ناجحة لتحقيق الفكرة»[121].

ويرى بن غوريون أول رئيس حكومة للعدو الصهيوني أن الصهيونية: «تستمد وجودها وحيويتها من مصدر عميق عاطفي دائم، وهو مستقل عن الزمان والمكان، وهو قديم قدم الشعب اليهودي ذاته، وهذا المصدر هو الوعد الإلهي والأمل بالعودة،

119 أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، مرجع سابق، ص٢٢٦.
120 المرجع السابق، ص٢٢٨.
121 الصهيونية بين تاريخين، مرجع سابق، ص٣٠٣.

يرجع الوعد إلى قصة اليهودي الأول[122]* الذي أبلغته السماء: (سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضي بني كنعان ملكاً خالداً لك) هذا الوعد بوراثة الأراضي رأى فيه الشعب اليهودي جزءاً من ميثاق دائم تعاهدوا مع إلههم على تنفيذه وتحقيقه، والإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً في الدين اليهودي يردده الفرد في صلواته اليومية؛ إذ يقول بخشوع وابتهال: أؤمن إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح، وسأبقى – حتى لو تأخر - أنتظره كل يوم»[123]. وبناءً على هذا الفهم من بن غوريون للوعد الإلهي - كما يدعي - فقد قال في ١٩٤٩/١٢/١٥م: أن «القدس قلب قلوب دولة (إسرائيل).. وعاصمة (إسرائيل الأبدية)»[124].

لذلك تعامل بن غوريون مع قرار تقسيم فلسطين (١٩٤٧/١٨١) بخدعة لم يدرك العرب مغزاها إلا مؤخراً، وهو القرار الذي جعل للقدس كياناً منفصلاً خاضعاً لنظام دولي خاص - فكرة هرتزل سابقة الذكر - على أن تتولى الأمم المتحدة إدارته وتعيين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة. وقد رفض العرب فكرة التدويل على اعتبار أنها تسلبهم حقهم التاريخي والشرعي في السيادة على مدينة القدس، بينما قبل الطرف اليهودي – في خبث ودهاء - مشروع التدويل على مضض حتى يتمكن من إعلان (استقلال الدولة اليهودية)، وبعدها يحاول العدو الصهيوني فرض وقائع جديدة على الأرض.

وذلك ما تحقق فعلاً، عندما قامت قوات العدو الصهيوني باحتلال مناطق عربية واسعة في اللد والرملة ووطد طريقاً قوياً بين تل أبيب والقدس، كما بادر باحتلال حي القطمون العربي ذي الموقع الاستراتيجي الهام في القدس، وذلك قبل أسبوعين من إعلان قيام الكيان الصهيوني.

وقد استطاع العدو الصهيوني أن يضع أول لبنة في سياسة الأمر الواقع في اتفاق وقف إطلاق النار مع الأردن حيث تم تعيين خطوط وقف إطلاق النار في القدس وهي الخطوط التي أصبحت فيما بعد خطوط الهدنة في اتفاق الهدنة (٣ أبريل ١٩٤٩م) أو خطوط الأمر الواقع لتقسيم القدس إلى جزء شرقي وجزء غربي. كما قام العدو الصهيوني بعد ذلك برفض كل قرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة بشان تدويل القدس وانسحابه منها.

122 يقصد نبي الله إبراهيم الذي قال عنه ربه في القرآن الكريم: {ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً}.
123 سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، الطبعة الأولى، (لم يذكر مكان وتاريخ وجهة الإصدار)، ص٢٢.
124 محمد تيسير التميمي، حقيقة القدس التي يدعون، المركز القومي للنشر، الأردن، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٢٢٧.

وتأكيداً من العدو الصهيوني على أن القدس أصبحت عاصمة له قام بن غوريون في (١٤ ديسمبر ١٩٤٩م) بنقل مكتبه إلى القدس وتلى ذلك نقل عدة وزارات إلى المدينة، كما عقد الكنيست الصهيوني أول جلساته في القدس يوم (٢٦ ديسمبر ١٩٤٩م) وأعلن أن القدس هي عاصمة الكيان الصهيوني. وتكريساً للأمر الواقع قام العدو الصهيوني ابتداءً من (١٢ يوليو ١٩٥٢م وحتى يونيو ١٩٥٤م) بنقل وزارة الخارجية إلى القدس حتى تضطر الدول التي تتبادل التمثيل الدبلوماسي معها نقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس. ومن ناحية أخرى شرع العدو الصهيوني في إقامة مبنى جديد للكنيست في القدس بتبرع خاص من الثري اليهودي (جيمس دي روتشيلد) وتم إرساء حجر الأساس للمبنى في ١٤ أكتوبر ١٩٥٨م وافتتح بعد ذلك بثمان سنوات ٣٠ أغسطس ١٩٦٦م. هكذا هيا بن غوريون لخلفائه أمراً واقعاً في تهويد الشطر الغربي من القدس[١٢٥].

القدس في سياسات الحكومات الصهيونية بعد بن غوريون

بعد أن اعتزل بن غوريون الحياة السياسية عام ١٩٦٣ وعاد إلى كيبوتزه الخاص في (سيدي بوكر)، بتعيين (ليفي أشكول) رئيساً لوزراء حكومة العدو الصهيوني خلفا له. واصل أشكول ما بدأه سلفه بن غوريون لتكريس سياسة الأمر الواقع والتأكيد على أن الجزء الغربي من القدس عاصمة كيان العدو الصهيوني، فانتهز فرصة الاحتفال بتدشين المبنى الجديد للكنيست في٣٠ أغسطس ١٩٦٦م ودعا سفراء بعض الدول ورؤساء وأعضاء عدد من برلمانات الدول (٤٤ دولة) منها ١٧ دولة لا تعترف بالقدس عاصمة للعدو الصهيوني بالإضافة إلى دعوة وفود من معظم الجاليات اليهودية في العالم[١٢٦].

احتلال اليهود للقدس عام ١٩٦٧م

وقد تم احتلال القدس عام ١٩٦٧ في فترة حكم ليفي أشكول، ومنذ الساعات الأولى لاحتلالها بدأت تظهر ملامح السياسات والمخططات المستقبلية التي أعدها الاحتلال لمدينة القدس. فقد وصل الجنرال (عوزي نركيس) قائد القوات الصهيونية التي احتلت المدينة يوم احتلال القدس بتاريخ ١٩٦٧/٦/٧يرافقه حاخام الجيش الصهيوني (شلومو بن غورون)،

125 أحمد يوسف القرعي، القدس من بن غوريون إلى نتنياهو، مركز الدراسات العربي–الأوروبي، بحوث استراتيجية (٣)، واشنطن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، يراجع من ص١٧–٢١.
126 المرجع السابق، ص ٢٤.

وقد وقف الحاخام على رأس ثلة من الجيش الصهيوني بالقرب من الحائط الغربي من الحرم القدسي الشريف «حائط البراق» وأقام شعائر الصلاة اليهودية. وبعد أن نفخ بالبوق وجه رسالة إلى جيش العدو الصهيوني، معلناً في ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق، القدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهي عاصمتهم الأبدية[١٢٧]. قال فيها:

«أخاطبكم من (حائط المبكى) آخر أثر لهيكلنا، هذا هو اليوم الذي طالما تقنا إليه، دعونا نفرح ونبتهج». وأضاف وهو يشير بيده إلى المسجد الأقصى: «يجب أن نستمر على الصوم والتهاليل حتى نسترجع الهيكل من أعدائنا ونعيد بناءه ولن نمتنع عن ذلك حتى نسمع نغمات أطفال اليهود في أزقة المدينة القديمة وأغاني السبت من خلال نوافذ البيوت، وتؤدى الصلاة في هيكل سليمان الذي يجب أن نعيد بناءه». وتمثلت العقبة الكبرى أمام إعادة بناء الهيكل في وجود الأبنية الإسلامية في الحرم المقدس الشريف، وعندما سئل المؤرخ اليهودي (إسرائيل الدادا) ماذا سيكون مصير مسجد الصخرة في حالة الإقدام على بناء الهيكل أجاب قائلاً: «من يدري فلعل زلزالاً يقع فيدمر مسجد المسلمين»!

ثم أعقبهم موشي ديان وزير الحرب ووصف هذه اللحظة بأنها «اللحظة التي تتجاوز في أهميتها قيام إسرائيل»! فأغلق المسجد الأقصى وتم منع المصلين من إقامة صلواتهم فيه، فلم تقم صلاة الجمعة في المسجد الأقصى (٩ يونيو ١٩٦٧م) للمرة الأولى منذ فتح صلاح الدين المدينة فيما علا نواح اليهود، أمام حائط البراق، في حماية الجيش الإسرائيلي يوم عيد الغفران، وقيل أنها أول صلاة منذ ألفي سنة[١٢٨]. كما أنه قال في ٧ حزيران ١٩٦٧م عند احتلاله القدس ووقوفه على حائط البراق: «ها قد عدنا إلى هذا الهيكل الأقدس، ولن نبارحه أبداً»[١٢٩].

أما ديفيد بن غوريون فقد أجاب على كثير من الأسئلة الحائرة حول مستقبل مدينة القدس منذ بداية احتلالها عام ١٩٦٧م عندما قال: «مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات في أساسها، ولا حتى مسألة قدرة عسكرية، رغم أننا لا نستطيع حل كل مشاكل القدس بالقوة العسكرية وحدها، لكنها المرحلة الأولى لاحتلال القدس تعقبها بعد ذلك عدة مراحل، تتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي وأيضاً الديموغرافي»[١٣٠].

127* خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص١٦٢.
128* مجدي شندي، قبل أن تضيع القدس، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، دار المنى للإعلام العربي– القاهرة، ص٤٨.
129* أحمد عبد ربه بصبوص، القدس تناديكم، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، ص٢٨٦.
130* خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص٦.

كما أنه دعا علناً إلى هدم مدينة القدس بلا تردد بعد احتلالها مباشرة في ١٩٦٧/٦/١٩م حيث قال في مقر حزب رافي (قائمة عمال أرض «إسرائيل): «إن أفضل وسيلة لتحقيق المثل والأهداف الصهيونية هي هدم أورشليم (القدس) بصورتها الحالية بلا تردد، دون الحاجة إلى إضافة مبانٍ ومنشآت جديدة تقام فيها، وعليه فأنا أقترح التعجيل بهدم سور البلدة القديمة، لأننا نريدها أورشليم واحدة لا اثنتين... فهذه المدينة من صنع أحد السلاطين العثمانيين بناها في القرن السادس عشر»[١٣١]. وتحقيقاً للحلم الصهيوني بجعل القدس الموحدة عاصمة للكيان الصهيوني فإنه تم في (٢٧ حزيران ١٩٦٧م) «التصويت لصالح قرار ضم الجزء الشرقي من القدس إلى كيان العدو الصهيوني سياسياً و إدارياً»[١٣٢].

وبعد إعلان اليهود ضم القدس في ١٩٦٧/٦/٢٧م، عقد في القدس اجتماع، حضره حاخامو اليهود في العالم، وطالب الحضور بإعادة بناء الهيكل، فكان جواب وزير الأديان آنذاك (الدكتور زيرح فاهافنك): «لا يجادل أحد في أن هدفنا النهائي هو إقامة الهيكل ولكن الأوان لم يحن بعد وعندما يحين الموعد لابد من زلزال يهدم الأقصى ونبني الهيكل على أنقاضه»[١٣٣]. وأضاف «إن (الإسرائيليين) لا ينوون في المرحلة الحاضرة إعادة بناء هيكل سليمان، وأنه من الجميل إرجاء هذه الفكرة في الوقت الحاضر.. ولكن هذا لا يعني أن يمتنعوا عن القيام بعمل ما يستطيعون»[١٣٤].

لذلك شرع العدو الصهيوني في هدم بعض الأحياء العربية وأشهرها حي المغاربة، واحتلال البيوت والأحياء القريبة من حائط البراق وتحويلها إلى أحياء يهودية، وكذلك اغتصاب بعض المؤسسات العربية الموجودة في القدس وتحويلها لمقار وسكن يهودي. كما بدأت حكومة العدو الصهيوني إجراء الحفريات تحت المسجد الأقصى.

وفي إجابته (ليفي أشكول) عن سؤال في حديث خاص لمجلة «جويش اوبزرفر» في ٢٠سبتمبر ١٩٦٨م حاول طمس معالم وحقائق تاريخ القدس، وفي إشارة إلى الوضع النهائي المحتمل لمدينة القدس بعد احتلالها قال: «إن القدس عاصمة (إسرائيل) مدينة واحدة وقد كانت دائماً كذلك باستثناء التسعة عشر عاماً التي انقضت خلال الفترة من عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٦٧م.

131* قضية القدس ومستقبلها، مرجع سابق، ص١٧٦.
132* خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص١٦٢.
133* محمد هلال ، مرجع سابق، ص١٠٧.
134* خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص١٩٢.

وفضلاً عن هذا قد كان يعيش في هذه المدينة أغلبية يهودية لما يقرب من قرن حتى الآن. أما فترة التسعة عشر عاماً (١٩٤٨ – ١٩٦٧) فكانت فترة شاذة، فبأي حق استولى الأردنيون على الجزء الشرقي من القدس في عام ١٩٤٨م؟ ولقد عادت المدينة إلى وضعها السابق كمدينة واحدة غير مقسمة»[١٣٥]. ففي عهد ليفي أشكول بدأ مخطط تهويد شرقي القدس عملياً لجعله جزءً من القدس الموحدة.

القدس وحكومة جولدا مائير

بعد موت ليفي أشكول في شباط/فبراير ١٩٦٩م تولت رئاسة وزراء حكومة العدو الصهيوني (جولدا مائير)، وقد واصلت فرض سياسة الأمر الواقع التي بدأها بن غوريون، حيث بدأتها بأبشع جريمة عرفتها القدس وذلك محاولة إحراق المسجد الأقصى. فقد كانت الحفريات تحت المسجد الأقصى قد بدأت في عهد سلفها ليفي أشكول، وما إن عثروا على ما ظنوه دليلاً أثرياً يثبت أن المسجد الأقصى قائماً مكان الهيكل المزعوم، حتى سارعوا إلى جريمة إحراق المسجد الأقصى في ١٩٦٩/٨/٢١، التي قام بها اليهودي الأسترالي (دينس مايكل روهان)، الذي قدم لمحاكمة صورية على أنه مختل عقلياً، ولفقت أدلة جنونية، وانتهت الرواية بوضع المتهم في مستشفى الأمراض العقلية لفترة من الزمن، ثم أخلت سبيله بعد ذلك وأمرت بعودته إلى أستراليا[١٣٦].

وقد كان الحريق مؤامرة حكومية صهيونية لمعرفة ردة الفعل العربية والإسلامية، فبعد الحريق استدعت جولدا مائير رئيسة وزراء العدو الصهيوني آنذاك وزير الحرب الصهيوني موشي ديان، وسألته: ماذا فعلت؟. لأنها كانت تخشى ردة الفعل العربي والإسلامي. وبعد ثلاثة أيام عندما لم تجد ردة الفعل التي كانت تخشاها، استدعت ديان ثانية، وقالت له: ليتك دمرته كاملاً ولم تترك له أثر[١٣٧].

هذا الموقف العربي والإسلامي المتخاذل على محاولة العدو الصهيوني إحراق المسجد الأقصى شجع جولدا مائير وحكومات العدو الصهيوني من بعدها على الإسراع في تنفيذ مخطط تهويد القدس ومحاولة هدم المسجد الأقصى فقامت جولدا مائير باغتصاب مساحات واسعة من أراضي القدس والقرى العربية المحيطة بها لصالح المغتصبات الصهيونية،

135 أحمد يوسف القرعي ، مرجع سابق، ص٢٦.
136 خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص١٩٥.
137 حسن هدرج، قناة المنار اللبنانية، برنامج «ماذا بعد» في أسبوع ذكرى إحراق المسجد الأقصى عام ٢٠٠٤.

كما واصلت سياسة تهويد مدينة القدس وطمس معالمها العربية والإسلامية إلى أن اضطرت لتقديم استقالتها في نيسان/إبريل ١٩٧٤م في أعقاب هزيمة العدو الصهيوني في حرب رمضان/أكتوبر ١٩٧٣م.

القدس والحكومات الصهيونية إلى اتفاق أوسلو (مرحلة السلام)

خلف جولدا مائير في رئاسة وزراء حكومة العدو الصهيوني إسحاق رابين الذي واصل سياسة اغتصاب الأراضي والحفريات تحت المسجد الأقصى وتوسعة مدينة القدس لتقضم مساحة كبيرة من أراضي الضفة الغربية، في إشارة منه إلى النوايا الحقيقية للعدو الصهيوني تجاه القدس وتكريساً لسياسة الأمر الواقع التي بدأها ومارسها أسلافه منذ احتلال المدينة. وفي عهد مناحيم بيغن الذي تولى رئاسة وزراء العدو الصهيوني في مايو ١٩٧٧م وكانت المرة الأولى التي يفوز فيها تكتل الليكود الصهيوني برئاسة الحكومة، الذي سرعان ما وقع (اتفاق سلام) مع مصر خلافاً لكل التوقعات السياسية في ذلك الوقت. في عهده صدرت تصريحات تشير إلى حقيقة الموقف الصهيوني من القدس في أي تسوية نهائية للنزاع العربي - الصهيوني، وأن العدو الصهيوني لا يفكر في إعادتها يوماً إلى السيادة الفلسطينية أو العربية.

فقد أعلن موشي ديان بشكل واضح في خطابه أمام الأمم المتحدة في التاسع من أكتوبر ١٩٧٨م أن: «القدس بالنسبة لنا هي عاصمة (إسرائيل الأبدية)، وهي عاصمتنا الوحيدة وليس لنا سواها ولن نقبل غير ذلك سواء اعترف الآخرون أم رفضوا الاعتراف بها كعاصمة لنا. إن العاصمة الخالدة هي مقدسة (للديانات الثلاث) اليهودية والإسلامية والمسيحية ولكن الرابطة بيننا وبين القدس ليست دينية فقط، إنما رابطة قومية وهي الإلهام الذي جعلنا قادرين على الحفاظ على الهوية اليهودية والقومية اليهودية خلال تاريخنا، وخلال سيادتنا عليها أو مدة المنفى الطويلة»[١٣٨].

كما أكد مناحيم بيغن هذا الموقف في رده على رسالة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر حول رسالة الرئيس المصري محمد أنور السادات، التي أرسلها بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩م مستفسراً فيها عن مستقبل القدس، فكتب يقول: عزيزي السيد الرئيس:

138 مجدي شندي ، مرجع سابق، ص٦٧.

أتشرف بأن أبلغكم يا فخامة الرئيس أن البرلمان الإسرائيلي – الكنيست - نشر في٢٨ يونيو ١٩٦٧م وأبرم قانوناً يقضي بأن «الحكومة مخولة الصلاحية بمرسوم لأن تطبق القانون والسلطات التشريعية والإدارية للدولة على أي جزء من (أرض إسرائيل – فلسطين) كما حدد في ذلك المرسوم». وعلى أساس هذا القانون أصدرت حكومة (إسرائيل) مرسوماً في يوليو ١٩٦٧م يقضي بأن القدس هي مدينة واحدة غير مجزأة وعاصمة (دولة إسرائيل)»[١٣٩].

ذلك الموقف من بيغن شجع أعضاء في الكنيست الصهيوني على التقدم بمشروع قرار استثنائي عاجل في ٣٠ تموز/يوليو ١٩٨٠م يقر قانوناً شاملاً وجديداً لتهويد القدس وجعلها (عاصمة موحدة وأبدية) للكيان الصهيوني، وقد تقدمت به النائبة (جيئولا كوهين) وقد تم الموافقة عليه، ومنذ ذلك التاريخ اعتبرت القدس الموحدة العاصمة الأبدية للكيان الصهيوني وأطلقت اليد الصهيونية لتهويد القدس بشكل واسع ومفضوح. وقد قامت السلطات الإسرائيلية بتوسيع حدود بلدية القدس الشرقية من ٦ إلى ٧٣ كيلومتراً مربعاً، وأحاطت القدس الموسعة بطوقي استيطان، شمل الطوق الأول، المعروف بالقدس الكبرى، ٣٣٠ كيلومتراً مربعاً من أراضي الضفة الغربية، بينما شمل الطوق الثاني، المعروف بالقدس المتروبوليتانية، ٦٦٠ كيلومتراً مربعاً من الأراضي العربية المصادرة[١٤٠].

وفي فترة حكم إسحاق شامير أثناء الانتفاضة الأولى عاد شامير إلى إطلاق مزاعمه حول القدس كعاصمة موحدة لن يتم التخلي عنها، وذلك في تصريحات له في حزيران/ يونيو ١٩٩١م بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لاحتلال القدس عام١٩٦٧م، حيث قال: «إن إسرائيل لن تتخلى مطلقاً عن أي جزء – مما أسماه - بعاصمتها القدس بل وستقوم بتوسيعه شرقاً على حساب أراضي الضفة الغربية». وأضاف: «إن محاولة من جانب أي شخص سيئ النية لتقويض وحدة القدس وأمنها ستبوء بالفشل وأن أي محاولة لتخفيف حكمنا نحن عليها أو تغييره مرفوضة تماماً. إنها عاصمة (إسرائيل) وعاصمة (شعب إسرائيل)». وأخطر ما جاء في تصريحاته قوله أمام اجتماع مع مهاجرين يهود من روسيا: «إن عاصمتنا الأبدية ستكون مدينة السلام التي تستوعب السكان اليهود من جميع الطوائف دينية أو علمانية»[١٤١].

---

139 المرجع سابق، ص٦٤.

140-studies.* قضية القدس بين بعديها الديني والسياسي، ماهر الشريف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، enitselap.www//:ptth، ص٦./org/ar.

141 أحمد يوسف القرعي، مرجع سابق، ص٤٠.

ولا عجب فلنقرأ تقريراً نشرته هآرتس في ١٩٩١/٥/١٢م يقول فيه كاتبه (موشي راينيلر) جميع من يتخذون القرارات في إسرائيل يعتقدون أن وجود أغلبية يهودية كبيرة في إطار قضاء القدس هو شرط حيوي للمحافظة على وضع (إسرائيل) في القدس وسيطرتها عليها، ويجدر بنا أن نشير في هذا الشأن إلى أن السكان العرب بالقدس في حالة تزايد، صحيح أنه في السنوات ٨٦ - ١٩٨٩ تمت المحافظة على النسبة بين اليهود وغير اليهود في المدينة «٧٠.٧١٪ يهود و ٣.٢٨ غير يهود» إلا أنه جدير بالذكر أنه في عام ١٩٧٦ كان في القدس ٢.٧٤ يهود و ٨.٢٥ غير يهود[١٤٢].

القدس في مرحلة ما يسمى السلام

قبل أن نتحدث عن حقيقة النوايا الصهيونية حول القدس في مرحلة ما يسمى (السلام)، نريد أن نثبت أن من يصدق هذا الزعم فإنه يغفل عن حقيقة المفهوم اليهودي لـ(السلام العادل والشامل) المزعوم، وهي: أن عقيدة اليهود تؤمن بأن نهاية العالم والآخرة عندهم تتمثل في احتلال فلسطين وهدم المسجد الأقصى و إعادة بناء الهيكل و إقامة العرش الذي سيجلس عليه ملك يهودي من نسل داود. وعلى هذا فإن المخطط اليهودي التاريخي يهدف إلى إقامة الحكومة اليهودية العالمية التي أشارت إليها بعض نصوص التوراة المحرفة، مثل: «سيقوم الرب ويقيس الأرض ويجعل الأمميين تحت يد إسرائيل ويسلم جميع ممتلكاتهم إلى اليهود». ومثل: «ليفرح إسرائيل بخالقه وليبتهج بنو صهيون بملكهم وسيف ذي حدين في أيديهم كي ينزلوا نقمتهم بالأمم وتأديبهم بالشعوب وينفذوا فيهم الحكم المكتوب» سفر المزامير[١٤٣].

هذا المفهوم اليهودي لما يسمى (السلام) قد أكد عليه الحاخام اليهودي الذي حضر توقيع اتفاق وادي عربة بين الأردن وكيان العدو الصهيوني عام ١٩٩٤م، حيث قرأ المزمور ١٢١ من سفر المزامير وهو من أناشيد المراقي أو ترانيم المصاعد، وهذا نصه:

ارفع عيني إلى الجبال ، من أين تأتي نصرتي

نصرتي من عند الرب، صانع السماوات والأرض

فهو لن يترك قدمك تزل وهو الذي يرعاك لا ينام

إن حافظ إسرائيل لن ينام ولن ينعس

142 مجدي شندي ، مرجع سابق، ص٥٣.
143 محمد هلال ، مرجع سابق، ١٢٧.

الرب حافظ لك الرب ظل عن يمينك

فلا الشمس تؤذيك في النهار ولا القمر في الليل

الرب يحميك من كل سوء ويحفظ نفسك

ويرعاك في غدوك وجيئتك الآن وإلى الأبد

وهذا المزمور هو أحد المزامير التي يرددها الحجيج اليهود أثناء صعودهم إلى جبل صهيون، والذي يعبر عن ثقتهم بنصر الله والاطمئنان إلى حفظه لهم، وفيه إشارة من الحاخام أثناء توقيع الاتفاق على قرب سيادة يهود العالمية كما وعدتهم «التوراة المحرفة» - وليس كما يقرأ مشايخ السلطان في مثل هذه المناسبات آيات من القرآن الكريم تدعو إلى السلام بين الشعوب، وفي الوقت نفسه يكون معناها خلاف ذلك[١٤٤].

وقد بدأت مرحلة ما يسمى (السلام) بعد الهزيمة الكبرى التي نزلت بالأمة عام ١٩٩٠بسبب الغزو العراقي للكويت، واستقدام العدو الأمريكي المتصهين لتحرير الكويت وحماية إمارات الطوائف في المشرق العربي من خطر الأخ العربي ـ العراق ـ الذي يهدد وجودها بالزوال. فبعد احتلال الحليف الأمريكي المتصهين العراق، من أجل أن يثبت أقدامه في وطننا كان لا بد له من العمل على إنهاء الصراع مع العدو المركزي للأمة والوطن - العدو الصهيوني - واختلاق أعداء جدد لها يكونوا من أبناء جلدتها، ليشغلهم عن وجوده في وطنهم، ونهبه لثرواتهم، وتدميره لمقومات وجودهم وقوتهم، فكان مؤتمر مدريد لما يسمى «السلام» عام ١٩٩١.

وقد بدأ المؤتمر ولم يذكر أحد من راعيي المؤتمر - الولايات المتحدة وروسيا - كلمة عن القدس! وحين جاء دور إسحاق شامير رئيس وزراء العدو الصهيوني ليلقي كلمته أكد على ما سبق أن قاله هو وكل من سبقه من اليهود،

فقال: «نحن الشعب الوحيد الذي كانت أورشليم عاصمته، ونحن الشعب الوحيد الذي توجد أماكنه المقدسة فقط في (أرض إسرائيل)، ولم يعبر شعب عن علاقته، بأرضه بصورة ثابتة ومتواصلة مثلنا، فعلى مدى آلاف السنين عاد شعبنا في كل فرصة على قسم شاعر المزامير أن أنساك يا أورشليم فأنسى يميني، وعلى مدى آلاف السنين تمنينا لبعضنا البعض أن نكون في أورشليم في السنة القادمة».

144 المرجع السابق، ١٥٦، ١٥٧.

وواصل شامير أكاذيبه: «نحن الذين حرمنا خلال مئات السنين من الوصول إلى أماكننا المقدسة فإننا نحترم عقائد جميع الديانات في بلادنا ويضمن القانون (الإسرائيلي) حرية العبادة وحماية الأماكن المقدسة لكل ديانة»[١٤٥].

القدس بعد اتفاق اوسلو

بدأ العدو الصهيوني كلما تورط العرب فيما يسمونه (خيارهم الاستراتيجي السلام) يكشف عن حقيقة ما يبيته للقدس من مستقبل مظلم. فبعد توقيع اتفاق المبادئ بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والعدو الصهيوني في أوسلو يوم ١٩٩٣/٨/٢٠م، شرح إسحاق رابين في خطابه أمام الكنيست يوم ١٩٩٣/٨/٣١م قراءته لذلك الاتفاق حول القدس، قائلاً: «... أمر ثانٍ. أصررنا على أن لا يشمل الاتفاق القدس، لا في إطار التسوية الجزئية أولاً، ولا في إطار التسوية الشاملة، فالقدس لن تكون مشمولة في أي مجال من صلاحيات المجلس (الذي سينتخب) أو الهيئة التي ستدير شئون الفلسطينيين في المناطق (هيئة الحكم الذاتي)، فالقدس باقية تحت (السيادة الإسرائيلية) عاصمة لـ(إسرائيل)، وأقصد القدس الموحدة». وفيما يخص المغتصبات الصهيونية قال متابعاً: «والمستوطنات باقية لا تفكيك لها، لن نعود إلى هذا مرة ثانية، لا في الضفة الغربية ولا في قطاع غزة»[١٤٦]. كما أنه أعاد تأكيد موقفه هذا من القدس في خطاب توقيع اتفاق ما يدعى- السلام - في واشنطن عام ١٩٩٣/٩/١٣م قائلا: «لقد جئناكم من العاصمة السرمدية لـ(دولة إسرائيل)»[١٤٧]. وقد أعاد تأكيد هذه الحقيقة يوم توقيع «اتفاق أوسلو ٢» عام ١٩٩٥ مختتماً بها خطابه: «ستبقى القدس عاصمة (إسرائيل) الموحدة إلى الأبد»[١٤٨].

أما مهندس اتفاق أوسلو عن الطرف الصهيوني (شيمون بيريز) فقد تتالت له عدة تصريحات يكشف فيها أبعاد النوايا الصهيونية حول مدينة القدس في اتفاقيات الحل النهائي. فقد صرح لمحطة CNN يوم ١٩٩٣/٩/٢٨م: «ستظل القدس عاصمة (إسرائيل)، يمكن لعرفات أن يأتي للصلاة فيها، لكنها ستبقى موحدة وعاصمة (إسرائيل)». وقال فيها لمؤتمر رؤوساء المنظمات اليهودية الأمريكية في اليوم نفسه: «لا مجال لبرلنة القدس – نسبة إلى برلين - إنها هويتنا الروحية».

145 مجدي شندي ، مرجع سابق ص٧٣-٧٤.
146 أحمد صدقي الدجاني (دكتور)، الخطر يتهدد بيت المقدس، مركز الإعلام العربي، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص١٦٣.
147 محمد تيسير التميمي ، مصدر سابق، ٢٢٧.
148 القنوات الفضائية ووكالات الأنباء.

وقال فيها لاجتماع في جامعة برنستون يوم ١٩٩٣/٩/٢٩م «القدس ليست قبلة العرب، القدس لها الأولوية في سياستنا وديننا، ستظل القدس موحدة وعاصة لـ(إسرائيل) خاضة للسيادة (الإسرائيلية)، ومن مسئوليتنا أن نؤمِّن الأماكن المقدسة (المسيحية) والإسلامية واليهودية»[١٤٩]. كما أعلن في تل أبيب في ١٩٩٦/٥/٢٢م حيث كان يفترض في تلك الفترة أن تبدأ مفاوضات الحل النهائي للتوصل إلى تسوية نهائية خلال ثلاثة سنوات و إعلان الدولة الفلسطينية عام ١٩٩٩م، حسبما جاء في (اتفاق أوسلو)، أعلن قاطعاً الطريق على الفلسطينيين بأن تكون القدس عاصمة دولتهم: «القدس لن تدرج إطلاقاً في نطاق السلطة الفلسطينية ... ولن نتقاسم القدس في أي اتفاق كان ... إن القدس لم تكن عربية في يوم من الأيام، بينما لم يكن لـ(لشعب اليهودي) يوماً عاصمة غير القدس»[١٥٠]. لقد كان من أخطر نتائج اتفاق اوسلو، أنه حول الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ من أراضي محتلة إلى «أراض متنازع عليها»، وهذا سهل على العدو الصهيوني اغتصاب مزيداً من الأراضي المحتلة وهو مطمئن إلى عدم إدانته دولياً كما لو كانت هذه الأرض محتلة.

وفي عام ١٩٩٣م بدأت مرحلة من مراحل التهويد ورسم الحدود وهي رسم ما يسمى القدس الكبرى (المرتوبوليتان)، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها ٨٤٠ كم^{٢} أي ما يعادل ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية، لتبدأ حلقة أخرى من حلقات اغتصاب الأراضي و إقامة المغتصبات الصهيونية عليها خارج حدود بلدية القدس القديمة، الهدف منها هو إنشاء التواصل الإقليمي والجغرافي بين المغتصبات الصهيونية في الضفة الغربية وخارج حدود البلدية القديمة للقدس، بالإضافة إلى إقامة شبكة من الطرق بين هذه المغتصبات[١٥١].

وهذا يؤكد أن مفهوم العدو الصهيوني للسلام هو: السلام مقابل السلام، وليس السلام مقابل الأرض بحسب المفهوم العربي للسلام العادل والشامل. فالقدس أثمن عند العدو الصهيوني)مما يدعونه (السلام» كما قال الحاخام اليهودي (جوناثان بلاس): «إن السلام يعني الكثير لكن القدس شيء أثمن من السلام»[١٥٢].

149 أحمد صدقي الدجاني ، مرجع سابق، ص٧٦.
150 محمد تيسير التميمي ، مصدر سابق، ٢٢٧.
151 الاستيطان الصهيوني.. الأهداف والنتائج، خليل التفكجي، سلسلة أبحاث القدس، إشراف وحدة الدراسات والبحوث–مؤسسة القدس، بيروت لبنان.
152 خالد محمد غازي ، مرجع سابق، ص٦.

لذلك أصدر الكنيست الصهيوني في ١٠ مايو ١٩٩٤م قانوناً آخر يزعم فيه بأن مدينة القدس ستبقى موحدة إلى الأبد تحت سيادة «إسرائيل»[١٥٣]. وذلك رداً على احتدام المواجهة في المفاوضات الفلسطينية الصهيونية حول مستقبل القدس. وقد أعقب ذلك حملة اغتصاب جديدة وواسعة للأراضي الفلسطينية في مدينة القدس، فحسب الإحصائيات التي أعدها الباحث خليل تكفجي، لم يكن قد تبقَ حتى منتصف عام١٩٩٦، من أراضي القدس التي يمكن البناء عليها سوى ٤٪ يسعى العدو الصهيوني لاغتصابها. وحسب نفس الإحصائيات، فإن البناء للفلسطينيين في القدس يشغل فقط ١٠٪ من مساحة المدينة. وقد تم اغتصاب نحو ٧٦٪ من مساحة ما يسمي القدس الكبرى منذ توقيع اتفاق اوسلو وحتى نهاية فترة حكومة رابين وبيريز[١٥٤].

وقد كان بنيامين نتنياهو رئيس وزراء العدو الصهيوني أكثر وضوحاً في موقفه من القدس في كتابه «مكان تحت الشمس»، فقد أعاد إنتاج ما قاله رئيس وزراء العدو الصهيوني الأسبق (ليفي أشكول) عام ١٩٦٨م، حيث ضمنه نتنياهو برنامجه الصهيوني الليكودي لفترة حكمه ورؤيته للسلام الدائم حيث تحدث عن شرق القدس الذي لم يحتله العدو الصهيوني عام ١٩٤٨م على أنه جزء من القدس الموحدة تم اغتصابه من قبل القوات الأردنية واقتطاعه من القدس الواحدة، وأنه بعد أن تم احتلاله عام١٩٦٧م فقد عاد للسيادة الصهيونية، ولا حق لأحد في منازعتهم فيه، لأنه لا يوجد شيء خاص بالعرب في شرقي القدس فهذا الجزء من المدينة يضم الحي اليهودي الذي استطاع الجيش الأردني احتلاله في عام ١٩٤٨م، مدعياً أن الطائفة اليهودية كانت تقيم فيه من آلاف السنين، وأن هذه الحقيقة لم تمنع الأردنيين من قتل الكثيرين من أبناءها – علماً أنه لم يتم قتل أحد منهم ولكنه تم طردهم من شرق القدس[١٥٥]. وهذا فيه تأكيد للسيادة اليهودية المطلقة على القدس وعدم خضوعها لأي تفاوض في المستقبل.

ولأن اتفاق أوسلو قد ترك باب أغتصب الأراضي المحتلة مفتوحا، كما ترك مسألة تهويد القدس دون حسم، فقد بدأ نتنياهو بالوفاء بوعوده الانتخابية لناخبيه على حساب الحقوق الفلسطينية،

153 أحمد يوسف القرعي ، مرجع سابق، ص٤١.
154 أبو خالد العملة، أوسلو .. محطة لتهويد فلسطين،توزيع دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الأولى، أيلول ١٩٩٧، ص٧٧.
155 بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس،دار الجليل، عمان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩، يراجع الفصل التاسع (سلام دائم).

فقد سبق أن وعد ناخبيه بمضاعفة عدد المغتصبين الصهاينة في الضفة والقطاع خلال سني حكمه الأربع، ثلاثة أضعاف، من ١٥٠ ألفاً إلى نصف مليون. وقد دشين فترة حكمه بالبدء في إقامة حي صهيوني جديد على جبل أبو غنيم جنوبي شرق القدس، أسماه «هار حوما». وقد أكد شارون الذي كان آنذاك وزير البنى التحتية، أن الهدف من إقامة مغتصبة جبل أبو غنيم، هو منع وجود اتصال بين شرق القدس ومدينتي بيت لحم وبيت ساحور. وفي المقابل وفي أوائل أيار/ مايو١٩٩٧ وقع وزير الحرب الصهيوني إسحاق مردخاي على خطة توسيع مغتصبة معاليه أدوميم الواقعة في منطقة الخان الأحمر، في منتصف طريق القدس ـ أريحا، بهدف إيجاد أرضي بينها وبين القدس[١٥٦]. هذه هي الدولة الفلسطينية التي يتحدثون عن تواصلها الأرضي! كما ارتفعت نسبة اغتصاب الأراضي في فترة حكم نتنياهو من ٢٥٠٠دونم شهرياً إلى ٤٥٠٠ دونم[١٥٧].

أما فترة حكم رئيس وزراء العدو الصهيوني (أيهود باراك) فقد أسفرت عن حقيقة الموقف الصهيوني من القدس، من قبل أن تبدأ مفاوضات كامب «ديفيد ٢» عام ٢٠٠٠. فقد بدأ باراك حكمه بالتنكر لما وقعه سلفه بنيامين نتنياهو في اتفاق «واي ريفر» عام ١٩٩٨. كما بدأ فترة حكمه باتخاذ قرار إغلاق نافذة الجدار الجنوبي للأقصى، كخطوة من خطوات تطبيق سياسة الأمر الواقع وتكريس واقع الهيمنة والسيادة الصهيونية على كامل المدينة المقدسة بما فيها الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، ولإضفاء البعد الديني اليهودي والصبغة الدينية اليهودية على القدس باعتبارها "مدينة الآباء والأجداد" لديهم، وباعتبارها مدينة يهودية الطابع والواقع[١٥٨].

كما أنه أعلن لاءاته الخمسة الشهيرة قبل أن يذهب إلى كامب ديفيد، وهي: لا للعودة إلى حدود عام ١٩٦٧، لا لتفكيك المغتصبات الصهيونية الكبرى، لا للتخلي عن القدس العاصمة الموحدة والأبدية للعدو الصهيوني، لا لإقامة الدولة الفلسطينية ذات السيادة الكاملة، لا لعودة اللاجئين. وبناء على هذه اللاءات كان محكوماً على مباحثات كامب ديفيد بالفشل قبل أن تبدأ، خاصة وأن باراك أصر فيها على أن يتخلى الفلسطينيين عما سماه «إدعاء» امتلاكهم أي جزء في القدس، وعن حق السيادة على ما تحت سطح الحرم القدسي الشريف للعدو الصهيوني،

156 اوسلو .. محطة لتهويد فلسطين، مرجع سابق، ص ١٧٧، ١٧٨.
157 نايف حواتمة، اوسلو والسلام الآخر المتوازن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ١٠٩.
158 أضواء على المخططات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى ... الحلقة الثالثة، نواف الزرو، الخليج، ٢٠٠٤-٠٨-٠١.

ليستمر في عمليات الحفر حتى ينهار الأقصى وملحقاته، والتخلي عن حق العودة. وقد قالها باراك للرئيس الفلسطيني الراحل (ياسر عرفات) صارحه: إنك لن تجد أي رئيس وزراء صهيوني يجروء على التنازل للفلسطينيين عن السيادة عن القدس. ومع انطلاقة «ثورة الأقصى المبارك» بعد زيارة الإرهابي شارون لساحة المسجد الأقصى في ٢٠٠٠/٩/٢٨، أعلن باراك أن الحرب ضد الفلسطينيين هي المعركة الأخيرة في الحرب من أجل أرض (إسرائيل)، وأن حدود (إسرائيل) في هذه المعركة هي حيث يجري وضع آخر تجمع (استيطاني)، وأن (إسرائيل) على أعتاب وضع جديد، وأنه لم يعد هناك شريك لـ(لسلام) بين الفلسطينيين، ويجب ضرب الأهداف الفلسطينية والقيادة الفلسطينية بقوة. أما شلومو بن عامي وزير الخارجية، فقال: إن المجابهات الجارية مع الفلسطينيين هي المعركة الأخيرة الأكثر حسماً، منذ عام١٩٤٨ [١٥٩] .

وقد كانت فترة حكم رئيس وزراء العدو الصهيوني (أريئيل شارون) هي التنفيذ الحرفي لخلاصة تجربة سلفه باراك، بدء من تمسكه بدعوى باراك بعدم وجود شريك فلسطيني، مروراً بحرب الإبادة المفتوحة واغتصاب الأراضي الفلسطينية، انتهاء بلاءاته الثلاثة في مؤتمر هرتسيليا في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤: لا للعودة إلى حدود عام ١٩٦٧، لا للتخلي عن القدس، لا لحق عودة اللاجئين.

شارون يمهد لاغتصاب الأقصى

إن الحديث عن التطورات التي حدثت في فترة حكم الإرهابي شارون تمهيداً لهدم المسجد الأقصى يطول، ولكننا نقتطف بعضاً مما جاء في تقرير «لصالح محمد النعامي» يجمل فيه «طبخة شارون لهدم المسجد الأقصى»: إن كان هناك من يبحث عن دليل على اختلاف تعاطي حكومة شارون الحالية مع ملف القدس والأقصى خصوصاً عن الحكومات الصهيونية التي سبقتها، فإن السماح لما يعرف بـ(منظمة أمناء جبل الهيكل) اليهودية المتطرفة بوضع حجر الأساس لـ(لهيكل المزعوم) هو خير دليل على ذلك. فقد حرصت هذه المنظمة – طوال أكثر من عقد – على أن تتقدم بطلب لمحكمة العدل العليا الصهيونية للقيام بهذه الخطوة. وكانت المحكمة تشترط في كل مرة الحصول على إذن الشرطة للقيام بذلك، إلا أن الشرطة - وبناء على تعليمات الحكومات الصهيونية المتعاقبة - رفضت السماح بالقيام بهذه الخطوة، ولكن حكومة شارون أوحت للشرطة بإعطاء المنظمة هذا الإذن.

159 اغتيالات عامين تفوق ٥٠ عاما، عماد سيد أحمد، المركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٤/٣/٢٨م.

أما وزير الأمن الداخلي الليكودي (عوزي لانداو) فقال - في أعقاب اجتماع عقدته الهيئة القيادية للشرطة -: إن (إسرائيل) لا يمكنها أن تمنع اليهود للأبد من الوصول للمسجد الأقصى والصلاة فيه على اعتبار أن هذا حق طبيعي لهم.

وأضاف (بنيامين بن أليعازر) وزير الحرب الصهيوني، أحد قادة حزب العمل المدعى أنه يساري: أن على حكومة (إسرائيل) أن تتصرف بحكمة في كل ما يتعلق بالمسجد الأقصى، لكن عليها أن تعمل في الوقت ذاته على أن يعي الفلسطينيون والعرب والمسلمون أن الوضع القائم حالياً في المسجد وضع لا يمكن أن يستمر إلى الأبد، ويضيف (بن أليعازر) في تصريحات للتلفزيون الصهيوني بتاريخ (٢٥-٧-٢٠٠١) أن اليهود «يتعرضون لتمييز عنصري» واضح في كل ما يتعلق بالصلاة في المسجد الأقصى! ويدعي (بن أليعازر) أنه كان من المفترض أن تتم تسوية مسألة صلاة اليهود في الأقصى منذ عام ٦٧.

(معسكر السلام) مع تهويد الأقصى!

و إن كان من غير المستغرب أن تصدر مثل هذه التصريحات عن ممثلي ما يدعى اليمين المتطرف ـ في حكومة شارون، فإن الذي يبدو غريباً بعض الشيء أن يجنّد أقطاب اليسار في (إسرائيل) أنفسهم - وهم الذين يقدمون أنفسهم للعرب كدعاة سلام - للتشكيك في حق المسلمين في المسجد الأقصى.

وقد يكون من المفارقات أن يبادر الشاعر والكاتب أ . ب يهشوع - رئيس اتحاد الكتاب الصهاينة، أحد منظري اليسار في كيان العدو الصهيوني، وهو من رؤوس حركة السلام الآن - لتشكيل رابطة تضم مفكرين وأدباء وصحافيين وجنرالات متقاعدين وفنانين وأكاديميين من يهود لمطالبة الحكومة بوقف أي أنشطة لدائرة الأوقاف الإسلامية داخل المسجد الأقصى، على اعتبار أن ذلك يهدد الآثار اليهودية في المكان، والتي تدعم مزاعم اليهود بأن المكان يضم آثار الهيكل المدمّر. واللافت للنظر أن أغلب الذين استجابوا لدعوة يهشوع هم من قادة مفكري اليسار؛ ومن أبرزهم الشاعر حاييم غوري. بل إن الرابطة طالبت شارون بأن يعمل كل ما في وسعه من أجل ضمان وقف الأنشطة التي أسمتها بـ(التخريبية)، التي تقوم بها الحركة الإسلامية بقيادة الشيخ رائد صلاح ودائرة الأوقاف الإسلامية في المدينة.

السماح لليهود بالصلاة .. أخف الضررين!

وقد أشارت وسائل الإعلام الصهيونية إلى أن الأجهزة الاستخبارية الصهيونية قد نصحت شارون بأن يصدر تعليماته بالسماح لليهود بزيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، على اعتبار أن مثل هذه الخطوة من شأنها أن تقنع عناصر المنظمات اليهودية المتطرفة بعدم المساس بالمسجد الأقصى؛ حيث إن المخابرات تزعم أنها تجد صعوبة كبيرة في تعقب آثار أنصار منظمات يهود المتطرفة و إحباط مخططاتها؛ ومن ثم ترى أن السماح لليهود بالصلاة في الأقصى هو أخف الضررين. وقد اتخذ شارون خطوة عملية في هذا الجانب، عندما أمر قيادة الشرطة بالاستعداد لضمان أمن اليهود الذين يزورون المسجد الأقصى ويؤدون الصلاة فوقه.

فهو يسعى بكافة السبل لإقرار أمر واقع جديد في المسجد الأقصى، كما سبق أن فعل أسلافه في الحرم الإبراهيمي، عبر السماح لليهود بالصلاة في ساحة المسجد الأقصى. إن السماح لليهود بالصلاة في ساحة الأقصى معناه وضع يدهم تدريجياً على أجزاء من المسجد والتوسع فيها – بدعوى منع الصدام مع المسلمين – ثم بناء المعبد المزعوم[160].

فسياسة التورية في الفكر الصهيوني وممارسته لها تاريخ خادع في مسيرة الحركة الصهيونية الحديثة، فالتحول نحو الدين في اوساط المؤسسة العسكرية والسياسية والمغتصبين اليهود يتسارع ويكشف حقيقة الوجه الصهيوني الديني وليس العلماني، ففي دراسة مصرية حديثة أعدتها الباحثة المصرية رشا محمد محمود، وحصلت بموجبها على درجة الماجستير في جامعة عين شمس بالقاهرة، أظهرت:

أن اعتماد (إسرائيل) على الدين يتزايد ويستخدم في تهويد الأراضي الفلسطينية، و إن ساسة في تل أبيب يتخذون من التفاسير الدينية مبرراً للتعدي على مقدسات إسلامية و(مسيحية) في الأراضي المحتلة. وأشارت الدراسة إلى أن بداية الألفية الحالية، حسب المزاعم التي يتم الترويج لها في (إسرائيل)، تشهد ما يشبه حمى التنبؤ بالحروب بين الأمم، والكوارث التي تحل بالعالم، باعتبارها إرهاصات لنهاية العالم، فأطلق البعض لخياله العنان لوضع تواريخ محددة لليوم الذي سوف يشهد نهاية العالم، وفقا لتلك المزاعم.

160 صالح محمد النعامي ، مرجع سابق.

وقالت الدراسة أيضاً، إن الحكومات (الإسرائيلية) المتعاقبة اتخذت من المعتقدات الدينية عند اليهود ستاراً لتبرير ما تقوم به من اعتداءات مستمرة على الأراضي الفلسطينية، وتهجير أهلها والتوسع في إقامة المستوطنات والتعدي على المقدسات الإسلامية و(المسيحية).

وقالت الدراسة، إنه ظهرت مجموعة متنامية من الهيئات الدينية أو ما يسمى جماعات (أنصار الهيكل) والتي تعمل على دفع فكرة إقامة (بيت المقدس الثالث)، (الهيكل الثالث)، وتضع نصب أعينها هدفاً واضحاً، هو هدم أو تفجير المساجد الواقعة على جبل الهيكل (مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى)، وبناء بيت المقدس الثالث على أنقاضها[161].

161 دراسة مصرية: تزايد اعتماد «إسرائيل» على الدين لتهويد الأراضي الفلسطينية، القاهرة – شريف اليماني: الشرق الأوسط، لندن، ٢٠١٢/٤/١٨.

المبحث الثاني

مؤامـرة الحفريـات

في الذكرى الأربعين للاحتلال اليهودي للقدس بتاريخ ١٩٦٧/٦/٧، أعد كيان العدو اليهودي برنامج فعاليات لإحياء تلك الذكرى المؤلمة على قلوب المسلمين، تحت شعار «أربعون عاماً على تحرير القدس»، ويبدأ من تاريخ ٢٠٠٧/٥/١٦م الذي يسمونه (يوم القدس) حتى تاريخ ٢٠٠٨/٥/١٦م بتكلفة ٠٩ مليون شيقل. وهدف العدو من وراء تلك الفعاليات هو تقوية موقع القدس - أورشليم كما يسمونها - عالمياً. كما قام العدو اليهودي عصر يوم الأحد الموافق ٢٠٠٧/٥/١٣م بتشغيل إضاءة خاصة وضخمة لأسوار القدس بلون العلم اليهودي الأزرق والأبيض بتكلفة ٥٫١ مليون يورو. ويوم ٢٠٠٧/٥/١٤م بعقد اجتماع الكونغرس اليهودي فيما يسمونه (مباني الأمة) في القدس، وكذلك عقد مهرجان غنائي في مبنى الكنيست بعنوان (أغاني عن أورشليم عبر العصور). ويوم ٢٠٠٧/٥/١٥ بعقد مهرجان غنائي كبير جداً بعنوان (اذهب إلى أورشليم). بالإضافة إلى تنظيم مسيرات ضخمة تتجه كلها إلى القدس بعنوان (كلنا نسير نحو القدس)، وكذلك تنظيم مسيرة في ساحة البراق. أما يوم ٢٠٠٧/٥/١٦ فقد خصص لتنظيم مسيرات ضخمة في شوارع القدس تمر في أزقة البلدة القديمة وتنتهي في ساحة البراق، وكذلك تنظيم مهرجان غنائي صاخب لطلاب الجامعة العبرية على أرض مقبرة مأمن الله تحت عنوان (الأسوار تهتز). ويوم الخميس الموافق ٢٠٠٧/٥/١٧م تنظيم مسيرات لنحو٢٠ ألف طالب يهودي في القدس كذلك افتتاح موقع انترنت خاص بعنوان (أربعون عاما على توحيد القدس)، وافتتاح معرض صور، وكذلك تنظيم برامج عالمية أخرى.

ابتزاز يهودي

كل تلك الفعاليات التي يقوم بها العدو اليهودي هي مجرد برامج تمهيدية سيتبعها برامج عالمية ضخمة من أخطرها تنظيم سلسلة بشرية تحوط أسوار القدس القديمة، وتضم آلاف الأشخاص من أنحاء الأرض، وقد يكون من ضمنهم بعض المسلمين بالإضافة إلى بقية أهل الرسالات السماوية وأهل الديانات الأرضية، ما يعني محاولة يهودية لابتزاز إجماع كاذب من المشاركين في هذه السلسلة البشرية يصادق على توحيد القدس تحت الاحتلال اليهودي.

هذا وسيقوم كيان العدو اليهودي على تنقيل شعلة خاصة بين الجاليات اليهودية في أنحاء العالم، ومن المفترض أن تشرف المؤسسة اليهودية على تسمية شوارع وأماكن عامة في أنحاء العالم باسم (أورشليم) من ضمن حملة تحت اسم (مدن تُجِّل أورشليم)، ومن المفترض أن تقوم المؤسسة اليهودية بتنظيم عروض موسيقية لأشهر الملحنين العالميين أمثال (فلسيدو دومينغو) و(لوتسيانو فبروطي) ببث حي ومباشر على أوسع نطاق عالمي.

ومن المفترض أن تقوم المؤسسة اليهودية بتنظيم برامج أخرى تسعى من خلالها إلى إحياء هذه الذكرى وفق منظورها الاحتلالي دون مراعاة لمشاعر المسلمين. لذلك بات الإعلام العبري يتحدث على سبيل المثال عن برنامج النفخ في (٣٠٠٠ بوق) ستنصب على أسوار القدس القديمة، وعن استعراض ألعاب نارية بطريقة خاصة، وعن مسابقة عالمية خاصة بتاريخ القدس، وعن عروض مسرحية في أشهر مسارح العالم حول تاريخ (أورشليم)، وعن تخصيص نشرة دعائية في أشهر شبكات)لأخبار العالمية مثل (فوكس نيوز» بهدف الترويج سلفاً لهذه البرامج، وعن عقد أيام دراسية لرؤساء البلديات الكبيرة في العالم بهدف حشد أقوى جهد عالمي لدعم مشروع تهويد القدس .

فإذا كان هذا هو بعض جهد المؤسسة اليهودية الاحتلالية لمواصلة فرض احتلالها في القدس الشريف والمسجد الأقصى فأين جهدنا نحن المسلمين والعرب والفلسطينيين ونحن أصحاب الحق الشرعي والأبدي والوحيد في القدس الشريف والمسجد الأقصى؟! أين جهدنا في الوضع الراهن ريثما ستتوفر الظروف التي ستؤدي إلى زوال الاحتلال اليهودي عن القدس الشريف والمسجد الأقصى؟! أين جهدنا ونحن أمة المليار ونصف مليار مسلم وعربي وفلسطيني؟! أين جهدنا ونحن نملك تريولنات الدولارات وآلاف الفضائيات التي تبث على مدار الليل والنهار؟! أين جهدنا ونحن الذين لا تزال تؤنبنا ضمائرنا منذ عام ١٩٦٧م لأننا تخاذلنا عن نصرة القدس الشريف والمسجد الأقصى وتركناهما لوحدهما يتجرعان مرارة الأسر وذل الاحتلال[١٦٢]؟!.

ذاك ما يعده كيان العدو اليهودي من أجل باطله، فماذا أعددنا نحن المسلمون أصحاب الحق في فلسطين والقدس والمسجد الأقصى؟! وإن المسلمون يدركون حقيقة أبعاد المشروع اليهودي، أو لا يدركون؟!

162 بتصرف من مقالة للشيخ رائد صلاح، بعنوان: «أربعون عاماً على احتلال المسجد الأقصى المبارك»، موقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام.

سمات المخطط اليهودي

نود لفت الانتباه إلى أن كثير ممن يتحدثون عن المخاوف من الحفريات ومحاولات مهاجمة أو تدمير بعض من يسمونهم (متطرفون يهود) للمسجد الأقصى، وكثير من المدافعين عن المسجد الأقصى، يقعون في شرك التفريق بين المخططات اليهودية الحكومية والرسمية لتدمير المسجد الأقصى، وبين الجهود الفردية أو الجماعية لبعض اليهود لتحقيق ذلك، فيركزون حديثهم على محاولات الجماعات الدينية المتطرفة لهدم الأقصى، ويغفلون عن المخطط الأخطر الذي تقوم به حكومات كيان الإرهاب اليهودي التوراتي، بهدوء وتأنٍ لتدمير المسجد الأقصى، ولكنها تتحين الوقت المناسب. وذلك لأن الهدف النهائي للحركة الصهيونية (اليهودية العالمية) التي أنشأت ذلك الكيان كان ولا زال هو: هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء الهيكل المزعوم، وإقامة العرش الذي سيجلس عليه ملك اليهود من نسل داود - المسيح المنتظر يهودي - ليحكم العالم. فاليهود يعتقدون أن إلههم: «لن يدخل القدس السماوية، قبل أن يدخل القدس الأرضية». ولهذا يرددون في صلواتهم كل يوم منذ ٥٢٠٠ سنة من النفي ـ كما يدعون ـ «تُشل ـ تقطع ـ يميني إن نسيتك يا أورشليم». وقد عبر مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة (تيودور هرتزل) عن أهداف اليهود أصدق تعبير في يومياته بتاريخ ١٩٠١/٩/٢٣م، فقد كتب يقول: «فإذا ما حصلنا على القدس في يوم من الأيام سأبدأ بتنظيفها... سأزيل كل ما هو غير مقدس وسأحرق كل الآثار العلمانية» يقصد المساجد والكنائس. ومثله (دافيد بن غوريون) أول رئيس وزراء لكيان العدو اليهودي عندما قال: «لا معنى لـ(إسرائيل) بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل»، وهناك من أضاف: «ولا معنى للهيكل بدون العرش».

في المؤتمر الذي عقدته بتاريخ ١٩٩٨/٩/١٥عدة تنظيمات سرية يهودية في مباني الأمة في القدس، بتغطية إعلامية يهودية كبيرة، وكان أول وأخطر مؤتمر علني يعقد تحت عنوان «مؤتمر الهيكل»، وتميز المؤتمر بالتعصب اليهودي العنصري الشديد، وبالتركيز على أن القدس يهودية وأن الهيكل الثالث يجب أن يقام على أنقاض الأقصى. نسج على نفس منوال ونهج وخطى هرتزل الحاخام سلومون زعيم حركة «أمناء الهيكل» الذي كان الأشد تعصباً وعنصرية وعدوانية كعادته فقال: «لن نتخلى أبداً عن جبل البيت - أي الحرم القدسي الشريف -، ومهمة جيلنا هذا تحرير الجبل، وإزالة كل هذه الأوساخ عنه أي المقدسات الإسلامية لن ينجحوا في وقف شعب «إسرائيل» على بوابات جبل البيت،

وسنرفع العلم اليهودي فوقه ولن تكون هناك لا قبة ولا صخرة ولا مساجد، وإنما فقط علم «إسرائيل» والهيكل هذه هي الوصية لجيلنا»[١٦٣].

والمخطط الصهيوني في القدس والمسجد الأقصى له سماته وأهدافه الرامية في النهاية إلى إزالة المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم مكانه، وتحويل مدينة القدس الشرقية إلى مدينة يهودية سكاناً وعمارة وإدارة حتى تلحق بالقدس الغربية التي تم التهامها لتكون القدس الموحدة يهودية الطابع والهوية! ومن هنا فإن من ينادي عبر سنوات مضت بأعلى صوته بأن «القدس في خطر» لم يكن يبالغ؛ وإنما يعبر عن واقع دائر على الأرض. وفي مؤتمر أقامه سبعة آلاف من الصهاينة المتطرفين في ١٩٩٨/٩/١٧، قال ممثل بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة في ذلك الوقت: «إننا جيل الهيكل الذي هو قلب الشعب اليهودي وروحه»، ثم تبعه ابن المتطرف مائير كاهانا قائلاً: «نحن الآن مدعوون للتضحية بأنفسنا وأرواحنا، ومهمة هذا الجيل تحرير الهيكل وإزالة الرجس والنجاسة عنه .. سترفع راية (إسرائيل) فوق أرض الحرم.. لا صخرة ولا قبة ولا مساجد.. بل راية (إسرائيل)، فهو واجب مفروض على جيلنا»![١٦٤].

فاليهود بأجهزتهم وتنظيماتهم وأطيافهم السياسية المتشددة والعنصرية على وجه التحديد يسابقون الزمن لهدم الأقصى، إذ «يعتقدون أن دورة جديدة من التاريخ اليهودي على وشك أن تبدأ، أنها دورة (ملك السلام) الذي سيتخلص من كل أعداء (إسرائيل)، وهذا المنتظر من عالم الغيب يستلزم قدومه تهيئة عالم الشهادة مثل إقامة الدولة وقد تم لهم ذلك، وتوحيد العاصمة وقد حصل، وتجهيز منبر الدعوة وموضع القبلة وهو ما يجهدون أنفسهم في سبيل تحقيقه باعتباره مهمة الوقت وضرورة العصر ويقصد الهيكل»[١٦٥].

163 نواف الزرو، «أضواء على المخططات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى» الحلقة الثالثة، صحيفة «الخليج»، ٢٠٠٤-٠٨-٠١.
164 شعبان عبد الرحمن، «باب المغاربة .. بداية محنة القدس»، الموقع الالكتروني للإسلام اليوم (١٤٢٥/١/٦هـ، ٢٠٠٤/٠٢/٢٦م).
165 نواف الزور، مرجع سابق.

استئناف طقوس تقديم القرابين التوراتية

ومن ضمن أحدث تلك الجهود اليهودية من أجل تحقيق تلك الخرافة؛ أن قررت مجموعة من الحاخامات اليهود تطلق على نفسها اسم (سنهدرين) المعاد تشكيلها على اسم المحكمة الدينية العليا من زمن الهيكل - شراء بعض الخراف ومحاولة العثور على خروف مثالي شعائرياً للتضحية بذلك بهدف استئناف ممارسة طقوس تقديم القرابين التوراتية في منطقة الحرم القدسي. ويقول أعضاء مجموعة (سنهدرين) وعددهم ٧١ عضواَ أنهم يريدون البدء بتقديم القرابين الحيوانية ثانية على الرغم من عدم وجود الهيكل، وأقر الحاخام (دوف شتاين) من المجموعة المتطرفة أن ذلك لن يتم في وقت قريب. وقال شتاين «نحن نريد القيام بالتضحية ولكن لدينا مشاكل سياسية» وأضاف «أملنا هو أن يأتي يوم توافق فيه الحكومة ونحن سندفع باتجاه حدوث هذا». وقال الحاخام (دانييل هارتمان) من معهد شالوم هارتمان في القدس «أن التضحية بالحيوانات كشكل للعبادة الدينية قد منع بالنسبة لليهود والمسيحيين» وأضاف «التحرك إلى الوراء في الاتجاه ليس تقدماً»[١٦٦].

تأتي تلك الجهود الجديدة من تلك المجموعة من الحاخامات اليهود المتعصبين، على الرغم من أن الحاخام اليهودي الأكبر لليهود الشرقيين (شلومو عمار) أمس، جدد التأكيد على الفتوى الدينية اليهودية التي تحظر على اليهود الدخول إلى الحرم القدسي الشريف، داعيا إلى فحص شرعية بناء الجسر عند باب المغاربة. وحسب المعتقد اليهودي، فإنه يحظر على اليهود من الناحية الدينية الدخول إلى باحات القدس الشريف، بزعم أن من تحته أنقاض هيكل سليمان المزعوم، وأن الهيكل لا يمكن بناؤه لثالث مرّة إلا عند قدوم المسيح لأول مرّة. وقال الحاخام عمار إن بناء الجسر بين أسوار الحرم عند باب المغاربة، وبين الساحة أمام حائط البراق فيه إشكالية وطلب الانتظار إلى حين فحص الأمر من ناحية شرعية يهودية، كما أعرب الحاخام عمار عن استعداده لإجراء حوار مع رجال الدين المسلمين من أجل التوصل إلى صيغة مشتركة في هذه القضية[١٦٧].

وقد سبق لصحيفة «الشرق الأوسط اللندنية» عام٢٠٠٥ أن نشرت أمراً للحاخام الأكبر في كيان العدو اليهودي، (يونا مشيجر)، يمنع اليهود من دخول الحرم القدسي،

166 القدس الفلسطينية، بتاريخ: ٢٠٠٧/٣/١.
167 الغد الأردنية، بتاريخ: ٢٠٠٧/٢/١٦.

يمنع بموجبه اليهود من الدخول إلى باحة الحرم القدسي الشريف (المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة). وقال في فتوى أصدرها: أن هذا المكان مقدس جداً بالنسبة لليهود، والدوس بالأقدام عليه حرام. وجاءت هذه الفتوى، بعد أن نشرت أنباء عن استعداد جماعات إرهابية يهودية لتفجير الحرم القدسي الشريف، بغية تعطيل تطبيق خطة الفصل، وقيام مئات اليهود المتدينين المتعصبين بدخول باحات الحرم و إقامة صلاة يهودية فيها. بل إن عائلة يهودية أقامت في الشهر الماضي طقوس زفاف دينية في الحرم، وشرب أفرادها النبيذ فيه. يذكر أن اليهود المتدينين بمعظمهم يؤمنون بأن الحرم القدسي الشريف مقام على أنقاض هيكل سليمان المزعوم، أقدس أماكن العبادة، ويعتبرون المشي في باحة الحرم تدنيسا للمكان المقدس، لذلك حظروا دخول اليهود إلى الحرم طول الوقت قبل قيام (إسرائيل). وجدد الحاخامان الأكبران هذا التحريم بعد احتلال (إسرائيل) للحرم والقدس سنة ١٩٦٧.

وقد بلغ الأمر بالحاخام عوفاديا يوسف المرشد الروحي لحزب شاس للمتدينين الشرقيين، أن شن نهاية شهر تموز/يوليو الماضي هجمة شرسة على اليهود الذين يصلون في جبل الهيكل في القدس، واعتبرهم أغبياء، حيث قال: «يلعن أبوكم أناس أغبياء». وقد وجه شتائمه لنحو ٤٠ حاخاماً ينتمون إلى جماعة (الصهيونية الدينية) الذين توجهوا للصلاة في جبل الهيكل. وقال في موعظته «من غير المسموح الدخول لجبل الهيكل. من يدخله فهو يرتكب جريمة كبرى ويجب إفناءه». وأضاف أيضاً «هناك أناس أغبياء يصلون صلاة العصر (عند اليهود). هكذا تصلي؟ يلعن أبوك. إنهم أغبياء، كلهم أصبحوا قديسين». وقال الحاخام بأن الله يقبل الصلاة في كل مكان ولا يهم أين تقام الصلاة.

عشر مراحل من الحفريات لهدم الأقصى

يحاول اليهود منذ أن احتلوا القدس أن يعثروا على أثر يدل على أن مكان الأقصى والصخرة هو نفس المكان الذي كان يقوم فيه هيكل سليمان المزعوم ... ولكن هل هذا هو كل الهدف من الحفريات؟!

والحفريات نوعان: حفريات ظاهرة للعيان وحفريات مخفية، فالظاهر منها النفق الذي افتُتح قبل سنة، وهو الواقع تحت سور المسجد الأقصى الغربي وعلى امتداده، بدايته من ساحة البراق، وهو ما يدعوه اليهود بالحائط الغربي لهيكل سليمان (حائط المبكى المزعوم)،

الذي لا دلالة ظاهرة عليه، وينتهي شمالي مئذنة الغوانمة، في طريق المجاهدين «التي تسمى اليوم بطريق الآلام». وأما الحفريات الخفية على ما يبدو فهي أوسع رقعة ولا تقل عن الأولى بل تزيد، وهي تحت ساحات المسجد الأقصى المبارك من الغرب إلى الشرق، وأحدها تجاه مبنى المسجد الأقصى المبارك، والآخر تجاه مسجد الصخرة المشرفة. ولهذه الحفريات أخطار عظيمة مادية ومعنوية؛ أهمها أنها تمس بشكل مباشر صلب الحياة الروحانية لدى المسلمين، والحفريات تشكل خطراً بالغاً على مباني المسجد الأقصى المبارك وعلى رأسها المسجدان العظيمان: مبنى المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، وفيها أجزاء تعد من أقدم الآثار العمرانية العظيمة في العالم، بل وقبة الصخرة التي هي أقدم الآثار الإسلامية الكاملة الباقية على الإطلاق، وقد تسببت هذه الحفريات في انهيارات في داخل الأنفاق، وهي تشكل على المدى البعيد، خطراً على أساسات مباني المسجد الأقصى. وقد قامت سلطة الآثار الصهيونية ووزارة الأديان بجهود حثيثة للتنقيب عن الآثار اليهودية المزعومة، وحفر الأنفاق على طول الحائط الجنوبي والغربي للمسجد الأقصى المبارك. ويصل طول النفق الذي يمتد اليوم من باب المغاربة وحتى المدرسة العمرية، إلى حوالي٥٩١ متراً. وقد أدت هذه الحفريات إلى تصدع جميع الأبنية الإسلامية من مساجد وزوايا على الحائط الغربي للمسجد وسقوط بعضها. ويقيم اليهود مجموعة من الكنس والمعابد في هذه الأنفاق، ويحاولون بشكل مستمر التسلل إلى داخل المسجد، عبر هذه الأنفاق للوصول إلى قبة الصخرة المشرفة. وما تزال هذه الحفريات مستمرة حتى يومنا هذا[١٦٨].

وكان تقرير أكاديمي فلسطيني صادر عن مركز الدراسات المعاصرة في أم الفحم داخل فلسطين المحتلة ١٩٤٨ قد كشف النقاب عن أن سلطات الاحتلال أنهت عشر مراحل على طريق هدم الأقصى وبناء الهيكل. وجاء في حيثيات التقرير الذي نشرته صحيفة «الأردن» الأردنية ما يلي: تعتبر الحفريات اليهودية تحت ساحات المسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية في البلدة العتيقة من مدينة القدس المحتلة أخطر الأساليب التي اعتمدتها (إسرائيل) ولا تزال من أجل تقويض أركان المسجد الأقصى وهدمه و إخفاء معالمه. و إن (إسرائيل) شرعت منذ السيطرة على الشطر الشرقي من القدس المحتلة خلال حرب يونيو/ حزيران عام ١٩٦٧ في الهدم والحفر والمصادرة في المدينة المقدسة لتهويدها.

168 يوسف كامل إبراهيم «دكتور»، «دراسة علمية تحليلية عن القدس والأقصى فلسطين»، موقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام.

وأوضح التقرير أنه خلال عام ١٩٦٧ وحده صادرت سلطات الاحتلال اليهودي خمسة مساجد وأربع مدارس ومركزين ثقافيين هما «زاوية أبي مدين» و «الزاوية الغزية» وفي عام ١٩٦٩ هدمت أكثر من ١٤ بيتاً وصادرت ١٧ مبنى منها المدرسة التنكيزية في باب السلسلة أحد أبواب سور الحرم القدسي الشريف[١٦٩]. وتضمن التقرير ذكر عشر مراحل مرت بها عملية التهويد وتقويض بناء المسجد الأقصى هي[١٧٠]:

المرحلة الأولى: تمتد من أواخر عام ١٩٦٧ حتى نهاية عام ١٩٦٨، فقد هدم اليهود حي المغاربة الوقفي نهائياً لتكون الأرض جاهزة لأي أعمال حفر وتنقيب. وتميزت بحفر ٧٠ متراً أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي خلف المئذنة.

المرحلة الثانية: من عام ١٩٦٩ حتى ١٩٧٠، استمرت عمليات الهدم في الأحياء الإسلامية مع إجلاء سكانها العرب.. وفي هذه المرحلة حدث حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م. وقد أعلن حاخام اليهود الأكبر (شلومو غورين) قبل أسبوع من حدوث الحريق عن اكتشافه - كذباً- لـ(قدس الأقداس) عند اليهود، وذلك بعد أن اقتحم المسجد الأقصى بصحبة عدد من الجنود الصهاينة، ونصح قيادة الجيش قبل موته باستغلال سخونة الأحداث والتعجيل بنسف المسجد الأقصى، لكن قيادة الجيش خشيت يومها من ردود أفعال غير محسوبة. وأقيمت في تلك الآونة المعاهد والمدارس الدينية والاستراحات والفنادق وغيرها فوق أنقاض الأبنية العربية، وجرت الحفريات على امتداد حول السور مارة حول الأبنية الإسلامية هناك، وتميزت بحفر ٨٠ متراً من سور الحرم القدسي.

المرحلة الثالثة: من عام ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ بدأ شق الأنفاق تحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها الجنوبي والغربي حتى نفذت إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد، وقد وصلت الحفريات اليهودية خلالها أسفل المحكمة الشرعية وخمسة أبواب هي السلسلة، والمطهرة، والقطانين، والحديد، وعلاء الدين البصري، إضافة إلى أربعة مساجد ومئذنة قايتباي وسوق القطانين. وأدت الحفريات وأعمال التهويد إلى تحويل قسم من المحكمة الإسلامية إلى كنيس، وتصدع المعالم التاريخية لرباط الكرد والمدرسة الجوهرية.

المرحلة الرابعة: عام (١٩٧٣م)، اقتربت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى وتغلغلت مسافة طويلة تحته ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر متراً.

169 نواف الزور، مرجع سابق.

170 يراجع: عبد العزيز مصطفى كامل، قبل الكارثة نذير..ونفير، كتاب المنتدى، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، التوزيع في اليمن: دار القدس، صنعاء، ص٠٨٢.٦٧٢. نواف الزور، مرجع سابق. وشعبان عبد الرحمن، مرجع سابق.

المرحلة الخامسة: عام (١٩٧٤م)، وفيها توسعت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى وتغلغلت مسافة طويلة تحته، ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر متراً. وقد شملت المرحلتين السابقتين المنطقة الواقعة خلف الحائط الجنوبي الممتد أسفل القسم الشرقي للمسجد، وسور الحرم القدسي الشرقي بطول ٨٠ متراً، كما شملتا الأروقة السفلية للحرم الشريف.

المرحلة السادسة: (١٩٧٥م-١٩٧٦م)، توسعت الحفريات تحت الجدار الغربي، وأزال اليهود وقتها مقبرة للمسلمين تضم رفات عبادة بن الصامت وشداد بن أوس، رضي الله عنهما. وأقاموا جزء من (المتنزه الوطني اليهودي).

المرحلة السابعة: (١٩٧٧م)، جاءت تطبيقاً لمشروع اللجنة الوزارية اليهودية لعام ١٩٧٥ القاضي بضم الممتلكات الإسلامية نهائياً إلى حائط البراق (المبكى) واستمرار الحفريات تحت المحكمة الشرعية والمكتبة الخالدية وزاوية أبو مدين الغوث، وقد انهارت كلها إضافة إلى ٣٥ بيتاً. ووصلت الحفريات إلى تحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، وتمت فيها موافقة اللجنة الوزارية اليهودية على مشروع بضم أقسام أخرى من الأراضي المجاورة للساحة، وهدم ما عليها بعمق تسعة أمتار.

المرحلة الثامنة: (١٩٧٩م)، بدأت حفريات جديدة تحت الجدار الغربي قرب حائط البراق، وتم شق نفق واسع طويل، وتقرر الاستمرار فيه حتى يخترق المسجد الشريف من غربه إلى شرقه، وقد تم تحصين هذا النفق بالإسمنت المسلح وأقيم فيه كنيس يهودي صغير افتتحه رسمياً رئيس (الدولة اليهودية) ورئيس وزرائه عام ١٩٨٦م، واتخذ معبداً مؤقتاً لليهود. تعتبر هذه المرحلة التي انطلقت مع بدايات الثمانينات تحت شعار (كشف مدافن ملوك إسرائيل)، من أخطر الحفريات التي طالت المسجد الأقصى، اذ حفر عدد كبير من الأنفاق التي لا تزال طي الكتمان. وأشار التقرير إلى افتضاح أمر قسم من هذه الحفريات على يد الشيخ رائد صلاح رئيس بلدية أم الفحم، وجمعية الأقصى ودائرة الأوقاف في القدس وفي هذه المرة وقعت مواجهات دامية بين المصلين والمستوطنين وخلالها بدأ الحفر تحت المسجد الأقصى مباشرة.

المرحلة التاسعة: بدأ تنفيذها عام ١٩٨١، وفيها استشرت الحفريات من كل جانب، وتم إجلاء أعداد كبيرة من السكان من القدس القديمة، وأغلقت السلطات اليهودية مستشفى فلسطيني داخل البلدة القديمة، واغتصبت بيوتاً عربية كثيرة، سكن (شارون) في واحد منها تأكيداً على تهويد القدس. وفيها أعيد فتح النفق الذي اكتشفه الكولونيل الإنجليزي تشارلز وران وأغلق فيما بعد، فيما بدأت الآثار اليهودية الحفر باتجاه الحرم الشريف في الجانب الأسفل في منطقة المطهرة بين بابي الحرم (السلسلة والقطانين) مخترقاً باب المغاربة. ويمتد إلى المنطقة السفلى تحت المسجد الأقصى وزعمت (إسرائيل) أن الجدران المكتشفة في النفق تعود لهيكل سليمان وأطلقت عليه نفق الحشمونائيم. وخلال هذه المرحلة تم الحفر تحت المحكمة الشرعية وذلك عام ١٩٨٧ تحت بناء المدرسة التنكيزية، واستمرار الحفر جنوب المسجد الأقصى ونجم عن ذلك تصدع العديد من العقارات والمدارس والمحلات التجارية وانهيارها، ونجم عن الحفريات سقوط البوابة الرئيسية لدائرة الأوقاف. وقد شارك في هذه الحفريات علماء أثريون استقدمتهم (إسرائيل)، وأدلوا بشهادات يثبتون بها أن في أرض المسجد الأقصى بقايا آثار يهودية، وكان من ضمن المستقدمين قسيس نصراني اسمه (برجيل بكسنز).

وقد حاول عمال الحفر اليهود (في شهر آب/أغسطس ١٩٨٨م) الشروع في حفريات وسط الطريق المنحدر إلى حي (الوادي) الملاصق للمسجد؛ ولكن حراس المسجد منعوهم، وكرر الحفارون المحاولات وكرر الحراس صدهم، وهدف الحفارون من هذا أن يَصِلُوا مباشرة إلى قاعدة مسجد الصخرة المشرفة، ثم الوصول إلى حفريات أخرى تحت حائط المسجد الأقصى. كما شهدت هذه المرحلة وضع أمناء جبل الهيكل بتاريخ ١٩٨٩/١٠/١٦ حجر الأساس وهو عبارة عن حجر كبير يزن ٥٣٠٠ كغم ثبتوه شمال الأقصى، وخطب غرشون سلومون زعيم الحركة قائلاً : «إن وضع حجر الأساس يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة، نريد أن نبدأ عهداً جديداً من الخلاص للشعب اليهودي». وحسب وكالة الأنباء الفرنسية فقد كان اليهود قد أعدوا كل شيء لبناء الهيكل المزعوم وجهزوا ستة ملايين حجر من كسارات ليفي جنوب بئر السبع، كما تم إعداد فريق البناء الذي يقف رهن الإشارة، كما جهز أيهود أولمرت خيمة العهد، وقد انتهى تجهيز المذبح أو القبلة - قدس الأقداس - في منطقة قريبة من البحر الميت.

المرحلة العاشرة: وقد بدأت بشراسة، فازداد التوغل تحت أرضية الساحة وحولها.. وبينما يقوم الحراس المسلمون بحماية المسجد من الداخل ضد أي اعتداء، إذا بالحفارين اليهود يتوغلون في الحفريات من المحيط الخارج عن الأسوار، ومن الأحياء التي تسيطر عليها القوات العسكرية اليهودية سيطرة تامة. وتمثل المرحلة العاشرة من مراحل الحفريات أخطر مرحلة؛ لأن الحفريات تركز على الطبقات التحتية لتفريغها من التربة والأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، لترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا – لا قدر الله - عرضة للانهيار والسقوط بفعل أي تقلبات مناخية أو اهتزازات طبيعية أو حتى صوت عال تسببه طائرة تخترق حاجز الصوت... أو إحداث زلزال اصطناعي ناتج عن التفجيرات النووية التكتيكية كما حدث مؤخراً في تفجيرات البحر الميت التي أجريت بهدف اختبار صلابة الأبنية في بعض المدن اليهودية.... فهل أدركنا خبث المؤامرة؟

وقد سمحت الحكومة اليهودية خلال عامي ١٩٩٥م، ١٩٩٦م، لمؤسستين يهوديتين وهما: (شركة الآثار الإسرائيلية) و(شركة تطوير القدس) بإجراء المزيد من الحفريات .. ومما يدل على وجود نية مبيتة في اللجوء إلى محاولة الهدم عن طريق إحداث الاهتزازات الصناعية، ما أدلى به الخبير اليهودي في علم الآثار (جوزيف سيرج) حين قال في تصريح له في ١٩٩٠/٨/١٨م: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع (إسرائيل) تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة». وقد بدأت حفريات أخرى باتجاه المسجد الأقصى من باب الغوانمة، وهي تجري لأجل عمل نفق ضخم تحت الأرض[١٧١]، وادعت مجلة (ايندكس الإسرائيلية) أن الحفريات الأخيرة عثر خلالها على آثار تعود إلى عهد الهيكل الثاني[١٧٢]. وقد أُعلن في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٠م، عن إنجاز السلطات اليهودية لنفق آخر.

اتفاق أوسلو نقطة تحول خطيرة

لقد استمر التزم اليهود إلى حد بعيد بالفتوى التي أصدرها الحاخام الأكبر اليهودي بداية الاحتلال اليهودي للقدس عام ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٩٣. ولكن بعد توقيع اتفاقيات أوسلو وبدء الحديث عن إمكانية إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس، صعدت حركة (أمناء الهيكل) اليمينية المتطرفة من جهودها لإعادة بناء الهيكل،

171 صحيفة القدس، ١٩٩٩/١١/١٧م.
172 المرجع السابق، ٢٠٠٠/٣/١١م.

وراحت تدعو اليهود إلى الصلاة في باحة المسجد الأقصى الشريف. وتبنى اليمين اليهودي هذه الدعوة، ومنحها الشرعية السياسية، وانضم إليه بعض رجال الدين اليهود المتطرفين، الذين أصدروا فتوى تجيز الصلاة في ساحة المسجد الأقصى،

وأزالوا اللافتة التي كانت مرفوعة هناك، وتحظر دخول اليهود. وراحوا يفرضون الصلاة في إحدى زوايا الساحة، وخصصت لهم الشرطة مكاناً خاصاً بذلك. ولم تعترض السلطة الفلسطينية أو دائرة الأوقاف على ذلك في حينه، وقالت أن المكان مقدس، ويجوز للجميع أن يصلوا فيه، طالما أن هذه صلاة فردية بهدف العبادة فحسب، لكنها اعترضت على الصلوات الاستفزازية التظاهرية ذات الأهداف السياسية. بيد أن المتطرفين اليهود ردوا على ذلك بالتصعيد من النشاطات السياسية الاستفزازية، مما أثار موجة احتجاج عربية واسعة، أدى بالشرطة اليهودية إلى إعادة النظر في قرارها التساهل مع تلك الصلوات، وأصبحت تحدد عدد ووتيرة الصلوات اليهودية هناك. وجدير بالذكر أن زيارة آريئيل شارون الاستفزازية المشهورة إلى باحات المسجد القدسي الشريف، عندما كان زعيماً للمعارضة سنة ٢٠٠٠، هي التي أشعلت نار ثورة الأقصى/الانتفاضة الثانية.

وقد توجت المرحلة العاشرة بافتتاح جزء من نفق الحشمونائيم عشية عيد الغفران اليهودي مساء الاثنين ٢٤ سبتمبر/ أيلول ١٩٩٦ في عهد رئيس الوزراء (بنيامين نتنياهو) تلبية لطلب جماعة (أمناء الهيكل) يهودية المتطرفة، طوله ٢٥٠ متراً، وأسفر الإعلان عن افتتاحه بحضور كبار المسئولين إلى اندلاع مواجهات هي الأعنف بسبب الأقصى، ما اضطر الحكومة إلى التراجع و إعادة إغلاقه، وكانت حفريات الحكومة اليهودية ساهمت في بلوغ طول النفق ٠٠٤ متر، حيث يمتد من الحي الغربي العربي الإسلامي على طول أساسات حائط البراق أسفل الحرم حتى يصل إلى شمال الحي الإسلامي. وقد أدت تلك الصدامات إلى وقف ما يسمى بـ(عملية السلام) خاصة بعد أن تبجح نتنياهو، وأعلن افتخاره بافتتاح هذا النفق قائلاً: «إنني فخور جداً، فالنفق يمس أساس وجودنا»[١٧٣]، وهو يعني – قطعاً - الهيكل بهذا القول.

وفي حزيران/يونيو ١٩٩٧ قررت البلدية اليهودية لمدينة القدس بالتعاون مع وزارة السياحة في كيان العدو اليهودي البدء في مشروع اقتلاع أرصفة الشوارع الكبرى للاستعانة بها في بناء الهيكل باعتبارها أحجاراً توراتية.

173 صحيفة الوطن الكويتية (١٩٩٦/٩/٢٨م).

ومازال المخطط سارياً وهو لا يخفى على أحد؛ بل يدعمه الصهاينة في شتى أنحاء العالم ومن ورائهم حكومات الغرب؛ وقد سبق أن أعلن الرئيس الراحل ياسر عرفات للصحفيين في أيار/مايو ١٩٩٧: «أن يهود العالم تبرعوا بما يقرب من مليار دولار لإتمام مشروع الهيكل»[١٧٤].

وعندما فتحت الأوقاف الإسلامية في جدار المسجد الأقصى المبارك من الجهة الجنوبية بهدف تهوية وإنارة الأقصى القديم، اتخذته حكومة الجنرال باراك يوم العاشر من آب/أغسطس ١٩٩٩ قرار عاجل بإغلاق النافذة؟! وقد علق (ميرون بنفستي) الكاتب في صحيفة (هآرتس اليهودية) على ذلك القرار بالقول: لم يكن ذلك القرار متعجلاً أو اعتباطياً وإنما حمل معه وفق مؤشرات ودلائل كثيرة، أبعاداً تتعلق بالأمر الواقع القائم من جهة أولى، وتتعلق بسياسة الخطوط الحمراء اليهودية من جهة ثانية، والأهم والأخطر أن هذه الأبعاد لها صلة بسياسة الحفريات اليهودية تحت الأقصى من جهة ثالثة. فقد أرادت حكومة باراك ردع الفلسطينيين عن إحداث أي تغيير في الوضع الراهن القائم في منطقة المسجد الشريف، وتحت الأقصى المبارك، وأرادت كذلك تكريس الخطوط الحمراء اليهودية في التعامل مع الفلسطينيين بهذا الشأن، وأن توضح لهم مرة وإلى الأبد أن هناك خطوطاً حمراء يهودية لا تنوي التنازل عنها. لقد اعتبرت الحكومة اليهودية أن الفلسطينيين بفتحهم النافذة يخرقون الأمر الواقع، وبالتالي افتعلت الأزمة الدراماتيكية السريعة لردعهم «بينما سلطات العدو اليهودي تقوم منذ بداية الاحتلال بخرق الواقع القائم في شرق القدس، تبني الأحياء وتصادر الأراضي وتنشئ الحدائق الأثرية بجانب أسوار المسجد الأقصى، وتحفر الأنفاق وتحول الأماكن المقدسة مثل بناية المحكمة إلى مقر لقيادة سرية حرس الحدود.

وإلى جانب هذه المؤامرة التي أُحكمت مراحلها منذ الاحتلال الصهيوني لبيت المقدس هناك محاولات محمومة ومسعورة للنيل من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة؛ وهي تمر الآن في أخطر مراحلها، وتفوق بكثير المراحل السابقة. وأخطرها:

طريق باب المغاربة

باب المغاربة واحد من أربعة عشر باباً للمسجد الأقصى المبارك، أربعة منها في الجنوب والشرق، أغلقت بعد أن حرر صلاح الدين الأيوبي القدس.

174 وكالات الأنباء.

وهو واحد من سبعة أبواب في الجدار الغربي للمسجد، وهو الأخير من الجهة الجنوبية الغربية، وهذا جعله في بؤرة الاستهداف اليهودي منذ اللحظة الأولى لاحتلال شرق مدينة. وعُرف هذا الباب أيضاً باسم باب البراق، أو باب النبي أو باب حارة المغاربة نسبة إلى سكان الحي الذي كان يفضي إليه وهم من المغاربة المالكيين،

الذين استقروا في القدس منذ القرن الثالث عشر الميلادي في عهد الملك العادل الأيوبي، وحافظوا في الوقت نفسه على علاقتهم بالمغرب حتى العام ١٩٦٧، حيث تم تهجيرهم، وقد وصل عددهم عند تهجيرهم إلى نحو ألف نسمة. وقد تمت عملية التهجير خلال منع التجول واستمرت يومين، حيث استغلت قوات الاحتلال صدمة سكان القدس بسقوط المدينة؛ وسارعت في حزيران ١٩٦٧الى محوه عن الوجود بالجرافات وتشريد سكانه إلى الأردن ومن هناك نقلوا إلى بلدهم الأصلي المغرب. وقد طالت عمليات الهدم مقامات ومدارس وجامع العادل ومعالم أثرية وتاريخية هامة. وباب المغاربة هو ما تبقى من حارة المغاربة التي تسبب تدميرها في خفض المنطقة الملاصقة للباب نحو اثني عشر متراً عن مستوى البلدة القديمة، ومن أجل الإبقاء على الباب مفتوحاً فقد جرى وضع الركام على شكل تلة تربط بين ساحة حائط البراق الذي يعتبره اليهود مكاناً مقدساً لهم، وباحات المسجد القدسي. لقد مثل باب المغاربة الطريق الذي انطلق منه كيان العدو اليهودي لأحكام السيطرة على المسجد الأقصى، حيث مثل باب المغاربة بموقعه القريب من حائط البراق أو ما يطلق عليه اليهود اسم (حائط المبكى)، نقطة البداية في المشروع اليهودي الرامي للسيطرة على المسجد الأقصى، فسارعت إلى الاستيلاء على مفاتيحه مباشرة عقب احتلال القدس، ليتحول إلى منفذ ينطلق منه العدو اليهودي للتدخل في شؤون المسجد والعبادة فيه. كما أن طريق المغاربة واحدة من الطرق التي تربط الأحياء الجنوبية من المدينة بالمسجد الأقصى، قبل أن يمنع الاحتلال المواطنين من سلوكه، لتجعل استخدامه حكراً على قواتها، منه دخلت إلى باحات المسجد ونفذت مجازرها واعتداءاتها بحق المصلين، طيلة سنوات الاحتلال ومنه دخل شارون ومن بعده غلاة اليمين لتدنيس هذا المكان الإسلامي الخالص. وقد شكل أهل حارة المغاربة حائط الصد الأول في وجه المخططات الصهيونية؛ منذ المحاولات الأولى للحركة الصهيونية للاستيلاء على حائط البراق في النصف الأول من القرن الماضي،

لتحويله إلى مبكى لهم، والتي تسببت في اندلاع مواجهات عنيفة بين المسلمين واليهود توجت بثورة البراق في العام ١٩٢٩م.[175] في١٥-٢-٢٠٠٤م أدت الحفريات إلى خلخلة التلة التي يقوم عليها طريق باب المغاربة، فانهار جزء بمساحة ١٠٠ متر منها.

وقد زعمت سلطات الاحتلال عن انهيار تلة باب المغاربة بسبب الأمطار، وقامت بإزالة الأتربة المتساقطة وجزء من الجدار دون مراعاة تضمنها لآثار إسلامية، وبدلا من ترميم الجزء المتساقط أو ترك الأوقاف الإسلامية لتقوم بواجب ترميمه، أعلن الصهاينة عزمهم هدم الطريق الأثرية كلها، في أضخم انتهاك للمسجد الأقصى المبارك منذ الاحتلال لو تم ذلك، والطريق والتلة الترابية، فضلاً عن كونهما جزءً لا يتجزأ من الأقصى لملاصقتهما جداره الغربي، تعتبران كذلك دعامة أساسية لهذا الجدار، مما يعني أن عمليات الهدم المستهدفة هذه ستؤدي إلى تخلخل أساسات المسجد الأقصى المبارك[١٧٦].

واستعاضت سلطات الاحتلال عن التلة بجسر مؤقت مصنوع من الخشب والحديد لإدخال (السياح الأجانب) إلى المسجد الأقصى. علماً أن إدخال السياح توقف رسمياً مع بداية انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠. كما زعمت سلطات الاحتلال بأن هدف بناء الجسر العلوي هو الحفاظ على سلامة المواطنين، وأنه سيكون جسر مؤقت في المكان، ولكن دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس المحتلة أرجعت سبب انهيار طريق باب المغاربة إلى أعمال الحفريات والتنقيب عن آثار تقوم بها جماعات يهودية.

وقد أطلق الشيخ (تيسير التميمي) قاضي القضاة ورئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي في فلسطين المحتلة في اليوم نفسه؛ صرخة استغاثة، قال فيها: «أن مدينة القدس المحتلة تتعرض منذ احتلالها عام ٦٧ إلى مذبحة حضارية لطمس هويتها الإسلامية والعربية العريقة في سياق مخططات الدولة الصهيونية العنصرية الرامية إلى تدمير المسجد الأقصى المبارك ومحاولات حرقة وتدميره»[١٧٧].

أما الدكتور نظمي الجعبة مدير مركز رواق ومتخصص في شؤون القدس أكد أن قرار تدمير حارة المغاربة كان سابقاً لاحتلال المدينة نظراً لموقعها المهم كنقطة انطلاق للسيطرة على منطقة الحرم القدسي بأسره من قبل (إسرائيل).

175 جريدة الرياض الثلاثاء ١٨المحرم ١٤٢٨هـ – ٦ فبراير ٢٠٠٧م – العدد 14107.
176 قدم صهيونية عند باب المغاربة، عاطف دغلس، الموقع عشرينات النت، ٢٠٠٧/٢/٦.
177 «باب المغاربة .. بداية محنة القدس»، شعبان عبد الرحمن، مرجع سابق.

ويؤكد الجعبة أن التلة لم تنهار في العام ٢٠٠٤ والأمر لا يعدوا انجرافات صغيرة بسبب المطر وبإمكان تلة الركام هذه أن تصمد ألف عام أخرى، ولكن الأمر يتعلق بالمخططات (الإسرائيلية) المتعلقة بالمسجد الأقصى.

فالتلة تمثل عائقاً أمام (الإسرائيليين) في توسيع ساحة حائط البراق (المبكى) ليشمل كافة المنطقة المكشوفة عند باب المغاربة. و إزالتها سيمكنهم من تنفيذ هذا المخطط، كما أنه سيكشف إحدى البوابات تحت الأرضية التي تقود إلى الحرم من تحت الأرض، والى مسجد البراق حيث توجد بقايا غرف أسفل التلة. وأضاف الجعبة: بواكير محاولات السيطرة على المسجد الأقصى، بدأت في العام ١٩٦٧، حيث جرت مصادرة مفاتيح باب المغاربة، وأصبحوا يشاركون في إقرار من يدخل إليه ومتى. والآن تأتي إقامة الجسر خطوة متقدمة في إطار هذا المشروع (الإسرائيلي). المخطط الجديد يقضي بإقامة جسر زجاجي ضخم بدل الجسر المؤقت، بحيث يتيح مجال الرؤية ويسمح بمشهد بانورامي شامل لمنطقة الجدار الغربي، بدون انقطاع بسبب تلة باب المغاربة. ويقول الجعبة المتخصص في موضوع الآثار الإسلامية في القدس: أن (إسرائيل) استمرت في محاولاتها للاستيلاء على المباني على امتداد الجدار الغربي عبر المستوطنات المختلفة التي يمكن مشاهدتها في منطقة باب الواد، والهدف كان الوصول إلى الجدار و إحكام السيطرة عليه. ويرى الجعبة أن أخطر ما يحصل في المناطق الأثرية حول المسجد الأقصى هو أنها تدار من قبل جهات استيطانية وليس الحكومة وهذا يسلط الضوء ويوضح حقيقة المشروع الذي يجري تنفيذه في محيط الحرم القدسي وفي المدينة بشكل عام. أما الأنفاق الكثيرة التي يجري الحديث عنها فهي تحاط بجانب من السرية والكتمان من قبل (إسرائيل) ويحظر على الفلسطينيين الوصول إليها والتحقق من طبيعتها، ولهذا فان ما ينشر عنها ناقص وتعتريه التكهنات و إن كانت هذه التكهنات لا تأتي من فراغ، كما يقول الجعبة[١٧٨].

هدم طريق باب المغاربة

يبدو أن رسائل الاستغاثة التي ترسلها إدارة المسجد الأقصى ودائرة الأوقاف الإسلامية ومؤسسة الأقصى لم تصل بعد إلى الدول العربية والإسلامية، فالأخطار ما زالت تحدق بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

178 جريدة الرياض، مرجع سابق.

فقد كشف رئيس الحركة الإسلامية بالداخل الشيخ رائد صلاح أن المؤسسة (الإسرائيلية) تنوي هدم طريق باب المغاربة بهدف إنشاء جدار ملاصق للجدار الغربي للمسجد الأقصى، بالإضافة إلى هدم غرفتين في الجانب الغربي للأقصى. وأكد الشيخ رائد صلاح خلال جولة ميدانية نظمتها مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية للاطلاع على خطورة الحفريات (الإسرائيلية)، أنه نتيجة لهدم الغرفتين سيكشف مسجد البراق بشكل واضح، وبالتالي سيكون من السهل على أي إرهابي (إسرائيلي) فتح باب مسجد البراق والدخول إليه دون رادع ومراقبة. وأشار إلى أن هدم طريق باب المغاربة والغرفتين سيزيل قسماً كبيراً من الآثار الإسلامية الموجودة بالمنطقة. ونوه أن المؤسسة (الإسرائيلية) أعدت الأجهزة والمعدات اللازمة لتنفيذ عملية الهدم وذلك بإشراف مباشر من رئيس الحكومة الحالي أولمرت. وكشف أن الحفريات تحت المسجد الأقصى وصلت حتى منطقة الكأس التي تفصل بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى، والعمال الذين يعملون به هم من تايلند ويمنع الاقتراب من النفق. وأكد الشيخ رائد صلاح أن حفر النفق الذي يمتد من أسفل منطقة عين سلوان ويمر بمحاذاة مسجد عين سلوان، باتجاه النفق الجنوبي للأقصى متواصل ومستمر حتى يصل إلى الزاوية الجنوبية الغربية. وفي هذا السياق أكد أن منطقة عين سلوان وقف إسلامي وادعاءات (جمعية العاد) باطلة وكاذبة ولا أساس لها من الحقيقة. وناشد الشيخ صلاح مصر والأردن وتركيا والمغرب القيام بدور فعال وفوري لإيقاف الجريمة (الإسرائيلية) التي ترتكب في المسجد الأقصى.

من جهته قال رئيس الهيئة الإسلامية العليا الشيخ عكرمة صبري إن هدم طريق باب المغاربة وبناء الكنيس ومواصلة الحفريات في محيط الأقصى يغير المعالم الإسلامية في المنطقة ويعتبر اعتداء باطلاً وغير شرعي على الوقف الإسلامي. وأضاف: «على المسلمين التنبه بالمخاطر المحدقة بالأقصى الشريف. وأكد أن الجولة تأتي للكشف على التجاوزات (الإسرائيلية) في المدينة المقدسة بشكل عام والأقصى بشكل خاص.

وبخصوص النية في هدم طريق باب المغاربة قال الشيخ عبد العظيم سلهب: «الحفريات التي تنفذها السلطات (الإسرائيلية) المحتلة في مدينة القدس متواصلة منذ ١٩٧٦ وتهدف إلى ابتلاع الأراضي وتحويل الأحياء الفلسطينية إلى جزر غير متواصلة».

وأضاف: «طريق المغاربة تعتبر طريقاً رئيسياً من طرق المسجد الأقصى المبارك تربط الأحياء الجنوبية من المدينة بالمسجد الأقصى، وقبل سنوات منعت السلطات المواطنين من الوصول إلى الأقصى عبر هذه الطريق، كما أن السلطات (الإسرائيلية) تستولي على مفاتيح الباب وتسمح من خلاله بدخول المتطرفين والشرطة. وأكد أن القرار (الإسرائيلي) بإزالة الطريق سيقلب الأوضاع. وحذر سلطات الاحتلال من العبث بالطريق. وأكد أن دائرة الأوقاف أجرت اتصالات مع الجهات المختصة بالداخل والخارج للوقوف في وجه المخطط الإسرائيلي لإزالة التلة.

واشتملت الجولة التي نظمتها مؤسسة الأقصى على عدد المحطات، وبدأت المحطة الأولى من حمام العين للتعرف على الحفريات (الإسرائيلية) أسفله والكنيس اليهودي الجديد، أما المحطة الثانية فكانت عند مطلة ساحة البراق والتي بينت الحفريات (الإسرائيلية) الجديدة أقصى غرب ساحة البراق. وكانت المحطة الثالثة عند طريق باب المغاربة وبينت الاستعدادات العملية لهدم الطريق، أما المحطة الرابعة كانت باتجاه الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى لمشاهدة التشققات في الجدار، فيما اتجهت المحطة الخامسة والأخيرة عند مجمع عين سلوان والتي كشف خلالها عن النفق الجديد الذي يصل بين حي سلوان ويمتد نحو ٦٠ متر وصولاً إلى أسفل الزاوية الجنوبية الغربية للأقصى[١٧٩].

وقد حاولت سلطات الاحتلال اليهودي التغطية على جريمة هدم تلة باب المغاربة، حيث عقدت اللجنة المحلية للتخطيط والبناء في بلدية غرب القدس اجتماعها الأول قبيل نشر خطة جديدة لبناء الجسر في منطقة باب المغاربة، بعد ادعاء مصادر (إسرائيلية) أن خطة البناء الأولى أثارت ردود فعل فلسطينية غاضبة متجاهلة أن الغضب الفلسطيني الأساسي هو على هدم تلة باب المغاربة وليس على بناء الجسر فقط. ونقلت هآرتس عن (أوري لوبليانسكي)، رئيس بلدية غرب القدس، اعتقاده أن نقاشاً موسعاً مع الجمهور بشأن هذا المخطط سيقنع المسلمين بأن بناء الجسر لن يشكل تهديداً على المسجد الأقصى ولا يعني ضم أي جزء منه - على حد زعمه. ونقل عن رئيس لجنة التخطيط والبناء في البلدية، يهوشوع فوليك، قوله أنما يسمى (صندوق تراث حائط المبكى) المسئول عن خطة الجسر الأصلية قد قدم مؤخراً الخطة ذاتها.

179 سلطات الاحتلال تقرر هدم طريق باب المغاربة لإنشاء جدار ملاصق للأقصى، فلسطين اليوم٢٠٠٧-٠٢-٠١ .

وبحسبه فإن «إقامة الجسر ضرورية، إلا أنه من الممكن تغيير مساره». وبحسبه فإن البلدية تنوي استدعاء الخبراء ذوي الصلة في مجال الأمن والشرطة والآثار، بالإضافة إلى الوقف الإسلامي، من أجل الاستماع إلى مواقفهم، وذلك في أعقاب اتخاذ قرار بإجراء مناقشات مبدئية بهذا الشأن. وأضاف أنه بسبب الاعتراضات التي سيتم تقديمها، فمن غير المؤكد أن تصادق اللجنة في نهاية الأمر على إقامة الجسر بشكله الحالي. وتابع «تمارس علينا ضغوط كبيرة من قبل عناصر في الأمن اليهودي بشأن الحاجة إلى إقامة مثل هذا الجسر، على اعتبار أنه سيكون الطريق الوحيد لدخول قوات الأمن إلى ساحة الحرم في حال حصول أمر ما في الداخل»[180].

سرقة وتدمير الآثار الإسلامية

وقد كشف خبير الخرائط في بيت الشرق السيد خليل التفكجي أن سلطة الآثار (الإسرائيلية) تسرق الأحجار التي تجرفها في باب المغاربة، وتنقلها إلى منطقة أخرى بالقرب من الكلية الإبراهيمية، وأضاف التفكجي أن سلطات الآثار (الإسرائيلية) تقوم بتمحيصها والتدقيق فيها بهدف البحث عن أثار يهودية وتقوم بإتلافها في وقت لاحق بعد فشلها في الوصول إلى أي أحجار تثبت الوجود اليهودي في الحرم القدس الشريف كما تزعم سلطة الآثار. وأوضح أن «الهدف من تنفيذ مشروع تجريف تلة المطلع بباب المغاربة هو توسيع ساحة حائط المبكى وإقامة كنيس يهودي جديد ملاصق للسور الغربي للحرم القدسي الشريف ولتمكين سلطة الآثار الاحتلالية من تنفيذ المزيد من الحفريات». وأضاف خبير الخرائط في بيت الشرق أن الهدف من تنفيذ مشروع تجريف تلة المطلع بباب المغاربة هو توسيع ساحة (حائط المبكى) وإقامة كنيس يهودي جديد ملاصق للسور الغربي للحرم القدسي الشريف ولتمكين سلطة الآثار الاحتلالية من تنفيذ المزيد من الحفريات[181]. كما كشفت مؤسسة الأقصى النقاب عن قيام سلطات الاحتلال بإلقاء محتويات طريق باب المغاربة، من آثار تاريخية في مكب للنفايات تابع لبلدية القدس ومستعمرة معالي أدوميم. حيث عرضت في مؤتمر صحفي، صوراً فوتوغرافية توثق ذلك[182].

180 الأيام الفلسطينية ٢٠٠٧/٣/٩.
181 الموقع الالكتروني مصراوي، ٢٠٠٧/٢/٩.
182 الموقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٧/٣/٢٣.

في حين كشف عالم آثار يهودي عن أن السلطات اليهودية تتستر منذ نحو ثلاث سنوات على اكتشاف آثار لمصلى إسلامي من العهد الأيوبي تحت التلة الترابية في طريق باب المغاربة المتاخمة للمسجد الأقصى. وأضاف أن ثمة اعتقاداً بأن هذه آثار غرفة تابعة لمدرسة لتعليم الدين الإسلامي تعود ربما للقرن الحادي عشر. ولفت إلى أنه تقرر التستر على الأمر خشية أن يطالب المسلمون بالإعلان عن الموقع مقدساً، رغم أنه قريب لـ(حائط المبكى). وعلى هذا الصعيد أعرب علماء آثار عن دهشتهم مما كشف، وأعتبر أحدهم أن هذا الكشف يوفر ذخيرة للشيخ رائد صلاح، ويبطل الادعاءات اليهودية بأن لا آثار للمسلمين في التلة الترابية موضع الخلاف[١٨٣].

وقد علق على ذلك رئيس مجلس الأوقاف الإسلامية في القدس المحتلة، أن ما كشف عنه خبير الآثار اليهودي، هو بمثابة اعتراف بأن المكان مليء بالآثار والمقدسات الإسلامية، خاصة من الفترتين الأيوبية والمملوكية. وأضاف أن الغرفة التي يتحدثون عنها، هي مسجد ملحق بواحدة من المدارس الإسلامية التي كانت تحيط بالمسجد الأقصى، وقد تكون بالذات المدرسة الأفضلية، التي أنشأها نجل صلاح الدين الأيوبي، والتي كانت في حي المغاربة[١٨٤]. أما المهندس عبد الله العبادي عضو لجنة إعمار المسجد الأقصى فقد أوضح: أنه رغم كل عمليات الحفر التي تقوم بها (إسرائيل) والتي تهدف إلى تغيير معالم مدينة القدس إلا أن الاكتشافات أثبتت أن (٨٠٪) منها إسلامي والباقي بيزنطي وروماني[١٨٥].

ضابط وراء إقامة الكنيس مكان الأقصى

وقد نشرت صحيفة (هآرتس اليهودية) تقريراً عن الحفريات اليهودية تحت وحول المسجد الأقصى المبارك؛ استعرضت فيه خطة كان قد أعدها ضابط يهودي كان قد دخل ساحة الأقصى المبارك في عام ١٩٦٧ ورفع العلم اليهودي فوق الحائط الغربي. وجاء في التقرير أن (يورام زاموش) هو العقل المدبر وراء مخططات إقامة كنيس يهودي مقابل الأقصى وتوسيع ساحة البراق (المبكى المزعوم) والحفريات حول الحرم القدسي وتحت البلدة القديمة بدعم حكومي.

183 الحياة ٢٠٠٧/٢/١٩.
184 الغد الأردنية ٢٠٠٧/٢/١٩.
185 الرأي الأردنية ٢٠٠٧/٤/٧١.

وقالت الصحيفة أن لدى زاموش خططاً أخرى ورسوماً ومجسمات مفصلة لكنيس كبير سيقام حسب خطته فوق مبنى المحكمة في الطرف الشمالي للحائط ويطل على المسجد الأقصى. ومهمة أخرى أقامها لنفسه هي الكشف عن مسار الشارع القديم لمدينة (داود الذي أفضى إلى الهيكل)، وهو مشروع سيقتضي هدم عشرات بيوت الفلسطينيين في قرية سلوان. ويشار إلى أن سلطات الاحتلال تحاول منذ عام مضى هدم أكثر من مئة منزل في سلوان، ولكن السكان يتصدون لهذا المخطط.

وحسب الصحيفة قام زاموش وعدد من رفاقه بتطوير خطة للحفر والبناء تغير تغييراً جذرياً المبنى والشكل لباحة حائط البراق ومحيط المسجد الأقصى الشريف الذي يطلقون عليه اسم (جبل الهيكل)، وبدؤوا يعرضون هذه الخطط على الخبراء ومتخذي القرارات، وحصلوا على تأييد وبخاصة في فترة ولاية المتطرف (بيني ألون) من الاتحاد الوطني في وزارة السياحة اليهودية. جرت على الخطة تغييرات مختلفة عندما تلقى زاموش نصائح بإخفاء بعض مميزاتها، مثل فكرة فتح أبواب أخرى نحو الأقصى، وفي ضمنها باب باركلي القديم الموجود تحت باب المغاربة (يسمى الباب باسم مكتشفه، قنصل الولايات المتحدة في القدس في القرن التاسع عشر). وكذلك خطة احتلال المسجد الأقصى من جديد بإغراقه بملايين الزوار اليهود، مع كسر حظر الحاخامية الرئيسة دخول اليهود إلى الحرم القدسي.

أحد المركبات الرئيسة في الخطة التي صيغت، ويسمى كيدم يروشاليم (القدس القديمة) ونشر أمر وجوده على يدي (ناحوم بارنيغ) في صحيفة (يديعوت أحرونوت)، هو بناء كنيس كبير فوق مبنى المحكمة، يسمى أور يروشاليم (نور القدس) ويطل على منطقة جبل الهيكل. يسميه زاموش الكنيس التمثيلي والمركزي للشعب اليهودي في باحة (حائط المبكى). تحت المبنى، خُطط لتوسيع وتعميق باحة (حائط المبكى) إلى عمق نحو ٥١ متراً و إبعاد جسر باب المغاربة. وهكذا سيتم الكشف عن الحائط كله، وفي ضمنه الأبواب القديمة عند أساسه، وستزيد مساحة الباحة وستصبح على حسب ما يقول زاموش ميدان القديس بطرس للشعب اليهودي، في حين يكون الكنيس فوق المحكمة قبتنا السيستينية. بخلاف الخطة الأصلية، سيظل باب باركلي مغلقاً وتوضع عليه أبواب من النحاس فخمة.

وهو يرى في خياله ساحة كبيرة ونظيفة، لن يستطيع دخولها الحاخامات ومقربوهم بسياراتهم، لن يكون هناك لا علم ولا نظام جنود ولا لافتات لجميع أنواع المدارس الدينية التي تتصرف هناك كتصرفها بأملاكها. لكن الخطط لا تقتصر فقط على المنطقة حول حائط البراق، في إطار القدس القديمة بل يخطط زاموش ورفاقه للكشف عن جميع مسار الشارع القديم لمدينة داود، الذي أفضى إلى الهيكل، في مشروع تشترك فيه رابطة اليمين إلعاد (إلى مدينة داود). سيقتضي التنفيذ هدم ٥٥ بيتا للفلسطينيين، أصبحت الرابطة قد اشترت بعضاً منها. يوجد في الخطة أيضاً بناء لمتنزه في حديقة الآثار هعوفل، يفضي إلى المسجد القدسي، ومتنزه آخر بقرب كنيسة الجثمانية، مخصص في الأساس للحجاج النصارى الذين يسيرون في الطريق الأخير ليسوع، وكذلك تطوير طرق للوصول، ومواقف للسيارات، ونفق نقل تحت المدينة القديمة وتوسيع مغارة تصدقياهو إلى ما تحت الربع الإسلامي، وقطار هوائي كبير يحمل الزائرين من محطة القطار القديمة في غربي المدينة، فوق وادي جهنم إلى مداخل المسجد القدسي. ومن أجل التغلب على المعارضات المتوقعة تنص الخطة على قامة إدارة مشتركة لإدارة المسجد القدسي والمنطقة، تشارك فيها جميع الجهات الحكومية والبلدية النشيطة ميدانياً وفي ذلك ممثلون عن الأديان الثلاثة، اليهود، والمسلمين والنصارى.

وحسب الصحيفة فإن الملياردير اليهودي آرييه رينارت، الذي يمتلك أكبر مزرعة خاصة في الولايات المتحدة، والمشهور منذ عشرات السنين كمتبرع رئيس للجمعيات والمؤسسات التي توالي اليمين المتدين في (إسرائيل) وأنفق على جزء كبير من عمليات الشراء التي نفذتها جمعيات اليمين في شرقي القدس سيمول المشروع الذي خططه زاموش[١٨٦].

صرخات استغاثة فلسطينية

بعد ذلك التقرير أطلقت عدة مؤسسات فلسطينية صرخات استغاثة للأمة، أكدت أن ما يجري من حفريات أسفل المسجد يأتي ضمن مخطط تدميري، يبدو أنها مثل سابقاتها ذهبت أدراج الرياح.

186 الموقع الالكتروني لفلسطين الآن ٢٠٠٧/٢/٢٦.

فقد حذّرت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية في الأراضي الفلسطينية، يوم (٢٠٠٧/٢/٢٧)، من مخطط صهيوني وصفته بالـ «متدرج» لتقسيم المسجد الأقصى المبارك. وكشفت النقاب، في بيان صادر عنها، عن أن هذا المخطط يتضمن بناء كنيس يهودي على أنقاض مبنى المحكمة الشرعية التابعة للمسجد الأقصى، والواقعة في الجدار الغربي للمسجد الأقصى. وطالبت مؤسسة الأقصى، العالم العربي «بتحرك سريع وفوري»، لوقف مخطط «يندرج في مواصلة هدم طريق باب المغاربة وهدم غرفتين من المسجد الأقصى، وبناء جسر كبير يكون مدخلاً لاقتحامات قوات الاحتلال للمسجد الأقصى، وتنفيذ اعتداءات جدُّ خطيرة»، حسب تأكيد البيان. وأشارت المؤسسة، إلى التقرير المفصل الذي أوردته صحيفة (هآرتس الصهيونية)، حول مخطط متكامل للسيطرة على أجزاء من المسجد الأقصى، والمنطقة الملاصقة والمحيطة بالمسجد الأقصى، من أجل بناء كنيس يهودي على أنقاض مبنى المحكمة الشرعية الذي تسيطر عليه سلطات الاحتلال منذ عشرات السنين، والذي هو جزء لا يتجزأ من المسجد.

وقالت إن «واجهة الكنيس الكبيرة، ستكون داخل أجزاء من المسجد الأقصى من الجهة الغربية، وسيقوم اليهود بأداء طقوسهم الدينية داخل الكنيس، بما يعني بالفعل إقامة هذه الشعائر داخل المسجد الأقصى، كما أنّه يندرج ضمن هذا المخطط الاستمرار في حفر نفق من سلوان إلى ما تحت المسجد الأقصى، والذي سيتضمن هدم عشرات البيوت العربية والإسلامية في سلوان ضمن مخطط المؤسسة اليهودية فيما يسمونه (مدينة داوود التلمودية).

ووصف البيان المخطط، بأنه «خطير يسير بخطوات عملية متدرجة لتقسيم المسجد الأقصى بين اليهود والمسلمين، بكل ما تعني هذه الكلمة»، مشيراً إلى أن هدم طريق باب المغاربة المتضمنة للآثار الإسلامية التاريخية من ضمنها المدرسة الأفضلية ومسجدها اللذان بنيا في زمن الملك الأشر بن صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى هدم غرفتين من المسجد الأقصى الأمر الذي سيؤدي إلى كشف مسجد البراق، هو بداية عملية لبسط السيطرة الصهيونية بالقوة على المسجد الأقصى كمدخل عملي لتقسيمه، كما أعلنت جهات صهيونية تحويل مسجد البراق إلى كنيس يهودي».

وطالبت مؤسسة الأقصى، الحاضر الإسلامي والعربي والفلسطيني حكومات وشعوباً إلى التحرك السريع لوقف ما وصفته «بالمخطط التدميري»، وأشارت إلى أنها كانت قد حذرت في أواخر سنة ٢٠٠٤ في أعقاب انهيار جزء من باب المغاربة بسبب الحفريات الصهيونية، من أنّ سلطات الاحتلال «ستهدم هذا الطريق، وستُقدم على هدم جزء ثمين من المسجد الأقصى، وأنها تناشد اليوم الأمة كلها بالسعي الحثيث والفوري والمستعجل للدفاع والحفاظ على المسجد الأقصى قبل أن تقع الكارثة»[١٨٧].

أما مؤسسة الأقصى فقد حذرت من أعمال باشرت شركات ومؤسسات (إسرائيلية) القيام بها في أسوار البلدة القديمة للقدس بحجة الترميم، بالإضافة إلى قيام بلدية المدينة بتنفيذ مشاريع لتحويل محيط المسجد الأقصى إلى حدائق عامة. وأكدت أن ما من عمل تقوم به المؤسسة اليهودية وأذرعها المختلفة في القدس إلا وتسعى من خلاله إلى تهويد المدينة وطمس معالمها العربية والإسلامية، متسائلة عن معنى وضع سلطة الآثار اليهودية ختمها وشعارها الخاص على حجارة السور المستبدلة[١٨٨]. كما علمت مؤسسة الأقصى أنّ شركة (إسرائيلية) خاصة قامت بتصوير كامل لأسوار البلدة القديمة في القدس عن طريق أشعة الليزر بطريقة البعد الثلاثي، الأمر الذي يشير إلى أنّ هناك تخطيطاً بعيد المدى وخطيراً تمهدّ له المؤسسة اليهودية[١٨٩]. وقد دعت مؤسسة الأقصى إلى تشكيل لجنة مهنية بصورة عاجلة من ذوي الاختصاص العرب والمسلمين، لتقوم بفحص وضعية أسوار البلدة القديمة في القدس، وكل آثارها العربية والإسلامية والمسيحية منها على ضوء أعمال الحفريات اليهودية المتواصلة[١٩٠].

هذه بعض الجهود والمساعي اليهودية لإعادة بناء هيكل سليمان المزعوم؛ تُرى كم يوجد في عالمنا العربي والإسلامي الذي فيه أغنى أغنياء العالم، من يتذكر وليس يحلم بما تخطط له السلطات اليهودية ضد القدس والمسجد الأقصى، وطبيعي لا داعي لنسأل: كم منهم من يعمل على إفشال تلك المخططات، أو يحاول الحفاظ على تلك المقدسات، و إن كان الخير لا ينقطع من الأمة، ولكننا نسأل مَنْ يملك الملايين والمليارات؟! لذلك نهيب بفقراء الأمة وأغنيائها من المستورين،

187 الموقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٧/٢/٢٧.
188 صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية، ٢٠٠٧/٤/٢٠.
189 الموقع الالكتروني لصوت الحق والحرية، ٢٠٠٧/٤/١٩.
190 صحيفة القدس الفلسطينية، ٢٠٠٧/٤/٢٠.

أن يكثفوا من تبني المشاريع التي تعمل من أجل الحفاظ على قدس وأقصى الأمة باقيان بعيداً عن التخريب والتدمير، قبل أن يدنسهما (أشد الناس عداوة للذين آمنوا).

بقي أن نذكر بما نصح به الباحث الأمريكي (توماس ريكس) من جامعة (فيلانوفا)، الذي خاطب الفلسطينيين بقوله: «هل تعرفون ما هي قوتكم كشعب؟ إنها القدس، لقد كنت في منطقة نائية في أقصى جنوب أفغانستان، والتقيت نساءً وشباباً في مقتبل العمر، وكذلك شيوخاً أوشكوا على الموت، ما كان يأتي ذكر اسم هذه المدينة المقدسة على لساني إلا وانهمرت دموعهم»، وهذا هو سر القضية الفلسطينية[١٩١].

الفصل الثالث

مكانة القدس والأقصى إسلامياً
وعالمية العهد والوعد

المبحث الأول
مكانة الأرض المباركة والمسجد الأقصى
في القرآن والسنة[192]*

سيكون حديثنا عن أهمية ومكانة الأرض المباركة والمسجد الأقصى انطلاقاً من إيماننا بوحدة الرسالات والنبوءات، في المصدر والمنهج والغاية في تحقيق العبودية لله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء: ٩٢}. وأن الدين واحد في الأصل والمصدر، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ {الشورى:١٣}. ومن خلال إيماننا أنه لا يوجد هناك (أديان سماوية) ولكن دين سماوي واحد هو الإسلام، وأن الإسلام هو دين جميع الرُسُل وأتباعهم منذ أقدم العصور، وجميعهم قد استعملوا كلمة الإسلام صفة لرسالتهم وهدفاً لدعوتهم، والإسلام هو التعبير الشامل الذي يطلق على كل رسالة سماوية لم تتناولها يد الإنسان بتحريف أو تغيير أو تبديل. ورد الله تعالى على قول اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة:١٣٥-١٣٦}.

192 الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن مكانة فلسطين والمسجد الأقصى في الإسلام كثير جداً، ولكننا سنذكر ببعضها فقط من أجل التذكرة.

كما أن حديثنا عن العهد الذي أعطاه الله لنوح عليه السلام والوعد الذي منحه الله لإبراهيم عليه السلام، سيكون من خلال الرؤية القرآنية وبمنهجية الإيمان والهداية والعالمية، وليس من خلال منهجية التوراة العرقية والقبلية والعنصرية. لذلك فإنّ العهد الذي أُعطي لنوح، والوعد الذي أُعطي لإبراهيم لا يقتصران على أحد أولادهما دون الآخر، وإنما هو في الصالحين من ذريتِهما والمؤمنون بدعوتِهما أياً كانوا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة:١٢٤}. وبنو إسرائيل يدّعون الانتساب إليهما، لكنهم فسقوا وحُرموا من الحق في ورثتهما وورثة جميع الأنبياء والرُسُل عليهم السلام. وأن الورثة الشرعيين للإرث الروحي لنوح وإبراهيم وجميع الأنبياء والرُسُل هم من جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {آل عمران: ٦٨}.

كما سيكون حديثنا من خلال فهمنا القرآني إلى: ﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ {الأعراف: ١٢٨}. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ {الأنبياء: ١٠٥}. وأن عباد الله الصالحين ليسوا عرق ولا قومية محددة مسبقاً كما رأينا ذلك في وعُوُد التوراة.

الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام

لأن هدف اليهود والنصارى منذ أمد طويل هو تحقيق اختراق في العقل المسلم، وكسب الشرعية السماوية حتى يتمكنوا من غزو عقول المسلمين بعقائدهم وأخلاقياتهم الهدامة بزعم أنها (أديان توحيدية سماوية)، ومن أجل التخفيف من حدة الصورة السوداء القاتمة والبشعة عند المسلمين تجاه الغرب اليهودي - النصراني، التي كونتها لديه تلك الجولات التي لم تنتهِ من الصراع والحروب والاحتلالات والفتن التي مارسها ويمارسها الغرب ضد الإسلام والمسلمين، ابتدعوا ما يسمى (حوار الأديان السماوية) على اعتبار أن اليهودية والنصرانية مازالت تحتفظ بأصلها السماوي، وأنها (ديانات توحيدية) كالإسلام، وأن كُتُبها التي بين أيدينا هي وحي مُنَزَّل من عند الله، من أجل اختراق العقل والمجتمع المسلم!.

فالهدف من تلك الحوارات هو أن تُكسب تلك الأديان الوضعية صفة السماوية والتوحيدية على الرغم من فقدانها لوحدانيتها وروحانيتها وصفتها السماوية، بعد ما أدخلته عليها يد الإنسان من تحريف وتبديل أبعدها عن أصلها السماوي، وغدت أقرب إلى الوثنية منها إلى التوحيد، وأقرب إلى الأديان الوضعية البشرية منها إلى إلي الأصل السماوي لها. إن الاعتراف باليهودية والنصرانية أنها (ديانات توحيدية وسماوية) على الرغم من وثنيتها، ووضعها على نفس مستوى الدين السماوي الوحيد (الإسلام) يعتبر ذلك اعترافاً من المسلمين بشرعيتها السماوية، في الوقت الذي لا تعترف هي بشرعية الإسلام السماوية، على الرغم من كل الإشارات والنبوءات عن نبي الإسلام وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين التي مازالت موجودة في كتبهم الدينية بعد كل ما جرى عليها من تحريف!

بمعنى آخر: أننا نمنحها الشرعية السماوية في عقول ونفوس أبنائنا لأننا نؤمن بأصولها السماوية بنص القرآن الكريم، في الوقت الذي الذي حرفها أتباعها حتى أخرجوها عن سماويتها وحولوها إلى دين بشري، وفي المقابل لا يحصل الإسلام على نفس الشرعية السماوية عند اليهود والنصارى لأنهم لا يوجد عندهم أي نص يأمرهم بالإيمان بالإسلام أنه دين سماوي توحيدي مُنَّزل من عند الله! ذلك يعني إضفاء شرعية إلهية على الحضارة الغربية المادية اليهودية - النصرانية، التي ارتدت بالكلية إلى أصولها الوثنية الإغريقية والرومانية بعد الانفصال التام الذي حدث في الغرب بين الكنيسة وحياة الناس بعد انتهاء العصور الوسطى الأوروبية.

و إننا نرفض الاعتراف بها (أديان توحيدية سماوية) لأن الله تعالى لم يخبرنا بأنه أنزل أديان سماوية متعددة، ولكنه أخبرنا أنه أنزل دين سماوي توحيدي واحد على جميع الأنبياء والرُسُل عليهم جميعاً الصلاة والسلام، على اختلاف أقوامهم وأزمانهم، هو الإسلام. وأن هذا الدين التوحيدي السماوي والوحيد المُنَّزل من عند الله يقوم على أساسين هما: العقيدة والشريعة. أما العقيدة فهي واحدة لم تختلف في مضمونها وجوهرها من آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليخم جميعاً الصلاة والسلام، وهي الدعوة إلى وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن كل شريك، والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار.

فكان كل نبي يدعو قومه للإيمان بهذه الأمور. وكان كل منهم مصدق لدعوة من سبقه ومبشراً بدعوة من سيأتي بعده، وهكذا تلاحقت بعثتهم إلى مختلف الأقوام والأمم ليؤكد الجميع حقيقة واحدة أمروا بتبليغها وحمل الناس على الإذعان لها، ألا وهى الدينونة لله عز وجل وحده، وهذا ما بينه الله تعالى بقوله في كتابه الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ {الشورى: ١٣}. بل إنه لا يتصور أن تختلف دعوات الأنبياء الصادقين في شأن العقيدة، لأن أمور العقيدة من نوع الإخبار، والإخبار عن شيء لا يمكن أن يختلف ما بين مخبر وآخر إذا فرضنا الصدق في خبر كل منهما، فمن غير المعقول أن يبعث أحد الأنبياء ليبلغ الناس أن الله ثالث ثلاثة، سبحانه عما يقولون، ثم يبعث من بعده نبي آخر ليبلغهم أن الله واحد لا شريك له ويكون كل منهما صادقا فيما بلغ عن الله تعالى. هذا عن العقيدة.

أما عن التشريع وهو سنّ الأحكام التي يتوخى منها تنظيم حياة المجتمع والفرد، فقد كان يختلف في الكيف والكم ما بين بعثة نبي وآخر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسبب ذلك أن التشريع من نوع الإنشاء لا الإخبار، فلا يرد فيه ما أوردناه على اختلاف العقيدة. ثم من المفروض أن يكون للتطور الزمني ولاختلاف الأمم والأقوام أثر في تطور التشريع واختلافه، بسبب أن أصل فكرة التشريع قائم على أساس ما تقتضيه مصالح العباد في دنياهم وآخرتهم، هذا إلى أن كل بعثة نبي من الأنبياء السابقين كانت خاصة بأمة معينة ولم تكن عامة للناس كلهم، فكانت الأحكام التشريعية محصورة في إطار ضيق حسبما تقتضيه حال تلك الأمة بخصوصها. فقد بعث موسى عليه السلام لبنى إسرائيل وكان الشأن يقضى - بالنسبة لحال بنى إسرائيل إذ ذاك - أن تكون شريعتهم شديدة قائمة في مجموعها على أساس العزائم لا الرخص. ولما مرت الأزمنة وبعث فيهم عيسى عليه السلام كان يحمل إليهم شريعة أسهل وأيسر مما كان قد بعث به موسى عليه السلام من قيل، وانظر في هذا إلى قول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام وهو يخاطب بنى إسرائيل: ﴿وَمُصَدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيكُمْ وَجِئْتُكُم بِأَيةٍ مِن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ {آل عمران:٥٠}. ونفس المعنى ورد في (إنجيل متى:٥/١٧): «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ».

فقد بين لهم أنه فيما يتعلق بأمور العقيدة، مصدقاً لما جاء في التوراة ومؤكداً له ومجدد للدعوة إليه، أما بالنسبة للتشريع وأحكام الحلال والحرام، فقد كلف ببعض التغييرات و إيجاد بعض التسهيلات ونسخ بعض ما كانوا قد يعانونه من الشدة في الأحكام. وبناءً على هذا فإن بعثة كل رسول تتضمن عقيدة وتشريعاً: فأما العقيدة فعمله بالنسبة لها ليس سوى تأكيد لنفس العقيدة التي بعث بها الرسل السابقون دون أي اختلاف أو تغيير .وأما التشريع، فإن شريعة الرسول ناسخة لشريعة من سبقه إلا ما أيده التشريع المتأخر أو سكت عنه، وذلك على مذهب من يقول: شريعة من قبلنا شريعة لنا إذا لم يرد ما يخالفها.

ويتضح مما سبق أنه لا توجد أديان سماوية متعددة و إنما توجد شرائع سماوية متعددة نسخ اللاحق السابق إلى أن استقرت الشريعة السماوية الأخيرة التي قضت حكمة الله أن يكون مبلغها هو خاتم النبيين والرسل أجمعين. أما الدين الحق فواحد، بعث الأنبياء كلهم للدعوة إليه وأمر الناس بالدينونة له منذ آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ألا وهو الإسلام[193] .

ذلك دليل على أن الله تعالى لم يُنَزِل (أديان سماوية) متعددة، ولكنها كانت شرائع سماوية لدين واحد، ينسخ منها اللاحق السابق، إلى أن اكتملت تلك الشرائع بشريعة خاتم الأنبياء والمرسلين صلَ الله عليه وعلى له وسلم الذي بُعث رحمة للعالمين. ومن يرجع إلى القرآن الكريم يجد أن كل الأنبياء والرسل عليهم السلام أقروا بالإسلام ديناً لهم. قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يونس:٧٢}. وأبينا إبراهيم عليه السلام هو أول مَنْ اختار الإسلام والاستسلام لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {البقرة:١٣١}. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. {الأنعام١٦٢-١٦٣}. و إبراهيم هو الذي اختار لنا اسم المسلمين، قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ {الحج:٧٨}.

193 محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت ت لبنان، دار الفكر، دمشق . سوريا، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩١، ص٣٤، ٣٥.

وسأل إبراهيم وإسماعيل الله وهما يبنيان الكعبة في مكة أن يجعلها مكاناً للعبادة قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧-١٢٩}. ووصى بها إبراهيم ويعقوب بنيه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾{ البقرة:١٣٢-١٣٣}.

ويجمل الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن معاني وأبعاد الصراع في الآيات السابقة، فيقول: ولهذا الدعاء وزنه في الصراع القائم بين اليهود والجماعة المسلمة في نزاع عنيف متعدد الأطراف. أن إبراهيم وإسماعيل يقولان باللسان الصريح: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وهما بهذا وذاك يقرران وراثة الأمة المسلمة لأمانة إبراهيم، إذن فمن كان يربط ديانته بإبراهيم من اليهود والنصارى ويدعي دعواهم العريضة في الهدى والجنة بسبب تلك الوراثة فليسمع: إن إبراهيم طلب الوراثة لبنيه والأمانة، فقال له ربه: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ويواجه القرآن الكريم الذين تنازعوا الأمة المسلمة الإمامة، وينازعون الرسول صلَ الله عليه وعلى آله وسلم النبوءة والرسالة ويجادلون في حقيقة دين الله الأصيلة الصحيحة قائلاً: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. هذه هي ملة إبراهيم الإسلام الخالص الصريح لا يرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه سفيه عليها مستهتراً بها، إبراهيم الذي اصطفاه ربه في الدنيا إماماً، وشهد له في الآخرة بالصلاح، إذ قال له ربه أسلم فلم يتلكأ واستجاب فور تلقى الأمر ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. هذه هي ملة إبراهيم ولم يكتفِ إبراهيم بنفسه بل أوصى بها بنيه ويعقوب (إسرائيل) وصى بها بنيه أيضاً، وذكرهما بنعمة الله عليهم في اختيار الدين لهم ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾،

وهي الفرصة السانحة، فقد جاءهم الرسول الذي يدعوهم إلى الإسلام، وهي ثمرة الدعوة التي دعاها أبوهم إبراهيم)[194]. والإسلام هو ما دعا يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب أن يتوفاه الله عليه، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ {يوسف:١٠١}. وهو الاسم الذي وصفت به الملائكة بيت لوط عليه السلام عندما جاءت لعقاب قومه، قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ {الذاريات:٣٦}. والإسلام هو دعوة موسى عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾{ يونس:٨٤}. وهو ما أعلن فرعون إيمانه به أثناء هلاكه وأنه دين بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾{ يونس:١٠}. والإسلام هو دعوة داود وسليمان عليهما السلام، فقد أرسل سليمان إلى بلقيس: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾{ النمل:٣٠-٣١}.

وعندما اشتد توبيخ عيسى عليه السلام وفضحه لكذب أحبار اليهود تآمروا عليه، وأحس منهم الكفر والغدر والتآمر عليه، سأل عن أنصاره وأجابه الحواريين وأشهدوه على إسلامهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ {آل عمران:٥٢}. ذلك يعني أن عيسى عليه السلام دعا بني إسرائيل إلى الإسلام، إلى ملة إبراهيم عليه السلام الذي اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من المقربين.

ولأن الإسلام كان دعوة عيسى عليه السلام فإن عدد ليس بالقليل من النصارى الذين لم يُختم على قلوبهم آمنوا بمحمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم من بداية دعوته وهو في مكة، وأعلنوا على الملأ وللتاريخ أن هذا الدين ليس بجديد عليهم، و إنما هو ما دعا إليه أنبياؤهم، وأن محمداً صلَ الله عليه وعلى آله وسلم هو النبي الذي بُشروا به.

194 سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الأول، المجلد الأول، دار الشروق، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٩٨٠، يراجع تفسير الآيات من سورة البقرة من ١٢٤.١٣٣، ص ١٠٩ وما بعدها.

لذلك عندما وفد على الرسول صلَ الله عليه وعلى آله وسلم وهو في غمرة ما كان يلاقيه هو وأصحابه من العذاب والإيذاء أول وفد من خارج مكة؛ لفهم شيءٍ عن الإسلام، وكان بضعة وثلاثين رجلاً من نصارى الحبشة، جاءوا مع جعفر بن أبي طالب لدى عودته إلى مكة، فلما جلسوا إلى رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم واطلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلاه عليهم من القرآن آمنوا كلهم، فلما علم أبو جهل أقبل إليهم قائلاً: لم أرَ ركباً أحمق منكم، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً، فنزل في حقهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ {القصص: ٥٢-٥٥}. وهذا فيه دلالة على أن إيمانهم إنما هو استمرار للإيمان السابق، ولِما كانوا يتمسكون به من دين وعقيدة ومعناه أن الإنجيل الذي كانوا يؤمنون به كان يأمرهم بالإيمان بهذا النبي المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، ولهذا فإيمانهم لم يكن انتقالاً من دين إلى دين جديد، بل هو امتداد لدين واحد، كما جاء في الآية الكريمة ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[١٩٥].

ويلخص الإمام (الشهرستاني) في كتابه «الملل والنحل» الدليل والخلاف في هذه القضية بقوله: (والمسلمون قد بينوا أن الأمتين قد بدلوا وحرفوا، وإلا فعيسى كان مقرراً لما جاء به موسى عليه السلام، وكلاهما مبشران بمقدم نبينا نبي الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين، وقد أمرهم أئمتهم وأنبياؤهم وكتابهم بذلك، وإنما بنى أسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرةفرسول آخر الزمان، وأمروهم أن بمهاجرة أوطانهم بالشام، إلى تلك القلاع والبقاع حتى إذا ظهر وأعلن الحق بعد أن هاجروا إلى يثرب هجروه وتركوا نصره، وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ {البقرة:٨٩}.

195 محمد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرني، باتنة الجزائر، الطبعة اثامنة، ص١٢٤-١٣٠.

وإنما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع إلا بحكمة إذ كانت اليهود تقول: ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ﴾، وكانت النصارى تقول: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ {البقرة:١١٣}. وكان النبي عليه السلام يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ {المائدة:٦٨}. وما كان يمكنهم إقامتها إلا بإقامة القرآن، وتحكيم نبي الرحمة، رسول آخر الزمان. فلما أبوا ذلك ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ {البقرة:٦١}[١٩٦].

وقد ختم الله تعالى في كتابه العزيز بأنه الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي نزل من عنده تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ {آل عمران:١٩}، وأن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ {آل عمران:٨٥}. لذا فليس هناك دين سماوي على وجه الأرض سوى دين واحد هو الإسلام من لدن آدم إلى محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، أمن به واعتنقه أتباع الرسل على مر العصور والأزمنة، وقد كان كل رَسول من الرُسُل يمثل حجراً في بناء صرح وحدة الأمة المؤمنة، وهذه الحقيقة هي جزءً أساسياً من العقيدة الإسلامية، ومحمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم أكمل الله به صرح النبوات وختم به الرسالات. رُوي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مثَلِي ومثلُ الأنبياءِ من قبلِي كمثلِ رجلٍ بنَى بنيانًا فأحسنَهُ وأجملَهُ . إلَّا موضعَ لبنةٍ من زاويةٍ من زواياهُ . فجعلَ النَّاسُ يطوفونَ به ويَعجبونَ له ويقولونَ : هلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنةُ ! قال فأنا اللَّبِنَةُ . وأنا خاتَمُ النَّبيِّينَ» وفي روايةٍ : قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : مثَلي ومثَلُ النَّبيِّينَ . فذكرَ نحوَهُ .

الراوي:أبو هريرة المحدث:مسلم المصدر :صحيح مسلم الجزء أو الصفحة:٢٢٨٦ حكم المحدث :صحيح [١٩٧]»

196 الملل والنحل، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى سنة ٨٤٥هـ, صححه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٣ – ١٩٩٢م)، ٢٢٩، ٢٣٠.

197 صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (١٩٤ . ٢٥٦هـ)، تحقيق ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة . بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ .١٩٨٧م، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ج٣/١٣٠٠، رقم ٣٣٤١.

قال: «فأنا اللَبِنة وأنا خاتم النبيين»[198].وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم النبي صلَ الله عليه وعلى آله وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»[199]. قَدِمَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المدينةَ، فرأَى اليهودَ تصومُ يومَ عاشوراءَ، فقال : (ما هذا) . قالوا : هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومَ نجَّى اللهُ بني إسرائيلَ من عدُوِّهم، فصامه موسى . قال : (فأنا أحقُّ بموسى منكم) . فصامه وأمَر بصيامِه . الراوي:عبدالله بن عباس المحدث :البخاري المصدر :صحيح البخاري الجزء أو الصفحة: ٢٠٠٤ حكم المحدث:[صحيح]

ذلك تصديقاً من رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم لدعوة موسى عليه السلام فالأنبياء جميعهم إخوة يصدق فيهم اللاحق السابق، وجميع الأنبياء السابقين لمحمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم يؤمنون به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ {آل عمران:٨١ - ٨٢}. لذلك وعدُ الله تعالى أن يُظهر دين الحق الذي أرسل به محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم على الدين كلِّه، أي الدعوات السماوية السابقة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ {التوبة:٣٣}. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ {الصف:٩}. وشهد سبحانه على هذا الوعد في مرةٍ ثالثة اقترب تحقُّقها بإذن الله لِخير البشر ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ }الفتح:٢٨{. كما أخبر الله تعالى أن الدين قد اكتمل، وأنه أتم نعمته سبحانه على عباده، ورضي لهم الإسلام ديناً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ {المائدة:٣}.

198 المرجع السابق نفسه، رقم ٣٣٤٢.

199 صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء، ج ٧٠٤/٢، رقم ١٩٠٠. وفي باب واذكر في الكتاب موسى، ج١٢٤٤/٣، رقم ٣٢١٦.

ومن نعمة الله تعالى على المسلم أنه يعترف بجميع الأنبياء والرُسل ويؤمن بهم ولا يُفرق بين أحد منهم ولا يفضل واحداً على آخر؛ لأن الأصل في العقيدة الإسلامية هو: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ {البقرة:٢٨٥. فالله واحد والأنبياء وحدة واحدة وأمتهم أمة واحدة، والوُعُود التي قُطعت لهم عالمية، لا تخص قوم أو شعب دون شعوب العالم.

عالمية الوعد في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. {البقرة:١٢٤}. هذه الآية تبين لنا أن القيادة والوراثة ليست مادية أو محصورة في قوم أو فئة معينة كما جعل منها اليهود، وبل هي قيادة روحية ومعنوية محصورة في تكاليف وأوامر إلهية، كان التزام إبراهيم بها سبباً في جعله والصالحين من ذريته أئمة للناس ... إماماً يتخذونه قدوة، ويقودهم إلى الله، ويقدمهم إلى الخير، ويكونون له تبعاً، وتكون له فيهم قيادة، عندئذ تدارك إبراهيم فطرة البشر: الرغبة في الامتداد عن طريق الذراري والأحفاد، وذلك الشعور الفطري العميق الذي أودعه الله فطرة البشر لتنمو الحياة وتمضي في طريقها المرسوم، ويكمل اللاحق ما بدأه السابق، وتتعاون الأجيال كلها وتتساوق. على هذا الأساس، يقرر الإسلام شريعة الميراث تلبية لتلك الفطرة، وتنشيطاً لها لتعمل ولتبذل أقصى ما في طوقها من جهد، فطلب سيدنا إبراهيم من الله قائلاً: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، وجاءه الرد من ربه الذي ابتلاه واصطفاه يقرر القاعدة الكبرى التي أسلفنا. أن الإمامة لمن يستحقها بالعمل والشعور بالصلاح وبالإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب فالقربى ليست وشيجة لحم ودم، وإنما وشيجة دين وعقيدة، ودعوى القرابة والدم والجنس إن هي إلا دعوى الجاهلية التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصور الإيماني الصحيح. ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، والظلم أنواع وألوان: ظلم النفس بالشرك، وظلم الناس بالبغي. إمامة الرسالة، وإمامة الخلافة، وإمامة الصلاة، وكل معنى من معاني الإمامة والقيادة، فالعدل بكل معانيه هو أساس استحقاق هذه الإمامة في أي صورة من صورها، ومن ظلم ـ أي لون من الظلم ـ فقد جرد نفسه من حق الإمامة وأسقط حقه فيها بكل معنى من معانيها.

وهذا الذي قيل لإبراهيم عليه السلام هو العهد بصيغته التي لا التواء فيها ولا غموض، قاطع في تنحية اليهود عن القيادة والإمامة؛ بما ظلموا، وبما فسقوا، وبما عتوا عن أمر الله، وبما انحرفوا عن عقيدة جدهم إبراهيم. وهذا الذي قيل لإبراهيم، وهذا العهد بصيغته التي لا التواء فيها ولا غموض قاطع كذلك في تنحية من يسمون أنفسهم مسلمين اليوم، بما ظلموا، وبما فسقوا، وبما بعدوا عن طريق الله، وبما نبذوا من شريعته وراء ظهورهم، ودعواهم الإسلام وهم ينّحون شريعة الله ومنهجه عن الحياة دعوة كاذبة لا تقوم على أساس من عهد الله. لأن التصور الإسلامي يقطع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل، ولا يعترف بقربى ولا رحم إذا أنبتت وشيجة العقيدة والعمل، ويُسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل؛ ... وإن الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين، وإنما هي مجموعة من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم وألوانهم، وهذا هو التصور الإيماني الذي ينبثق من خلال البيان الرباني في كتاب الله الكريم.

لذلك ما كان للخلاف بين اليهود والنصارى أن يرتفع إلا ببعثة محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، إذ كان كل من اليهود والنصارى يدعي أنه الوريث الشرعي لإبراهيم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيهود لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيهود عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ {البقرة:١١٣}. فجاء الرسول صلَ الله عليه وعلى آله وسلم يقول لهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ {المائدة:٦٨}. وما كان لهم إقامتها إلا بالإيمان بنبي آخر الزمان، نبي الرحمة محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين. ثم يتساءل مستنكراً عليهم: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ {البقرة:١٤٠}. ورد الله تعالى على قول اليهود والنصارى للمسلمين: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ } البقرة: {١٣٥-١٣٦}

ويحسم الله تعالى الجدل بين المسلمين واليهود والنصارى حول هوية الورثة الشرعيين لإبراهيم، بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ. هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يهوديًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {آل عمران:٦٥-٦٨}.

ما دام أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً والعقيدة هي الوشيجة الأولى التي يتلاقى عليها الناس في الإسلام، وما دامت العقيدة هي الوشيجة التي يتلاقى فيها المؤمن والمؤمن، والجماعة المسلمة والجماعة المسلمة، والجيل المسلم والأجيال المسلمة من وراء حدود الزمان والمكان، ومن رواء فواصل الدم والنسب والقوم والجنس، ويتجمعون أولياء بالعقيدة وحدها، فإن القرآن يقرر: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فالذين اتبعوا إبراهيم وساروا على منهجه واحتكموا إلى سنته هم أولياءه، ثم هذا النبي الذي يلتقي معه في الإسلام بشهادة الله أصدق الشاهدين، ثم الذين آمنوا بهذا النبي، فالتقوا مع إبراهيم في المنهج والطريق ﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهم حزبه الذين ينتمون إليه ويستظلون برايته}[200].

الأرض المباركة في القرآن الكريم

سيكون حديثنا عن أهمية ومكانة الأرض المباركة والمسجد الأقصى من خلال تتبعنا لحركة الأنبياء والرُسل كما تتبعناه في التوراة، لنُبين شِبه التطابق في مضمون الأحداث وموقف القرآن الكريم من بني إسرائيل واليهود، من وعد وغضب ونقمة...إلخ.

المتأمل لذِكر الأرض المباركة في القرآن الكريم؛ يجد أنها ذُكرت في مواطن مع وصفها بالبركة، وفي مواطن وصفت بالأرض المقدسة. وقد جاء أول ذكر لها مرتبطاً بإبراهيم أبي الأنبياء عليهم جميعاً السلام.

200 سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الأول، المجلد الأول، مرجع سابق، يراجع تفسير الآيات من سورة البقرة من ١٢٤-١٣٣، ص ١٠٩ وما بعدها، وتفسير الآيات من سورة آل عمران من ٦٥-٦٨، ص٤٠٩ وما بعدها.

قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء:٧١}. ورد في تفسير ابن كثير هي بلاد الشام، الأرض المقدسة منها، عن أُبي بن كعب قال: هي الشام، وقال قتادة: فأنجاه الله إلى الشام، وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة، وما نقص من الأرض يزيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال[٢٠١].

دعونا نتوقف قليلاً مع هذه الآية الكريمة لنقرأ فيها ما له علاقة بحقيقة الصراع الدائر بين الأُمة الإسلامية واليهود على المسجد الأقصى الآن؛ وما يؤكد على عالمية الوعد لا قبليته، كما يُريد له اليهود. ولنؤسس للنبوءات التي وردت في التوراة بأنها تخص أُمة محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم[٢٠٢]:

فيها إشارة إلى العلاقة بين هذه الأرض و إبراهيم، وعلاقتنا نحن بإبراهيم.

﴿الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ إن بركة الأرض وقدسيتها سابقة على هجرة إبراهيم إليها، ولِما لا؟ والله تعالى لم يختر سوى بقعتين من الأرض اختياراً إلهياً؛ هما: مكة «الكعبة المُشرفة»، وبيت المقدس «المسجد الأقصى». كما نفهم ذلك من حديث أبي ذر؛ أن الكعبة هي أول بيت وضع للناس في الأرض، وأن المسجد الأقصى هو ثاني بيت، وبينها أربعين سنة. ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ وهذا فيه دلالة على عالمية الصراع، وأن كل أُمة ستدعي أنها أحق من الأُخرى في هذه الأرض، وخاصة بيت المقدس والمسجد الأقصى على وجه الخصوص، وهذا هو جوهر الصراع الدائر اليوم على المسجد الأقصى.

أن الله تعالى لم يُشر في الآية إلى مكان إقامة إبراهيم، ولا إلى أي علاقة بينه وبين بيت المقدس، ولكنه أشارة إلى العلاقة بالأرض المباركة المقدسة بصفة عامة. وهذا فيه دلالة على أن العلاقة بالأرض المقدسة ليست علاقة مادية؛ ولكنها علاقة روحية إيمانية، مرتبطة بوجود الأُمة المؤمنة في أي وقت، التي يقع على عاتقها مسئولية تطهير الأرض المقدسة من أي عبادة غير عبادة الله الواحد الأحد.

201 مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، المجلد الثاني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة، ص٥١٤.

202 محمد سعيد حوّى «دكتور»، مستقبل الصراع على الأرض المقدسة، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـا- ٢٠٠٥م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، نسخة على قرض مضغوط، يراجع من ص621 -821.

لذلك لم يجد يعقوب وبنيه بعد أن مَكّنَ الله ليوسف في أرض مصر تحقيقاً للرؤيا التي رآها في صباه - القصة كاملة في سورة يوسف - أي حرج في ترك فلسطين والانتقال للإقامة في مصر، وقطع صلتهم تماماً بها، إلا من طلب يعقوب عليه السلام أن يُدفن بعد وفاته فيها بجوار آبائه إبراهيم و إسحاق عليهما السلام.

بني إسرائيل والأرض المباركة:

ثم يتوقف الحديث عن الأرض المباركة إلى عهد موسى عليه السلام. حيث يبدأ الله تعالى قصة موسى وبني إسرائيل في صراعه مع فرعون وقومه الطغاة الظالمين المتجبرين؛ بوعده لهم بالنصر والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ {القصص:٥،٦}. وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إسرائيل بِمَا صَبَرُوا، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ {الأعراف: ١٣٧}. ولكننا نعلم من سياق قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم أن ذلك الوعد لم يتحقق لهم في عهد موسى، ولكنه تحقق في بني إسرائيل عندما أخذوا بأسباب النصر والتمكين، والتزموا طاعة الله تعالى؟!. وفي ذلك حكمة بالغة ورداً على دعوى اليهود بأحقيتهم في الأرض المباركة، ودرس للمسلمين أيضاً، بأن النصر والتمكين له شروط، وذلك ما كان سبباً في تحريمها على بني إسرائيل، وما يُوجب على الأُمة اليوم أن تأخذ به لتصبح أهلاً لنصر الله وتمكينه لها في الأرض المباركة. لنرى كيف؟!.

أ ـ إنها مُحرمة عليهم:

بعد أن تحقق وعد الله تعالى لموسى وقومه بأن أهلك فرعون وقومه وأنجاهم من بطشه، أمر الله موسى أن يدخل ببني إسرائيل الأرض المباركة؛ لتطهيرها من عبادة الأوثان وامتلاكها، فقال موسى لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. {المائدة:٢٠،٢٦}.

بعد أن ذَكَّر موسى قومه بنعم الله عليهم، أبلغهم بأمر الله لهم بالقتال من أجل تحرير الأرض المباركة وامتلاكها حتى يكونوا أهلاً لتحقيق وعد الله لهم بالتمكين، وبدل أن يعترفوا بفضل الله ونعمه عليهم عصوا ورفضوا أمر ربهم، فكان عقابهم من الله أن ضرب عليهم التيه أربعين سنة، وحَرَمَ الأرض المباركة عليهم إلى الأبد. ذلك ما أكده بعض المفسرين من تحريم الأرض المقدسة على بني إسرائيل تحريماً مطلقاً، ومن أجل ذلك يُوقف حين القراءة بعد قوله تعالى: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾، وقال بهذا الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه: «قصص الأنبياء»، والدكتور أحمد شلبي في كتابه: «مقارنة الأديان الجزء الأول»، والأستاذ عفيف طبارة في كتابه: «مع الأنبياء». ويقول ابن كثير أيضاً: ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة «التيه»، ويُقال لم يبقَ منهم أحدٌ سوى يوشع وكالب، وهما الرجلان اللذان قالا: ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ هذا وقف تام، وقوله: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، منصوب بقوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾، أي (الأربعين سنة) مقصود بها مدة التيه وليس مدة التحريم[٢٠٣]. ويضيف الشيخ عكرمة سعيد صبري: أن لفظ ﴿أبداً﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾. ورد على لسان بني إسرائيل فقد ارتضوا هذا الحكم على أنفسهم، وأن الآيات الكريمة تصرح بأن الله ضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله فإنها تؤكد المعنى الذي أشرنا إليه[٢٠٤]. خلاصة ما يُفهم من الآيات وما سبقها أن بني إسرائيل يريدون أرضاً بلا شعب، «لذا حرم الله عليهم دخول فلسطين، وبلا قتال لذلك حرمها عليهم جزاءً لهم على تقاعسهم عن قتال (الكنعانيين)»[٢٠٥].

ب ـ غضب الله على بني إسرائيل:

إثناء تيه بني إسرائيل في الصحراء أربعين سنة توفى موسى وهارون عليهما السلام ولم يدخلا فلسطين، وقد تولى قيادة بني إسرائيل من بعدهما (يوشع بن نون)، الذي قاد ذلك الجيل الذي ولد في الصحراء وتعلم القوة والقسوة من قسوة الحياة والظروف الطبيعية،

203 ابن كثير، مرجع سابق، سورة المائدة، الآيات من ٢١-٢٦.

204 عكرمة صبري، حقنا في فلسطين، محاضرة ألقاها في نادي الخريجين العربي بالقدس، مساء يوم الخميس ١٩٧٨/٢/٢م، (بلا دار للنشر ولا بلد للطبع)، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ص١٠.

205 د. علي عبد الواحد وافي، اليهود واليهودية، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ص١٠.

ودخل بهم أريحا، ولكنهم لم يلتزموا أمر الله ويدخلوا ساجدين متواضعين، وبدلوا غير الذي أُمروا به، فغضب الله عليهم، وأنزل بهم عذابه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.{البقرة:٨٥، ٩٥}. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.{لأعراف:١٦١،١٦٢}.

قال ابن كثير: لقد أمرهم الله تعالى أن يدخلوا القرية «أريحا»، ويقولوا: يا الله حُط عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا، ويدخلوا سجداً، فبدلوا غير ذلك ودخلوا يزحفون على أستاههم «أدبارهم» رافعي رؤوسهم خلافاً لِما أُمروا، ويقولوا «حبة في شعيرة» أو «حنطة في شعيرة»، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه.

ومن صور غضب الله وعذابه على بني إسرائيل التي ذكرها القرآن الكريم، والتي لا ترتبط بزمن معين ولكنها مصاحبة لهم إلى يوم القيامة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ {لأعراف:١٦٧،١٦٨}.

وقد عاش بني إسرائيل بعد يوشع بن نون حياة صعبة وقاسية، طابعها الذُل والهوان الذي أذاقتهم إياه القبائل التي كانت تسكن الأرض المباركة، ويخبرنا القرآن الكريم أنها بلغت ذروتها عندما هُزموا في إحدى المعارك التي خاضوها مع القبائل المجاورة لهم؛ وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا عدداً كبير منهم، واستولى أعداؤهم على التابوت الذي فيه بقية مما تركه آل موسى وآل هارون من توراة ووصايا. حيث جاءوا إلى نبي لهم وطلبوا منه أن يقيم لهم مَلِكاً يقاتلون معه أعداءهم، وكان المُلك قد باد فيهم.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللّهِ كَم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ، وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ {البقرة:٢٤٣-٢٥٢}.

المتأمل للآيات يتبين له أن طباع بني إسرائيل ـ إلا ما رحم ربي ـ لم تتغير، ولم تتخلص من المعصية والجُبن والذُل والارتباط المادي بالأرض ...إلخ من الطباع التي غدت وقفاً على اليهود أكثر من غيرهم من الشعوب الأُخرى. لذلك هم ليسوا أهلاً للنصر والتمكين.

ج ـ الاستخلاف الثاني في الأرض:

أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل بعد سيدنا موسى أنه سيُقطعهم في الأرض، ويسومهم سوء العذاب، وأن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. {الأعراف:١٦٧،١٦٨}.

تلك الآيتان تكملان لنا قصة بني إسرائيل من بعد موسعليه السلام، «فقد قطعهم الله في الأرض جماعات، وتوعدهم بأن يسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، إلا الصالحين منهم، ومن الأمم الصالحة منهم بعد موسعليه السلام داود وابنه سليمان عليهما السلام والذين استقاموا معهما على منهج الله وشريعته من مختلف الأجناس التي كانت في فلسطين في ذلك الحين»[٢٠٦].

وقد كان داودعليه السلام أكثر من عبدٍ صالح، فقد أتاه الله الملك بعد طالوت، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ {البقرة:٢٥١}.

206 سيد قطب، مرجع سابق، تفسير الآيات.

كما أنه تعالى جعله خليفة له في الأرض، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ {ص:٢٦}. وقد أقام داود أول دولة على أساس العبودية لله في الأرض المباركة، وتحقق وعد الله بأن أورث القوم الذين كانوا مستضعفين مشارق الأرض ومغاربها، فقد كانت دولته هي الخلافة الثانية في الأرض.

فمن المعروف أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض، ويطبق شريعته ومنهجه الحضاري؛ لبناء الحضارة الإنسانية التي تثير الأرض وتعمرها وتستعمرها، ولقد استخلف الله في البدء آدم، وكان جهده الحضاري محدوداً بفرديته، ولا يستطيع أن يشيد البناء الحضاري المطلوب على المنهج الإلهي، ويعيد الإنسان بوعي ليندمج في الرحم الكوني الذي انفصل عنه، وكان لابد من تهيؤ للظروف الملائمة حتى تتم عملية الدفع تلك، ومع تطور الحياة وتعدد المخلوقات الإنسانية على الأرض، تطور فكرها وتشعب، وابتعدت البشرية عن منهج الله الذي يحافظ على التوازن في العلاقة بين الإنسان والكون المحيط به الذي تحكمها علاقته بالله والسير على منهجه، فكان لابد أن يرسل الله الأنبياء والرسل لهداية البشر إلى سواء السبيل، والأخذ بيدهم إلى منهج الله حتى يتحقق الهدف الإلهي والغاية الربانية المطلوبة من وراء خلق الإنسان وهبوطه إلى الأرض وهي الاستخلاف. فكان الصراع يدور بين منهج الله ومناهج البشر الوضعية، فالمنهج الإلهي في دعوته الإنسان ليعيد اندماجه بالوعي في الكون والتفاعل مع كل عناصره، ويقتضي نهوض الإنسان بالفعل وتحقيق الحيوية الحضارية، ولأجل ذلك تم الاستخلاف الثاني في الأرض، فالأول كان استخلاف سيدنا آدم، أما الثاني فهو استخلاف سيدنا داود في إطار بني إسرائيل؛ لبناء الحضارة البديلة للحضارة الفرعونية والحضارات الوضعية المماثلة[٢٠٧].

ومن يتأمل قصة داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم يجدها منسجمة ومتوافقة مع ما سبق أن ذكرته التوراة والأناجيل عن بني إسرائيل، ولن يجد ذِكر لأي دور لبني إسرائيل في إقامة تلك الدولة. وذلك ما سنوضحه:

207 محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، ١٣٩٩هـ، (بلا مكان للنشر ولا رقم طبعة) ، ص١٢١.

١ـ إسلامية دولة نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام:

يحدد لنا القرآن الكريم بوضوح وبشكل لا يحتمل اللبس أو التأويل، بأن هوية دولة نبيي الله داود وسليمان عليهما السلام كانت إسلامية، ولم تكن وثنية أو يهودية على الطريقة التوراتية العنصرية اللا أخلاقية. ويتضح ذلك من خلال استعراضه لقصة سليمانعليه السلام والملكة «بلقيس» وقومها، بدءً من رسالته الأولى التي أرسلها إليها يدعوها وقومها فيها إلى الخضوع له، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ {النمل:٣٠،٣١}. فالإسلام هويته ودينه الذي يدعو الناس لإتباعه على أساسه.

وقد حاولت الملكة (بلقيس) قبل الرد النهائي على رسالة سليمانعليه السلام التأكد من صدق نبوته، ومن أنه ليس ملكاً مثل ملوك الأرض، لأنه كما قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ {النمل:٣٤}. فأرسلت إليه بهدية لترى ماذا سيكون رده عليها؟ فكان رده يؤكد صدق نبوته ورسالته، فقال لرسلها الذين حملوا إليه هديتها: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ،ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ {النمل: ٣٦،٣٧}. وعندما تبين لها أنه ليس ملكاً جاءت وقومها مُلبين دعوته.

وعندما قرر سليمان عليه السلام أن يختبر فطنتها وذكاءها، فسأل الحاضرين في مجلسه من يأتيني بعرشها؟ أعاد التأكيد على هويته وهويتهم التي دعاهم إليها واستجابوا لها، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. {النمل:٣٨}. وعندما حضرت بلقيس وكان قد نكر لها عرشها، وسألها وأجابت، أعاد تأكيده على حقيقة هويته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ {النمل:٤٢}. ولما قيل لها أُدخلي الصرح ـ وليس الهيكل ـ وحسبته ماءً وكشفت عن ساقيها وقد وجدته صرحاً ممرداً من قوارير، أعلنت خضوعها و إسلامها مع سليمان لله رب العلمين، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {النمل: من الآية٤٤}.

فالقصة كلها إقرار من سليمانعليه السلام ومن بلقيس بإسلامهما لله رب العالمين. مما يؤكد أن داود وابنه سليمان الذي ورثه كانا مسلمين، ومن عباد الله الصالحين الذين كتب الله تعالى أنه سيُورثهم الأرض، كما جاء في الزبور الذي أنزله الله تعالى على داودعليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ {الأنبياء:١٠٥}.

كما تخبرنا التوراة أن جيش داودعليه السلام لم يكن مكوناً من بني إسرائيل وحدهم، بل كان يضم جميع القبائل التي كانت تعيش في فلسطين، وكان له قادة عديدون منها، وقد ورث سليمانعليه السلام أبيه على نفس المنهج الإلهي.

٢ـ لا دور لبني إسرائيل في تأسيس دولة داود وسليمان عليهما السلام:

كما أن المتتبع لقصة داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم؛ يتبين له أنه لم يكن لبني إسرائيل أي دور في تأسيس دولتهما. ذلك لأن الاستخلاف للحضارة البديلة تم على أساس التسخير، فسبحانه سخر لها ما في السموات والأرض، وسخر الحديد لداود ليستخدمه في الصناعة، وسخر لسليمان الكائنات الحية الأخرى، فكانت حضارته ووالده قائمة على آيات الله وقدرته.

وقد كانت تلك الحضارة الإسرائيلية[٢٠٨](*) الشامخة من فعل الله في التسخير الشامل كدرس أمام الحضارة المصرية الفرعونية والحضارات الوضعية المماثلة، ثم يطرح الله عطاءه للحضارة البديلة ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ. وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ {ص: ١٧ـ٢٠}. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ {الأنبياء: ٧٩ـ٨٠}. كان شرط الاستخلاف الذي فرض على داود أن يتبع منهجية الحق الذي تستقيم به منهجية الخلق الكوني فلا يتبع الهوى الذاتي، فالسماء والأرض وما بينهما لا تستوي في حركتها بالباطل، و إنما بالحق ومنهجية الخلق الكوني التي هي أساس خلافة داود،

208 ليس المقصود بالحضارة الإسرائيلية؛ أنها حضارة من صنع وإبداع بني إسرائيل. ولكن نسبة إلى القوم الذين منهم سيدنا داود رأس الدولة ومنشئها وواضع أسس حضارتها. كما يقول البعض الحضارة العربية عن الحضارة الإسلامية. ولكن لأن العرب هم كانوا حكام الإسلام وعموده.

وهي الخلافة الثانية بعد آدم في الأرض، وورث سليمان داود على نفس الطريق بمنهجية الخلق الكوني نفسها أي الحق كما قضت المشيئة الإلهية[٢٠٩].

ولما ورث سليمان والده داود فطن إلى حقيقة نفسية بني إسرائيل التي تريد أن يكون كل شيء معداً وجاهزاً لها دون مجهود يذكر، وأنهم لا يعول عليهم في بناء دولة، هذا ما عرفه سيدنا سليمان عبر تاريخهم الطويل مع سيدنا موسى وأنبياء بني إسرائيل جميعاً، ومع شاول (طالوت) ومع أبيه داود. لذا توجه إلى الله مباشرة لكي يهب له ملكاً لا يرثه أحدٌ من بعده أبداً. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (صّ:٣٥). وقد استجاب الله لدعوة نبيه سليمان، ومكن له في الأرض وآتاه مُلكاً وسلطاناً، حيث سخر له الريح والسحب وأخضع له الجن والشياطين والطير وعلمه لغة الحيوانات، كما سبق وأن مَنَّ على والده من قبل بمثل هذه النعم، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ. وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ {الأنبياء: ٧٩-٨٢}. وقال الله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ {النمل:١٧}. وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ {صّ:٣٦-٤٠}. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ {الأنبياء: ٨١-٨٢}. وقد جاء هذا الاستخلاف والتسخير الإلهي الذي قامت عليه خلافة داود وسليمان متناسباً مع المرحلة التي كانوا يعيشونها، وكان رداً على مناهج الحضارات الوضعية المقابلة للحضارة الإلهية، والتي كانت الإنسانية تستبد فيها بالتسخير الإلهي فلا يجعل الله مصير الحركة في يد هذا الإنسان حفاظاً على سريان الحق في منهجية الكون،

209 المرجع السابق، ص١٢١.

أما في الحضارة الإلهية، حضارة الاستخلاف فنجد أن سلوك الإنسان فيها يجب أن يأتي مطابقاً للمنهجية الكونية وبمستواها، أي أن يكون بعقله وسلوكه تجسيداً لها؛ لأن الله لا يقبل بأقل زلل في الحكم والتقدير، لذلك كان الدرس السريع لداود وكان الدرس السريع لسليمان، وقد طلب سليمان من الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وقد أعطاه الله الملك القائم على أساس التسخير، والتسخير في الاستخلاف يأتي كنوع من التفاعل بسنة الحق وشرعته، بين الخليقة والقوى المسخرة فتكون علاقته بها علاقة تفاعل ووحدة[٢١٠].

وقد اعترف داود وسليمان بفضل الله عليهما، وكان لسان حالهما الشكر والحمد لله على فضله. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ {النمل:١٥،١٦}.

وكما استجاب الله تعالى للشطر الأول من دعوة سليمانعليه السلام بأن وهبه المُلك والسلطان الذي طلب، استجاب للشطر الثاني منها بعد وفاته. فسرعان ما ثار بنو إسرائيل على ابنه الذي تولى الحكم من بعده، وحدث صراع بينهم انتهى بانقسام دولة سليمانعليه السلام إلى دولتين صغيرتين، دولة «يهوذا» بالجنوب وعاصمتها «القدس»،ودولة «إسرائيل» في الشمال وعاصمتها «السامرة»، وتبعد حوالي ستة كم مدينة نابلس. كما أنه بعد خمس سنوات من وفاة سليمان دخل فرعون مصر (شيشنق الليبي) «القدس» عاصمة دولة يهوذا بالجنوب ونهبها ودمر كل ما خلفه سليمان.

هـ. العلو والإفساد الإسرائيلي

كما ذُكرت الأرض المباركة في مواضع أُخرى من القرآن الكريم، بصور لها علاقة بالأبعاد الفكرية للصراع: وذلك في حادثة الإسراء والمعراج، فقد أُسري بالنبيصلَ الله عليه وعلى آله وسلم من مكة إلى بيت المقدس، حيث كان عُرُجه منها إلى السماوات العلى. وقد قال المفسرون: كان ذلك تأكيداً على الارتباط الوثيق بين المسجدين، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتبشيراً للرسول صلَ الله عليه وعلى آله وسلم وهو في ذروة محنته وابتلائه بفتح بيت المقدس ودخولها تحت السيادة الإسلامية ...إلخ،

210 المرجع السابق، ص١٢٢.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {الإسراء:١}.

وبعد ذِكر بركة فلسطين وبلاد الشام ومكانة المسجد الأقصى جاء الحديث عن العلو والإفساد الإسرائيلي في الأرض (فلسطين) والتدمير الذي سيحلق بهم على أيدي المسلمين. فيقول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ {الإسراء:٤-٥}. وهذه الآيات مكية وتتحدث عن عُلوين و إفسادين لليهود. وقد اختلف المفسرون في إن كان العلوان قبل نزول الآية أو بعدها؟ فمنهم من قال: إنهما حدثا قبل الإسلام، وهناك من قال: أن الأولى قبل الإسلام، والثانية بعد الإسلام، وهناك من قال: أن ما نعيشه هذا العصر هو المرة الأُولى، وآخرون خرجوا من الخلاف وقالوا: سواء حدث العلوان قبل الإسلام أو بعده؛ لا يمنع ذلك أن يتكرر العلو والإفساد الإسرائيلي مستندين إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ {الإسراء:٨}. و إن كان لا بد من تبني قول من تلك الأقوال يتوافق مع غايات البحث، يمكن الأخذ بالقولين الأخيرين، خاصة وأن الربط بين الآيات القرآنية وواقع الصراع الفكري المعاصر قريب منهما، فالله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ {الإسراء:٧}. وفي آخر السورة أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ {الإسراء:١٠٤}.

ل ـ مكانة الأرض المباركة في السنة

احتلت الأرض المباركة في السنة النبوية الشريفة أهمية ومكانة عظيمة ومرموقة في عقيدة المسلمين وتاريخهم وحياتهم، وكثيرة هي الأحاديث التي تحدثت عن مكانة بلاد الشام بصفة عامة، وبيت المقدس بصفة خاصة، وأشهر رواياتها جاءت مرتبطة بالحديث عن الطائفة المنصورة الظاهرة على عدوها إلى يوم القيامة، وتلك الأحاديث تُعتبر من أقوى الأحاديث التي تربط بين واقع الصراع العقائدي والفكري القائم بيننا وبين اليهود اليوم على المسجد الأقصى، وتُظهر أهمية ومكانة المسجد الأقصى الدينية للمسلمين، وعالمية الإله والوعد في الكتب السماوية،

وأن المسجد الأقصى وليس الهيكل، وأُمة الرسالة العالمية «الأُمة الإسلامية» وليس أُمة القبيلة «أُمة اليهود»، هي مناط الوعد بالخلافة العادلة، وليس بالسيادة الظالمة على العالم. وهذا بعض منها:

- **ـ مكانة بلاد الشام**

جاء في حديث معاوية: قال : سمعت رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[٢١١]. وقال البخاري بعد أن روى نحوه: قال عمير بن هانئ: أنه سمع معاوية يقول: «لا تزال من أُمتي أُمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» قال عمير فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشام، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشام»[٢١٢]. وعن أبي إدريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة، قال رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم: «ستجندون أجناداً جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن، قلت يا رسول الله اختر لي. قال: عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله توكّل لي بالشام وأهله»[٢١٣]. وروى نحوه واثلة بن الأسقع «...قال رجل يا رسول الله إني فتى شاب فلعلي أدرك ذلك فأي ذلك تأمرني؟ قال: عليكم بالشام فإنها صفوة الله في من بلاده يسوق إليها صفوة من عباده، عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه»[٢١٤]. وفي رواية في المعجم الكبير (٥٨/٢٢، رقم١٣٧) قال فيها: «عليكم بالشام فغنها صفوة بلاد الله يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله توكّل لي بالشام وأهله»[٢١٥].

211 صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٠٦.٢٦١هـ)، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ج١٥٢٤/٣، كتاب الإمامة، باب لا تزال طائفة من أُمتي، رقم ١٠٣٧.

212 صحيح البخاري، ج١٣٣١/٣، رقم٣٤٤٢.

213 المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١.٤٠٥هـ)، تحقيق/مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، كتاب الفتن والملاحم، ج٥٥٥/٤، رقم ٨٥٥٦، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

214 المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني (٢٦٠.٣٦٠هـ)، تحقق/حمدي عبد المجيد السلفي، عدد الأجزاء(٢٥)، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ . ١٩٩٤م، ٥٥/٢٢، رقم ١٣٠.

215 مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، ج٣٠٨/٤، رقم٣٣٨٧، مؤسسة الرسالة للنشر، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر). والترغيب والترهيب، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد (٥٨١.٦٥٦هـ)، تحقيق/إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ج٣١/٤، ٣٦٧١.

وأهل الشام وبيت المقدس في رباط إلى يوم القيامة والمقيم فيها له ثواب المرابطة في سبيل الله، روى الطبراني عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم «أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم و إماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد»[٢١٦]. وعن زيد بن ثابت الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، قالوا يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام»[٢١٧]. وأهل الشام سوط الله في أرضه، عن خريم بن فاتك الأسدي أنه سمع رسول اللهصلَ الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا إلا غماً وهماً»[٢١٨].

ويَخُص رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم بيت المقدس بالاسم بشرف تمركز الطائفة المنصورة فيها، حديث أبي أمامة: قال: قال رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم : «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[٢١٩]. وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[٢٢٠]. قال الإمام أحمد: هم أهل الشام[٢٢١]. والغرب: إما العرب أو أهل الشدة أو أهل بيت المقدس[٢٢٢].

وهناك روايات كثيرة عن الطائفة الظاهرة موجودة في صحيح مسلم، الجزء الثالث، من رقم ١٩٢٠ وما تلاه.وهذه الأحاديث لا يمكن أن تنطبق إلا على الذين {يُقاتلون اليهود على أرض فلسطين ابتداءً، أو خارجها، ... وتشمل الطائفةُ المنصورة مَن يكون عوناً لها،

216 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفى سنة٩٧٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ١٢٣/١٢.

217 صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤هـ، تحقيق/شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٤١٤١هـ .١٩٩١م، ذكر بسط الملائكة أجنحتها على بلاد الشام لساكنيها، ج٢٩٣/١٦، رقم ٧٣٠٤. ومحمد ناصر الدين الألباني، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي، المكتب الإسلامي، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ص٥.

218 المعجم الكبير للطبراني، ج٢٠٩/٤، رقم ٤١٦٣. والترهيب والترغيب، ٣٣/٤، قال: رواه الطبراني مرفوعاً، وأحمد موقوفاً ولعله الصواب ورواته ثقات والله أعلم.

219 مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (٢٤١.١٦٤)، مؤسسة قرطبة للنشر، مصر، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر)، ج ٢٦٩/٥، رقم ٢٢٣٧٤.

220 صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب لا تزال طائفة من أُمتي، ج١٥٢٥/٣، رقم١٩٢٥.

221 محمد عثمان شبير «دكتور»، بيت المقدس وما حوله، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية،١٤١٠هـ .١٩٨٩م، ص٣٢.

222 محمد سعيد حوى، مرجع سابق، ص٨٨,

ومَن يُؤازرها مالاً ورأياً وعاطفة على درجات، ولا يشترط أن يكون فلسطينياً وليس على أرض فلسطين بحال، بل كل مسلمٍ مجاهدٍ محاربٍ لليهود ومَن وراءَهم بأي وسيلة، ... وستبقى رايتهم مرفوعة، ويوجد من خذلهم، ويوجد من يخالفهم، وهم على أرض فلسطين، وينتهي هذا الصراع بقتال الدجال، ونزول عيسى، وهم أهل الغرب، وهم يقهرون ويكيدون اليهود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {الأعراف: ١٦٧}، وهم القائمون بأمر الله الكامل، وذروته الجهاد، وأؤكد أنه يلحق بالطائفة المنصورة من يكون عوناً لهؤلاء المجاهدين، ومن ثمة إذا أردت أن تعرف جهة ما؛ أهي على الحق أم الباطل؟ فانظر موقفها من هذه الطائفة، التي تخلى عنها كثيرون}[٢٢٣].

- **ـ مكانة المسجد الأقصى**

أما المسجد الأقصى فهو يحتل أهمية ومكانة مرموقة في السنة النبوية: فهو ثاني مسجد وضع للناس في الأرض، كما جاء في حديث أبا ذر، قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قال: قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه»[٢٢٤]. والمسجد الأقصى هو قبلة المسلمين الأولى، قال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما: «كان رسول اللهصلَ اللهُ عليه وعلى آله وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً»[٢٢٥]. والصلاة فيه بخمسمائة صلاة من حيث الثواب لقولهصلَ اللهُ عليه وعلى آله وسلم: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة»[٢٢٦]. وهو ضمن ثلاثة مساجد تُشد إليها الرحال للصلاة والاعتكاف والعبادة والزيارة: كما في حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبيصلَ اللهُ عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسولصلَ اللهُ عليه وعلى آله وسلم ومسجد الأقصى»[٢٢٧].

223 محمد سعيد حوى، مرجع سابق، ص٩١،٩٢.

224 صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب هل تصلي المرأة في ثوب حاضت فيه، ج٣/١٢٣١، رقم ٣١٨٦. وفي كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب موسى، ج٣/٣٢٤٣، رقم ٣٢٤٣. وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج١/٣٧٠، رقم٥٢٠.

225 صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة، ج١، رقم٠٣٩.

226 الترغيب والترهيب للمنذري، كتاب الحج، فصل الصلاة في المسجد الحرام، ج٢/١٤١. وشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين على البيهقي (المتوفى ٤٥٨.٣٨٤هـ)، تحقيق/محمد السعيد بسيوني زغلول، عدد الأجزاء(٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ج٣/٤٨٦ رقم ٤١٤٤.

227 صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج١/٣٩٨، رقم١١٣٢. وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ج٢/١٠١٤، رقم ١٣٩٧.

وبيت المقدس معدن الأنبياء وفيه صلى الرسولصلَ الله عليه وعلى آله وسلم بجميع الأنبياء إماماً: روى ابن عباس «أن النبيصلَ الله عليه وعلى آله وسلم لما دخل المسجد الأقصى يُصلي، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه». وبيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر: عن ميمونة بنت سعد مولاة قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس، فقال: «أرض المحشر والمنشر»[٢٢٨]. ومثله ذكر ابن كثير عن أبي بن كعب.

كما يُستحب الإحرام من المسجد الأقصى بالحج والعمرة، فقد روى أبو داود عن أم سلمة ـ زوج النبيصلَ الله عليه وعلى آله وسلم ـ أنها سمعت رسول اللهصلَ الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة»[٢٢٩].

كما وأن فيها قبور الأنبياء إبراهيم و إسحاق ويعقوب وزوجاتهم عليهم السلام وغيرهم، و إليها هرب موسى من ظلم فرعون، وفيها تاب الله على داود ووهبه وابنه سليمان ملكاً ودولة عظيمة، وفيها مولد عيسىعليه السلام ورفعه إلى السماء منها، كما وأن لنا فيها قبور عشرات الصحابة الكرام الأجلاء البررة رضوان الله عليهم.

228 سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجة (٢٠٧-٢٧٥هـ)، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء(٢)، دار الفكر، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا تاريخ نشر)، كتاب إقامة الصلاة السنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ج١/٤٥١، رقم٤٠٧.

229 سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء(٤*٢)، دار الفكر، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا تاريخ نشر)، كتاب المناسك، باب في المواقيت، ج٢/١٤٣، ١٧٤١. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين على البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق/محمد عبد القادر عطا، عدد الأجزاء(١٠)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (بلا رقم طبعة)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، كتاب الحج، باب فضل من أهل من المسجد الأقصى، ج٥/٣٠.

المبحث الثاني: عالمية العهد والوعد في التوراة

بعد ما تقدم يتَبين لنا أن العهد الذي قطعه الرب لنوح عليه السلام، والعوعد الذي قطعه لإبراهيم عليه السلام، كلاهما ذو مضامين وأبعاد عالمية، وأنهما ليسا خاصة بعرق أو شعب دون الشعوب، وقد حددت التوراة هوية التي ستحقق عالمية العهد والوعد ترسي العدل والتسامح بين كل شعوب الأرض، وسمتها «الأُمة البارة». ومن صفاتها هذه الأمة أنها تجعل جميع شعوب الأرض تتبارك في إبراهيم عليه السلام، وتجعل البيت «المسجد الأقصى» مكان عبادة لجميع الأُمم. كما أن التوراة والأناجيل المُحرفة لم تخلو من النبوءات بحقيقة هوية الورثة الشرعيين، ونبي آخر الزمان محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، فإنها أيضاً تضمنت كثير من النبوءات عن مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى، وأنهما سيكونان مقر الخلافة الإسلامية العالمية آخر الزمان، وأن «الأمة البارة» التي سيكون لها السيادة العالمية وستقيم العدل والبر بين الناس، انطلاقاً من مقر خلافتها ـ المسجد الأقصى ـ هي أمة نبي الرحمة للعالمين، محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك تحقيقاً للنبوءات العالمية التي وردت في التوراة والأناجيل المُحرفة. وليست أُمة القبيلة والعرق، التي تنتظر مسيحها الدجال ليحكم العالم من خلال هيكلهم المزعوم على أساس الاستعلاء والاستكبار اليهودي على جميع البشر.

علماء اللاهوت: عالمية العهد والوعد

وقد فسر علماء اللاهوت النصارى الذين عارضوا تفسيرات اليهود بأنهم المقصودين وحدهم بهذا الوعد الإلهي لنوح و إبراهيم عليهما السلام، بأن هذا الوعد يشمل جميع ذرية إبراهيم ومنهم إسماعيل أبو العرب – نصارى ومسلمين -، وأن الوعد يختص بجماعة المؤمنين بإبراهيم عليه السلام ولا يختص بجماعة عرقية تنتمي لإبراهيم عرقياً. هذه الرؤيا اللاهوتية النصرانية تأتي منسجمة وموافقة لما جاء في القرآن الكريم من أن الورثة هي ورثة دين، والتركة هي أمانة رسالة عالمية، والأمة الموعودة بهذه العالمية هي أمة الإسلام.

فقد وردت نفس تلك المضامين في القرآن الكريم والسنة النبوية، و إن أُمة الإسلام هي التي صححت التحريف والانحراف الذي أحدثه اليهود والنصارى على رسالة نوح و إبراهيم وجميع الأنبياء والرُسُل عليهم جميعاً الصلاة والسلام،

واحتفظت بعالمية رسالة نبيها محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم ولم تجعله نبياً للعرب دون غيرهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء:١٠٧}. ولم تحتكر الله لنفسها دون غيرها من الأُمم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الشعراء:١٩٢}. ذلك ما يجعلها هي وحدها الأُمة المقصودة بنبوءات التوراة، خاصة وأن كثير من علماء اللاهوت النصارى يؤكدون أن النبوءات لا تعني عودة اليهود إلى فلسطين، ولكنها تعني مملكة روحية للجنس البشري كاف ولجماعة المؤمنين.

وقد لخص (أندريه نهر) معني ذلك العهد الإلهي العالمي والوعد لإبراهيم وأنبياء بني إسرائيل، بأنه لكل الأمم بقوله: «إن النوحية (أي عهد الرب لنوح) هي التي تبين أن الأنبياء فسروا بعض أحداث التاريخ بلغة مشتركة بين إسرائيل وسائر الشعوب فلم تكن هناك هجرة واحدة (هي خروج بني إسرائيل من مصر) بل سلسلة من الهجرات حركها نفس الرب. فهو ـ لكي يتم نفس الوعد الذي أعطاه لنفس الأب (إبراهيم) ـ جلب الآراميين من أور والمؤابيين والعمونيين من وادي عربة، والأدوميين والأمالسيين والمديانيين من الصحراء، والفلسطينيين من كريت لكي يرمي بهم جميعاً على شواطئ (كنعان)، من الأرض الموعدة للجد، مؤمناً لكلٍ أرضه ضامناً لكلٍ حدوده، وهو حكم في المنازعات، وشاهد على كل ما يفعله الناس، وقاضٍ في مشكلاتهم. ولعلنا نتساءل إذا ما كانت المنطقة السورية ـ الفلسطينية تحت أعين الأنبياء، بحسبانها جزء من الأرض، يمكن أن تكون مرجعاً ونموذجاً للعالم كله، ذلك أن المشكلات الأخلاقية والدينية التي واجهتها الإنسانية كان ينبغي أن تُستشعر وتُعالج على مستوى الإنسانية بأكملها. فإذا هي تُستشعر وتُعالج من هذا المجال الصغير التي تكفي نظرة واحدة، مجرد نظرة لاستيعابه، و إن كانت ظروفه السياسية وموقعه المتوسط بين الإمبراطوريتين الكبريين مصر وبابل قد خولته تنوعاً متميزاً في البنية والأحداث.

وأيا كان الأمر. فنحن إذا طبقنا على هذه الشعوب لغة التاريخ أو بالأحرى لغة المصير التاريخي المشترك، مصير الهجرة ـ وقد طبق الأنبياء عليها أيضاً لغة العهد، بتبعاته الأخلاقية ـ فإن الشعوب مسئولة أمام الرب تماما كشعب إسرائيل فهم أيضاً أبناء الرب، وعبيد الرب»[٢٣٠].

كما جزم كثير من العلماء الموضوعيين والمحايدين وغير المتعصبين لليهود المختصين في الدراسات التوراتية؛

230 رجاء جارودي، مرجع سابق، ص ١٥٢.

بأن جميع النبوءات التي وردت في أسفار التوراة قد تحققت بعودة اليهود بعد السبي البابلي. يقول الدكتور (فرانتش شايدل) معقباً على نبوءة سفر (أرميا) بعودة اليهود إلى فلسطين بقوله: «لقد تحققت النبوءة إذ عاد اليهود من الأسر البابلي»[٢٣١]. والثابت تاريخياً أن جميع اليهود الراغبين في العودة قد عادوا أيام حكم ملك الفرس أرتحششتا زمن الإمبراطورية الفارسية.

ويؤكد الأُستاذ (ألفرد جلوم) أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن، بعد أن يعرض لنصوص التوراة حول العهد: «أن هذه الوُعُود قد أُعطيت لإبراهيم ولذريته... وهكذا يصبح لنسل إسماعيل كل الحق لأنهم يعتبروا أنفسهم من نسل إبراهيم ... وبالإضافة إلى أنه حين تم العهد ووُعِد إبراهيم بأرض (كنعان) كملكية أبدية بين الله و إبراهيم بالختان، كان إسماعيل جد القبائل العربية هو الذي «خُتِن» ولم يكن إسحاق قد ولد»[٢٣٢]. وينتهي «جلوم» إلى القول: بأنه «من الواضح أن الوُعُود الإلهية إلى أولئك الأنبياء قد أُلغيت بسبب ردة الأُمة عن الدين، وعندما أجلى السبي الأشوري السكان عن السامرة والسبي البابلي الشعب عن يهودا، رأى الأنبياء في هذه المصائب تنفيذاً للعدل الإلهي في حق شعب عاصٍ جاحد. ولكنهم قالوا لشعبهم: أن بقية ستعود... وفعلاً عاد اليهود إلى يهودا وأعادوا بناء أسوار القدس، وأعادوا بناء (الهيكل)، وعلى ذلك فقد تحققت فعلاً نبوءات العودة، ولا يمكن لها أن تتحقق ثانية، ففي مجمل الكتابات المعترف بها دينياً، والمتعلقة بالعهد القديم، ليست ثمة أية نبوءة عن عودة ثانية من الرجوع من المنفى البابلي»[٢٣٣].

النبوءات تعني جماعة المؤمنين

وعلى ذلك تكون النبوءات الواردة في أسفار التوراة ولم تتحقق بعد؛ خاصة بأُمة أُخرى غير اليهود، وذلك ما يراه كثير من علماء اللاهوت النصارى! يقول {الدكتور «وليام هـ. شتاينسبرج» أستاذ دراسات العهد الجديد –الإنجيل- والدراسات (السامية) في جامعة «ديوك» بولاية «نورث كاورلاينا» والكاهن في الكنيسة المشيخية:

231 عبد الرحمن غنيم، المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية، منشورات الطلائع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص٢٥.
232 إبراهيم العابد، دليل القضية الفلسطينية أسئلة وأجوبة، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٦٩، (بلا رقم طبعة)، ص١٠.
233 إسماعيل الكيلاني: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي. المكتب الإسلامي–بيروت. الطبعة الثانية. ١٤١٥هـ–١٩٩٤م، ص١١٥.

«ليس ثمة من أساس في العهد الجديد أو القديم يستند إليه أدعياء الصهاينة بأن إقامة دولة يهودية جديدة في فلسطين هو أمر مطلوب أو له ما يبرره في الكتاب المقدس أو نبوءاته، فالوعود الواردة في نبوءات الكتاب تنطبق على البشر كافة». ويرى أن الإشارات الواردة في الكتاب المقدس تنطبق «حسبما وردت في العهد الجديد، على الكنيسة (المسيحية) المثالية، أو على جماعة من المؤمنين حقاً، ذلك بالمعنى الديني للإيمان». ثم ينتهي إلى أن تلك الإشارات والعبارات في العهد القديم تشير إلى «مملكة روحية للجنس البشري كافة، لا إلى إسرائيل سياسية تحتل أراضي ومنازل مملوكة طبيعية من قبل شعب آخر».

أما الدكتور أوفدر سلزر أستاذ العهد القديم سابقاً، وعميد معهد «ماك كورمك» اللاهوتي، والكاهن في الكنيسة المشيخية المتحدة، ينتهي من تفنيده للإدعاء اليهودي بأن إنشاء (دولة إسرائيل) جاء تحقيقاً لنبوءة الكتاب المقدس، إلى القول: بأن «المسيحي الذي يعتمد على الكتاب المقدس المسيحي، يستطيع أن يعتقد بأن كلمة (إسرائيل) لا تعني وحدة جغرافية أو عرقية أو سياسية، بل جماعة المؤمنين كافة}[٢٣٤].

المسلمون هم جماعة المؤمنين

تلك الرؤيا اللاهوتية النصرانية بأن العهد الإلهي لنوح والوعد لإبراهيم لا يختص بجماعة تنتمي لإبراهيم عرقياً، ولكن بجماعة المؤمنين بإبراهيم روحياً، تأتي منسجمة ومتوافقة لِما جاء في القرآن الكريم من أن الوِرثة لنوح و إبراهيم هي وِرثة دينية روحية، ما يعني أن جماعة المؤمنين التي هي الوريث الشرعي والوحيد لتلك العُهُود والوُعُود؛ يجب أن تتوفر فيها بقية الشروط والصفات العالمية للعهد والوعد، تلك الصفات التي بالإضافة لِما سبق؛ تُكملها نبوءات أُخرى وردت في التوراة لا تنطبق صفاتها إلا على الأُمة الإسلامية، نعرض لأهمها:

رؤيا (سفر أرميا:١٧،١٦/٣) وتقول: «يقول الرب أنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يُصنع بعد. في ذلك الزمان يُسمون أورشليم كرسي الرب ويجتمع إليها كل الأُمم إلى اسم الرب إلى أورشليم». إنها بِشارة بأن بيت المقدس ستكون مقر الخلافة الإسلامية العالمية آخر الزمان، وليس مقر العرش.

234 المرجع السابق، ص١٢١.

لذلك يمكننا التأكيد بكل ثقة أن «الأُمة البارة» التي بشر بها العهد القديم والجديد هي أُمة محمد صلَ الله عليه وعلى آله وسلم.

هذه الأُمة هي التي حققت نبوءات التوراة في جعل مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى رمزاً لشمولية الوعد والعهد لجميع شعوب الأرض، ورمزاً للسلام والوحدة العالمية، من خلال جعلها بيت عبادة وصلاة لجميع تلك الشعوب: «بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب» (إشعيا:٥٦/٧). وإذا ما سألنا إشعيا: كيف سيكون بيت صلاة لكل الشعوب واليهود يؤمنون أنهم وحدهم هم «شعب الرب»، وهم وحدهم البشر، وغيرهم حيوانات خلقت في على هيئة الإنسان لتليق بخدمة إنسان «شعب الله المختار» للسيادة العالمية على جميع المخلوقات في هذا الكون؟. يُجيبنا (إشعيا:٤٩/٦) نفسه: أن الرب يُرسل عبداً ليكون «نورا للأمم» وليس للشعب المختار «فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». كما يُجيبنا (أرميا:١/٥): «جعلتك نبيا لكل الشعوب»! وهذا دلالة على عالمية الرسالة والعهد والوعد، التي قصُرت جِبلة اليهود على القيام بواجب تبليغها وتحقيقها واقعاً بين الشعوب جميعاً، ولكنها احتكرت إله العالم أجمع لنفسها من دون جميع شعوب الأرض، لذلك أنكر عليهم المسيح عليه السلام ذلك: «أم الله لليهود فقط أليس للأمم أيضاً، بلى للأمم أيضاً» (رسالة أهل رومية:٣/٢٩).

وإن حَصر اليهود وُعُود الأنبياء الخاصة بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام في مسيح خاص بهم؛ يُعتبر تحريفاً ظاهراً وواضحاً ومتعارضاً مع وُعود الرب لإبراهيم في التوراة «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (التكوين:١٢/٣). التي تأتِ منسجمة مع العهد الذي قطعه الله لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وكانت علامة عهده أن يضع قوسه في السحاب: «وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل الذوات الحية التي معكم إلى أجيال الدهر....». (التكوين ٩/ ٨-١٧). وكما تأتِ منسجمة مع نبوءة (زكريا الإصحاح ٢/١١، ١٢) قول الرب: «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني ها أنا ذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. فتتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك». ومن أجل هذا أرسل الرب (يونس) إلى «نينوي» لينذرهم بقوله: «وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلا قم أذهب إلى نينوي المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي» (سفر يونان: ١/١).

وفي سفر إشعيا يرسل الرب عبداً ليكون «نورا للأمم». (الإصحاح ٦/٤٩) وليس للشعب المختار، وهذا دلالة على عالمية الرسالة «فقد جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». كما نجد في (سفر أرميا: ٥/١): أن الرب يخبر «جعلتك نبياً لكل الشعوب». وليس لشعب واحد هو بني إسرائيل!. كما جاء في التوراة ما يدل على شمولية وعالمية الوعد لإبراهيم عليه السلام، وأن القدس ستصبح بيت صلاة وعبادة لكل الشعوب حتى المختلفة مع يهود في الإيمان «لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب». (سفر إشعيا: الإصحاح ٧/٥٦). كما نجد في نفس السفر رؤية أكثر وضوحاً وتبشيراً بالمستقبل، وأكثر انفتاحاً وتخلصاً من شعور العنصرية والانغلاق، حيث تبشر بخروج أمة من القدس محبة للسلام وللأمم الأخرى، لا ترفع سيفا ولا تتعلم الحرب: «وتسير شعوب كثيرة وتقول هلم نصعد جبل الرب إلى بيت يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد».(٤،٣/٢). إن هذه النبوءة لا يمكن أن يكون المقصود بها اليهود، الذين لم ينصفوا يوماً شعباً من شعوب المنطقة، أو أغمدوا لهم سيفاً، أو كفوا عن الحرب، وهم أينما حلوا ولدوا الثورات والفتن، وأجروا المذابح، وخلفوا وراءهم الدمار، إلى درجة يصدق فيها عليهم قول الرب لهم: «إن كثرتم الصلاة لا أسمع لكم، أيديكم ملآنة دما». (سفر إشعيا: الإصحاح ٥١/١). وهذا دليل على قسوة قلوبهم، وأنهم ليسوا هم الأمة المقصودة.

ويعلق رجاء جارودي على نص سفر إشعيا عن الأمة التي تجعل القدس منارة روحية لكل الأمم، بقوله: «تلكم هي رؤيا إشعيا للمستقبل وهي أيضا رؤيا الأنبياء، وهي تجعل من أورشليم ، لا عاصمة شعب، بل منارة روحية لأمة دينية تمتد على تخوم العالم»[٢٣٥]. كما أنه هناك رؤيا أخرى جاءت في (سفر أرميا) قصر الفكر الديني لليهودي تفسيرها على أنهم هم المقصودين بها، في الوقت الذي لا تنطبق شروطها أيضاً إلا على المسلمين من أتباع محمد صلَ الله عليه وسلم. وهذه الرؤيا تقول: ط»يقول الرب أنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يصنع بعد. في ذلك الزمان يسمون أورشليم كرسي الرب ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى أورشليم». (أرميا: الإصحاح ١٦/٣ ، ١٧).

235 المرجع السابق، ص٤٥٢.

و إن كان هناك أمة في التاريخ تنطبق عليها نبوءات التوراة حقيقة فهي أمة محمد صلَ الله عليه وسلم، فهي الأمة الوحيدة التي يشهد لها التاريخ وكثير من مؤرخي الغرب الصليبي نفسه أنها هي الأمة الوحيدة التي حافظت على مقدسات غيرها، ولم تنتهك لها حرمة، ولم تمنع أحدا من أتباعها من الصلاة فيها، أو زيارتها، وكفلت لأتباعها حرية العبادة، وجعلت من القدس بيت عبادة وصلاة لكل أتباع الرسالات السماوية جميعهم. فالمسلمون قد جعلوا من القدس طوال تاريخ حكمهم لها مركزاً روحيا لكل الأمم على اختلاف أجناسها وأعراقها, ومعتقداتها، ولم يحتكروا المدينة لأنفسهم رغم اعتقادهم الراسخ بأنهم هم وحدهم ورثة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. ولم يتم ذلك الاتصال بين الأُمم الكثيرة إلا في ظل حكم الإسلام لبيت المقدس، فالتاريخ لم يحفظ لنا أن أُمة من الأمم التي حكمت بيت المقدس حافظت على وصايا التوراة والأناجيل في جعلها بيتاً للعبادة لجميع الأُمم والشعوب كما حافظت عليها أُمة الإسلام، التي احترمت جميع عقائد أتباع الرسالات السماوية ولم تمنعهم من أداء شعائرهم وعباداتهم في بيت المقدس، بل ووفرت لهم كل أسباب الأمن والأمان، وفي الوقت نفسه حفظ لنا التاريخ فظائع عظام ووحشية وبربرية كثيرة ارتكبها اليهود والنصارى ضد سكان فلسطين وغيرها، عندما حكموا بيت المقدس لفترة وجيزة من التاريخ أيام تمردهم في عهد اليونان والرومان.

كما أن النصارى أيضا ليسوا هم تلك الأمة المقصودة بهذه النبوءة، والتاريخ يحفظ للإنسانية فضائع عظام ارتكبها النصارى عندما حكموا بيت المقدس قبل الإسلام لا يقل ضراوة عن فظاعة ووحشية اليهود، وأشد منه ما ارتكبه النصارى ضد المسلمين ومقدساتهم عندما احتلوا بيت المقدس أيام الحروب الصليبية الأولى ضد المسلمين ومقدساتهم، وحتى ضد أبناء دينهم مِمَنْ يخالفوهم في المذهب، وضد اليهود ومقدساتهم. وها هو الواقع المعاصر للموالاة بين اليهود والنصارى هذا العصر يشهد على حقيقة أفعالهم في بيت المقدس والأرض المباركة؛ بل وفي الأرض كلها. بعد أن مكنوا اليهود من فلسطين وبيت المقدس، ولا زالوا يوفرون لهم الحماية بالرغم من اعتداءاتهم المتكررة لا على مقدسات المسلمين فقط بل وعلى مقدسات النصارى أنفسهم!! وفي الوقت نفسه تتعالى أصوات نصرانية تطالب حكومات العالم النصراني ألا يسمح بإعادة القدس إلى المسلمين.

ونجد بابا الفاتيكان عام ١٩٦٥م يبرئ اليهود من دم المسيح الذي بحسب اعتقادهم أن اليهود هم قتلته، ويقيم سفارة وعلاقات دبلوماسية له مع كيانهم المغتصب لموطن المسيح!! والبابا الحالي بنديكيت السادس عشر لا يكل ولا يمل من الحديث عن التاريخ المشترك الذي يجمع اليهود والنصارى.

ومع ذلك نجد اليهود جادين في العمل من أجل تحقيق تلك الخرافات والأساطير رغم باطلها، ونحن المسلمون غافلون عما يحاك لنا من مؤامرات ودسائس تقوم بها الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني. وكما بدأ تاريخ البشرية في التوراة بالطوفان، وحصر الوعد الإلهي بالسيادة العالمية في ذرية (سام بن نوح)، فإنه انتهى إلى حصر الوعد بالسيادة على الأرض من النيل إلى الفرات، ببني إسرائيل واختيارهم «شعب الله المختار» من دون كل ذرية (سام بن نوح)، و إذا أردنا التحديد أكثر نقول: وجعل مركز تلك السيادة هو بيت المقدس، ورمزيتها هدم المسجد الأقصى و إعادة بناء الهيكل، ووضع عرش ملك اليهود الذي هو من نسل داوود، ليكون رمزاً لتلك السيادة العالمية لليهود، حيث تحكم (إسرائيل) العالم آخر الزمان، وتحاسب جميع شعوب الأرض على ما اقترفته بحق (إسرائيل) وأموالها من آثام.

بيت المقدس عاصمة الخلافة الإسلامية[٢٣٦]*

بالإضافة إلى روايات الطائفة المنصورة الظاهرة السابق ذِكرها؛ هناك جملة من الأحاديث التي تتحدث عن الفتن آخر الزمان، وعودة المسيح عيسىعليه السلام، وقتاله الدجال مع الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق، ومنها أحاديث ذكرت أن الدجال لا يظهر في نحو أربعة مساجد إسلامية من بينها بيت المقدس «المسجد الأقصى»، وأشهر رواياتها تتعلق ببلاد الشام وبيت المقدس أيضاً. كما أنها ذكرت أن الخلافة الإسلامية آخر الزمان سيكون مقرها بيت المقدس. تلك الأحاديث تُعتبر من أقوى الأحاديث التي تربط بين واقع الصراع العقائدي والفكري القائم بيننا وبين اليهود اليوم على المسجد الأقصى،

236 البحث ليس موضوعه أحاديث الفتن وإمارات الساعة، ولكن موضوعه المسجد الأقصى، لذلك لن يدخل في مناقشة تلك الأحاديث، ولا تفاصيل الأحداث الكثيرة التي ذُكرت فيها، ولكنه سيعرض ما يتوافق وسياقه في إثبات أن نبوءات التوراة؛ بأن المسجد الأقصى «البيت أو الهيكل» سيكون مقر سيادة لأمة عالمية آخر الزمان، وأن المسيح يحكم منه العالم، لا يُقصد بها أُمة القبيلة «اليهود»، ولكن أُمة الإسلام التي هي صاحبة الدين السماوي العالمي.

وتتوافق مع نبوءات التوراة التي تتحدث عن الأُمة البارة التي تجعل جميع شعوب الأرض تتبارك في إبراهيم، وتجعل البيت «المسجد الأقصى» مكان عبادة لجميع الأُمم، تلك النبوءات التي تتطابق مع التفسير العالمي للعهد الذي قطعه الرب لنوحعليه السلام، والوعد الذي أعطاه لإبراهيمعليه السلام. وما يؤكد أن تلك النبوءات لا تخص اليهود ولا النصارى؛ أن اليهود والنصارى عجزوا عن أن يكونوا هم تلك الأمة، بسبب الانغلاق القبلي واحتكار إله العالمين عند اليهودي لأنفسهم دون جميع البشر، وحصر العهد والوعد في ذرية سام دون إخوته، وبني إسرائيل من ذرية إبراهيم دون إخوتهم وأبناء عمومتهم. وبسبب الاستعلاء والعنصرية العرقية للجنس الأبيض النصراني، تلك العنصرية التي لا تختلف كثيراً عن قبلية اليهود. وهذه بعض تلك الأحاديث:

قال حذيفة: قال رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم : تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[237]. وقد مرت المراحل الثلاثة الأولى، وها نحن نعيش أواخر المرحلة الرابعة، التي تذخر بكثير من الأحداث والوقائع التي يرى فيها بعض الفقهاء المهتمين بأمر الصراع، وبعثة المهدي وعودة المسيح آخر الزمان، قرب زمانهما، وزمان قيام الخلافة الإسلامية التي ورد ذِكرها في حديث ابن حوالة الأزدي صاحب رسول اللهصلَ الله عليه وعلى آله وسلم، فقد قال له صلَ الله عليه وعلى آله وسلم : «يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة؛ فقد دنت الزلازل والبلابل والأُمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»[238]. والحديث يشير إلى أن القدس ستكون عاصمة الخلافة الإسلامية في المستقبل، وأن ذلك من إمارات الساعة.

وكذلك حديث معاذ بن جبل: قال رسول اللهصلَ الله عليه وعلى آله وسلم: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح، وفتح القسطنطينية

237 جامع علوم الحكم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، المتوفى سنة (٧٩٥.٧٣٦هـ)، تحقيق/شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، عدد الأجزاء (٢*١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ ، ج١/٢٦٤. مسند أحمد بن حنبل، ٤/٢٧٣، رقم١٨٤٣٠.

238 الأحاديث المختارة لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٦٤٣.٥٦٧هـ)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ج٩/٢٧٦، الأرقام (٢٧٧،٢٨٢،٢٨٣،٢٨٤). ومشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق/محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء(٣)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥، كتاب الفتن، ج٣/١٥٠٠.

خروج الدجال، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدث أو منكبه، ثم قال: إن هذا لَحَقٌّ كما أنك هاهنا، أو كما أنك قاعد، يعني معاذ بن جبل»[٢٣٩]. وخراب المدينة لا يكون على يد السفياني كما فهم البعض: «فأنت ترى أن ذكر عمران بيت المقدس إشارة إلى نزول الخلافة فيها، وفيها إشارة إلى حدث ينْزل بالمدينة، إذ يهجرها أهلها، لا كما يتصور بعضهم أن السفياني يخربها، ثم تكون الملحمة، ثم فتح القسطنطينية، ثم خروج الدجال»[٢٤٠].

وما يؤكد أن نبوءات التوراة عن أن مقر السيادة العالمية آخر الزمان يكون ببيت المقدس، وأن الأُمة البارة هي أُمة الإسلام وريثة التراث الروحي لجميع الأنبياء والرُسل، أن عيسىعليه السلام عندما ينزل إلى الأرض ويلتقي الطائفة المنصورة الظاهرة، وعندما يحل وقت الصلاة يقتدي ويُصلي خلف إمام من أُمة محمدصلَ الله عليه وعلى آله وسلم، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبيصلَ الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينْزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[٢٤١].

وما يُكذب ادعاء اليهود بأن مقر مسيحهم الذي سيحكم العالم هو (الهيكل) الذي سيُقام مكان المسجد الأقصى؛ أن المسيح الدجال يظهر في الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس. قال سُمرة بن جندب: قال رسول اللهصلَ الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي يحيى شيخ الأنصار، وأنه متى خرج فإنه يزعم أنه الله فمن آمن به وصدقه واتبعه فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمله سلف، وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس، فيتزلزلون زلزالاً شديداً فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى إن أجذم الحائط وأصل الشجرة لينادي بالمؤمن هذا كافر يستتر بي تعالى فقتله»[٢٤٢].

239 سنن أبي داود، باب في إمارات الملاحم، ج٤/١١٠، رقم ٤٢٩٤. المستدرك، باب الفتن والملاحم، ج٤/٤٦٧، رقم٨٢٩٧.

240 محمد سعيد حوّى «دكتور»، مستقبل الصراع على الأرض المقدسة، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، نسخة خاصة على قرض مضغوط، ص١٠١.

241 صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب لا تزال طائفة، ج١/١٣٧، رقم١٥٦.

242 المستدرك على الصحيحين، كتاب الكسوف، ج١/٤٧٩. وصحيح ابن حبان، ذكر الخبر المدحض لمن زعم أن الكسوف يكون لموت العظماء من أهل الأرض، ج٧/١٠٣. والمعجم الكبير للطبراني، ج٧/١٨٩.

أما الحديث العظيم الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيصلَ الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: «لَتُقَاتِلُنَّ اليهود، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يهوديٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[٢٤٣]. وفي رواية أخرى عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ أيضاً أَنَّ رَسُولَ اللهصلَ الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: «تُقَاتِلُكُمْ الْيهود، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثَمَ يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يهوديٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[٢٤٤]. كما أخرج عن مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيهود فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليهودي مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يهوديٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيهود»[٢٤٥].

بالنسبة لهذا الحديث؛ بعد مناقشة مستفيضة لأحاديث الطائفة المنصورة، والخلافة ببيت المقدس، وأحاديث الفتن ونزول المسيح عيسي عليه السلام وقتاله الدجال، يستبشر الدكتور محمد سعيد حوّى بُقرب النصر وزوال كيان العدو الصهيوني الغاصب لقدسنا وأقصانا، فيقول: «الظاهر أن دولة (يهود) هذه تزول بجهاد المجاهدين، ويكون قيامُ دولة الخلافة على أثر ذلك في الأرض المقدسة، أو تقومُ إثرَ أحداث جسام نواةُ دولة الخلافة، وتكون أهم أعمالها تطهير بيت المقدس من يهود، فتعلن الخلافة وعاصمتها القدس، لتبدأ فتوحاتها الأخرى الكبرى، أما مقاتلة اليهود حتى يقول الحجر والشجر ... فهذا مع اليهود الذين يكونون مع الدجال»[٢٤٦].

يحضرني هنا تجربة شخصية مع إحدى اليهوديات:

كنت أعمل عام ١٩٧٦ في أحد المصانع في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وكنت على خلاف بقية العمال الفلسطينيين معي في المصنع، أُحب الخوض في السياسة والصدام مع العمال اليهود، والتأكيد على أن هذا وطننا، وأنه لا بد أن يعود لنا. المهم في إحد النقاشات مع إحدى اليهوديات من أصل يمني، ورداً على إصراري على الحديث في السياسة، قالت: مصطفى أنت تعرف أن أبي حاخام. قلت: أعرف. قالت: كلامك عن عودة الأرض لكم صحيح. أبي يقول: أنه مكتوب عندنا في الكتب القديمة (كتبهم الدينية)،

243 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج٤/٢٢٣٨، رقم٢٩٢١.

244 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ج٣/١٣١٦، رقم٣٣٩٨. وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج٤/٢٢٣٩، رقم٢٩٢١.

245 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج٤/٢٢٣٩، رقم٢٩٢٢.

246 محمد سعيد حوّى، مرجع سابق، ص١٠٦.

أن دولتنا تُعمر ما بين ثمانين إلى مائة سنة، بعدها تزول. ويقول: أنه قبل زوالها تظهر إمارات طبيعية في الجو توحي بذلك، مثل ظهور شفق في السماء يستمر إلى ما بعد منتصف الليل. وأشياء أُخرى لا أذكرها، لأني كنت صغيراً (سبعة عشرة عاماً).

هذا الحديث ذكرني به بعد نحو ثلاثين سنة؛ حوار في أحد البرامج على قناة الجزيرة أو المنار، لا أذكر بالضبط! لأنني وقفت لأسمعه وأنا أَهم بالخروج، وكان له علاقة بنفس ما قالته تلك اليهودية. فقد كان المتحدث يقول: أن اليهود المعادين للصهيونية، ويؤمنون بالعودة سلمياً عند بعث مسيحهم الذي هو مَنْ يُقيم دولة اليهود في فلسطين آخر الزمان، ليسوا ضد الصهيونية وإقامة الكيان الصهيوني، ولكن لأنهم يؤمنون أن إقامة ذلك الكيان وتجميع اليهود في فلسطين؛ هو نهاية الوجود اليهودي فيها. لذلك هم يقولون لليهود الصهاينة: لماذا تستعجلون على نهايتنا. ذلك هو سبب الرفض.

وهذا يؤكد ذاك، وإنما النصر صبر ساعة.

الخاتمة والمستخلصات

بعد ما تقدم يتَبين لنا أن أجداد بني إسرائيل الأوائل وخاصة إبراهيم وأبنائه لم يثبت أنهم قدسوا مكان أو شيء ما دينياً، وتَبين لنا أن عقيدة الهيكل وقداسته عند اليهود لم تنشأ إلا أثناء السبي البابلي، وأنها ذات معنى ومضمون سياسي. وأن العهد الذي قطعه الرب لنوح، والوعد الذي أعطاه لإبراهيم، وجميع نبوءات التوراة والأناجيل، كلها ذات مضامين وأبعاد عالمية، وأنها ليست خاصة بعرق أو شعب دون الشعوب، ولكنها تتحدث عن أُمة عالمية، سمتها: الأُمة البارة. ومن صفاتها أنها تجعل جميع شعوب الأرض تتبارك في إبراهيم، وتجعل البيت «المسجد الأقصى» مكان عبادة لجميع الأُمم. وتَبين لنا أن نفس تلك المضامين وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما تَبين أيضاً: أن أُمة الإسلام هي التي صححت التحريف والانحراف الذي أحدثه اليهود والنصارى على رسالة نوح و إبراهيم وجميع الأنبياء والرُسُل عليهم جميعاً الصلاة والسلام، واحتفظت بعالمية رسالة نبيها محمدصلَ الله عليه وعلى آله وسلم ولم تجعله نبياً للعرب دون غيرهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء:١٠٧}. ولم تحتكر الله لنفسها دون غيرها من الأُمم: ﴿وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الشعراء:١٩٢}. ذلك ما يجعلها هي وحدها الأُمة المقصودة بنبوءات التوراة، خاصة وأن كثير من علماء اللاهوت النصارى يؤكدون أن النبوءات لا تعني عودة اليهود إلى فلسطين، ولكنها تعني مملكة روحية للجنس البشري كاف ولجماعة المؤمنين.

يمكننا أن نخرج من الدراسة ببعض النتائج والمستخلصات التي أرى واجب الانتباه لها وضرورة الأخذ بها، قدر المستطاع عند تناول موضوعاتها بالكتابة أو المناقشة أو البحث. منها:

١ـ عند النقل عن كتاب (التوراة) المحرف يجب النقل عنه بتحفظ شديد جداً، وعدم التعامل معه على أنه كتاب سماوي ووحي منَّزل من الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام، بعد أن طعن فيه جميع علماء اللغة والآثار والتاريخ، وأثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة عدم صحة خرافاته،وأن ما ورد فيه عن خلق الكون وغيره من المعلومات العلمية المختلفة ما هي إلا أساطير كانت شائعة آنذاك، وليست وحياً إلهياً من الله تعالى، وذلك ما يؤكد عدم صحته.

٢ـ عند التعرض لذكر الديانة اليهودية يجب عدم اعتبارها ديانة أو رسالة سماوية من الله، والتي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى، ولكن اعتبارها والتعامل معها على أنها ديانة وثنية من صنع البشر، مثلها مثل أي ديانة وثنية من ديانات البشر.

٣ـ كما أن (يهوه) إله اليهود هو إله خاص بهم وحدهم من دون كل البشر وليس إلهاً عالمياً، أو الله الذي دعا إلى عبادته جميع أنبياء بني إسرائيل، فضلاً عن أنه (إيل) الإله (كنعاني) الذي سطا عليه كتبة التوراة أيام السبي البابلي، وأصبغوا عليه صفاتهم وطباعهم الشريرة التي تجافي الفطرة الإنسانية، وأسموه (يهوه)، الذي يرجع البعض أنه الإله الأنثى أو المخنث عند الفرس.

٤ـ يجب أن يستحضر الكاتب أو القارئ عند ذكر (يهوه) إله اليهود، أنه ليس ذلك الإله الذي حاول أن يصوره اليهود للعالم على أنه إله لا يمكن وصفه أو تحديده ...إلخ، كما فهم معظم علماء الآثار واللاهوت الغربيين، من أن الديانة اليهودية ديانة توحيدية، لا! ولكن فكرة التوحيد التي أخذ بها اليهود عن (الكنعانيين) هي توحيد الآلهة في إله واحد، أي فكرة تغليب إله على بقية الآلهة، وليست الوحدانية التي دعا لها أنبياء وسل بني إسرائيل. كما انه تبين أن (يهوه) إله اليهود مثله مثل بقية آلهة (الكنعانيين) له زوجة وأبناء.

٥ـ وعند حديثنا عن عالمية العهد لنوح عليه السلام في التوراة؛ يجب أن ندرك أنه كان عهداً أبدياً عالمياً لجميع ذريته من جميع أبنائه ومِمَنْ نجو معه في السفينة، أي لجميع البشرية وليس لذرية (سام بن نوح) فقط، على حساب بقية إخوته وحقهم هم وذرية مَنْ نجوا مع نوح في السفينة. كما أن رواية التوراة عن أصل الأجناس أنهم من أبناء نوح فقط رواية ذات توجهات ومضامين سياسية وعنصرية، وليست إلا خرافة وأسطورة من ضمن آلاف الخرافات والأساطير التي كانت منتشرة في وطننا في تلك العصور، وأنها تخالف صريح القرآن، وتكذبها الحقائق العلمية الثابتة.

٦ـ كما أن النصوص التي وردت في التوراة عن عالمية الوعد إبراهيم ولأنبياء بني إسرائيل ليست خاصة باليهود وحدهم من بين الأمم والشعوب الأخرى، ولكنها عامة وخاصة بجماعة المؤمنين في أي زمان، وأن الخاص باليهود قد سبق أن تحقق لهم بالعودة من السبي البابلي، وما بعد ذلك ليس هم المقصودين به، وإننا بعد مراجعتها وما قاله علماء اللاهوت الغربيين حولها، يمكننا أن نقول بكل ثقة: أننا نحن ونحن فقط المسلمون المقصودون بها دون غيرنا من أتباع الرسالات السماوية.

٧ـ أن من أشد الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون المسلمون والعرب قديماً وحديثاً، وترتب عليها كثير من المفاهيم والمصطلحات والمعلومات الخاطئة، هو: أنهم سمحوا لأنفسهم تجاوز ما نهى عنه الرسول صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، في حديث (كذب النسابون)، ونقلوا عن التوراة ما هب ودب من أنساب، ووثقوها وعمومها واستخلصوا منها العبر، وصنفوا على أساسها العرب، وغير ذلك مما هو شائع اليوم عندنا كمسلمات وبدهيات في التاريخ وأصول القبائل وأجناس البشرية. لذلك يجب علينا أن نعيد كتابة وصياغة تلك الأخطاء بما يتوافق وحديث رسول الله (كذب النسابون)، وألا نتجاوز ذلك، وأن نعيد تقييم ما سبق كتابته وتصحيح مستخلصاته ونتائجه.

٨ـ كما أن محاولة علماء التفسير المسلمين والمؤرخين أيضاً التوفيق بين روايات التوراة عن أن أصل الجنس البشري بعد الطوفان وأنه يرجع إلى أبناء سيدنا نوح الثلاثة الذين وحدهم مَنْ نجا من الغرق، على الرغم من أن صريح القرآن يُكذب تلك الرواية ـ كما قدمنا ـ وبين الحديث المرفوع إلى رسول الله صلَ الله عليه وعلى آله وسلم: أن (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم)، فقطعوا نسل جميع ذرية مَنْ نجا مع نوح، وابقوا فقط على ذرية أبناء نوح الثلاثة، ليوافق ذلك رواية التوراة المخالفة لصريح القرآن، والحديث المُضعف. لذلك علينا أن نصحح تلك الرؤية والأخطاء التاريخية من خلال تقديم الرؤية القرآنية التي تثبت كذب رؤية التوراة حول سيدنا نوح و أبنائه وذريته، وأن أصل البشرية لا يقتصر على ذريته، وإنما يمتد إلى ذرية الناجين معه في السفينة من الغرق بالطوفان.

٩ـ كما علينا أن نعيد النظر في مصطلحات مثل العرب (البائدة والعاربة والمستعربة) لأن تلك المسميات هي إحدى نتائج الدراسات العربية القديمة التي نقلت أنساب القبائل العربية عن التوراة، فكانت النتيجة أنهم أقروا بما أراد كتبة التوراة أن يوصلوه للعالم، ومن أنه انقرض نسل جميع ذرية إخوة أرفخشذ بن سام، ولم يبقَ منهم أحد غير اليهود من ذرية أرفخشذ، وذلك لأنهم هم وحدهم الموعود بالربكة والسيادة العالمية،

لن تلك الأنساب غير صحيحة، ولأن القبائل العربية التي اعتبرها المؤرخين المسلمين عرب بائدة، لم تبيد ولكن تواصل نسلها وتكاثر فيمن نجا منهم مع أنبياء الله تعالى، إلا إذا كان أنبياء الله ومَنْ نجا معهم مثل مَنْ آمن ونجا مع نوح كانوا لا ينجبون، لذلك انقرضت ذريتهم ولم يبقى إلا ذرية أبناء نوح فقط! فالعرب هم العرب لا (بائدة) ولا (عاربة) ولا (مستعربة)، كما أنه على المؤرخين العرب أن يأخذا بالدليل من السنة الذي يرفع نسبه إلى إسماعيل وليس عابر كما يفعل أولئك المؤرخين دون دليل قوي على ذلك، غير تأول اسم (يقطن)، الذي تزعم التوراة أنه انقرضت ذريته بموته، وتعريبه باسم قحطان، أو القول أن التوراة أسقطت اسم قحطان ولم تذكره، وأنه ابن عابر! ذلك كلام ليس علمي ولا موضوعي ولا تاريخي.

١٠ـ إن الله تعالى أخبرنا عن جميع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام أنه قد اصطفاهم من ذرية نوح و إبراهيم، وأن تلك الذرية متواصلة ولم تنقطع (ذرية بعضها من بعض)، ذلك يُجب علينا أن نأخذ بأنساب التوراة، وألا نعتقد بعرب بائدة، لأن العرب البائدة حلقة من حلقات الاصطفاء الإلهي بالرسالة والنبوة في نسلهم من نبيي الله هود وصالح، فلو انقرضوا وبادت قبائلهم فذلك يعن يأته انقطع النسل فيهم، وذلك يستحيل تصديقه أو الاعتقاد بصحته، لأنه يعارض صريح القرآن الكريم.

١١ـ وعلى ذلك فإن إبراهيم عليه السلام من أصل عربي وليس أعجمي أو عروبته ثانوية، وأن إسماعيل عليه السلام أخذ عروبته عن والده، ولم يكتسبها كما يقول مؤرخينا من خلال مصاهرته لقبيلة جرهم العربية اليمنية، التي هي من نسل قحطان أصل العرب العاربة.ى فمثل تلك المفاهيم خاطئ جداً، لأن رسولنا الكريم صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، كما مر معنا في الحديث اعتبر أنبياء الله تعالى هود وصالح عرباً، وما دامت هي ذرية بعضها من بعض، ولم يذكر اسم نبي أو رسول مرسل بعدهما غير سيدنا إبراهيم، فمعنى ذلك أن إبراهيم عليه السلام عربياً، وان ابنه إسماعيل عربياً كذلك.

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم :

كتب التفسير:

١- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الإمام الحافظ، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار الشيخ محمد كريم راجح، ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢- ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، ثم الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي.

٣- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري)، تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ، عدد المجلدات ٣٠، دار المعرفة، ١٩٩٠.

٤- أبو عبد الله القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح)، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)،دار الكتب العلمية .

٥- عبد الله بن أحمد النسفي ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار النفائس، ١٩٩٦.

٦- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير في تفسير القرآن، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧.

٧- إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن ، ، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥.

٨- الألوسي البغدادي (محمود شكري ابن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي)، روح المعاني في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي .

٩- سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الأول، المجلد الأول، دار الشروق، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٩٨٠.

ثانيا : الحديث الشريف :

١٠- أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي الأحاديث المختارة (٥٦٧-٦٤٣هـ)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١١-أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مسند أحمد بن حنبل، (١٦٤-٢٤١)، مؤسسة قرطبة للنشر، مصر،(بلا رقم طبعة ولا سنة نشر).

١٢-أبي بكر أحمد بن الحسين على البيهقي السنن الكبرى، (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، عدد الأجزاء(١٠)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (بلا رقم طبعة)، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

١٣- أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجة سنن ابن ماجة، (٢٠٧-٢٧٥هـ)، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء(٢)، دار الفكر، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا تاريخ نشر).

١٤- أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء(٤*٢)، دار الفكر، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا تاريخ نشر).

١٥- أبي بكر أحمد بن الحسين على البيهقي ، شعب الإيمان، (المتوفى ٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق/محمد السعيد بسيوني زغلول، عدد الأجزاء(٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٦- زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي جامع علوم الحكم، ، المتوفى سنة (٧٣٦-٧٩٥هـ)، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ .

١٧- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، مؤسسة الرسالة للنشر، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر).

١٨- عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، الترغيب والترهيب، (٥٨١-٦٥٦هت)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٩- علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المتوفى سنة٩٧٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر).

٢٠ - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ المتوفى سنة ٧٧٤هـ، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، المجلد الثاني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة .

٢١- سليمان بن أحمد بن أبي القاسم الطبراني، المعجم الكبير للطبراني، (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقق/حمدي عبد المجيد السلفي، عدد الأجزاء(٢٥)، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٢- محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، (٣٢١-٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٣- محمد ناصر الدين الألباني تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ، ، المكتب الإسلامي، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر).

٢٤- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء(٣)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.

٢٥- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، صحيح ابن حبان، المتوفى ٣٥٤هـ، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م، ذكر بسط الملائكة أجنحتها على بلاد الشام لساكنيها، ج٣٩٢/٦١، رقم ٤٠٣٧. ومحمد ناصر الدين الألباني، تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي، المكتب الإسلامي، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر) .

٢٦- محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ، صحيح البخاري، (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ)، تحقيق ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م .

٢٧- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (٢٠٦ـ٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر) .

٢٨- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، المتوفى ٣٥٤هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

ثالثا : قصص الأنبياء:

٢٩- عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء في القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (بلا تاريخ طبع) .

٣٠- عفيف طيارة عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الثالثة عشر،أيار (مايو) ١٩٨٤م.

رابعا : كتب إسلامية :

٣١- أبو المجد أحمد، حقيقة كتاب صلة القرآن باليهودية والمسيحية، دار الطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، (بلا رقم طبعة ولا تاريخ طبع).

٣٢- الإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي، إفحام اليهود وقصة إسلام سموأل ورؤياه النبي صلَ الله عليه وعلى آله وسلم، تعليق وتحقيق وتقديم الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي-دار الهداية –القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٣- أحمد عبد ربه بصبوص، القدس تناديكم، دار البشير للتوزيع والنشر، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

٣٤- أحمد عبد الغفار عطار، عروبة فلسطين والقدس، دار الأندلس بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٥- إسماعيل راجي الفاروقي «دكتور»، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مطبعة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٣٦- راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٣٧- إسماعيل الكيلاني: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي. المكتب الإسلامي- بيروت. الطبعة الثانية. ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٨-أنور الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، دار الاعتصام-القاهرة، (بلا رقم طبعة ولاسنة نشر).

٣٩- سفر الحوالي، القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، الطبعة الأولى، (لم يذكر مكان وتاريخ وجهة الإصدار .

٤٠- عبد الله التل، جذور البلاء، القسم الأول، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الطبعة الثانية، ص

٤١- عبد المجيد همّو: هل اليهودية ديانة سماوية، سلسلة مصادر التوراة (٧)، دار غار حراء، دمشق، .

٤٢- عبد العزيز مصطفى كامل، قبل الكارثة نذير..ونفير، كتاب المنتدى، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، التوزيع في اليمن: دار القدس، صنعاء .

٤٣- عكرمة صبري، حقنا في فلسطين، محاضرة ألقاها في نادي الخريجين العربي بالقدس، مساء يوم الخميس ١٩٧٨/٢/٢م، (بلا دار للنشر ولا بلد للطبع)، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر .

٤٤- عبد التواب مصطفى، نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس، مركز الإعلام العربي، سلسلة كتاب القدس (١٥)، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٤٥- عبد الرحمن غنيم، المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية، منشورات الطلائع، دمشق، الطبعة الأولى،١٩٧٣.

٤٦- علي عبد الواحد وافي « دكتور «، اليهود واليهودية، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر) .

٤٧- مؤسسة القدس، القدس .. التهويد والواقع الحياتي والسياسي للشعب الفلسطيني، إعداد وحدة الدراسات والبحوث، سلسلة أبحاث القدس (١)، بيروت، فبراير/٢٠٠٢م، (بلا رقم طبعة).

٤٨- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت ت لبنان، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩١ .

٤٩- محمد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرني، باتنة الجزائر، الطبعة الثامنة .

٥٠- أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الملل والنحل، للإمام ، المتوفى سنة ٥٤٨هـ, صححه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الثانية (١٤١٣ – ١٩٩٢م) .

٥١- محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، ١٣٩٩هـ، (بلا مكان للنشر ولا رقم طبعة) .

٥٢- محمد تيسير التميمي، حقيقة القدس التي يدعون، المركز القومي للنشر، الأردن، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٥٣- محمد هلال «دكتور»، الإسراء وإسرائيل، مؤسسة الرسالة-دار البشير، لبنان-الأردن، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٥٤- حسن ظاظا، القدس مدينة الله.. أم مدينة داود؟، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩١٠.

٥٥- حسن ظاظا «دكتور»، القدس مدينة الله.. أم مدينة داود؟، كتب قيمة (٢٠)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٥٦- حسن مصطفى الباش، القدس بين رؤيتين هل تحسم النبوءات الصراع، درا قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٧- خالد محمد غازي، القدس سيرة مدينة دراسة وشهادات، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٥٨- مجموعة من العلماء، الإسلام الصراط المستقيم، الجزء الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، شركة النبراس بغداد.

٥٩- محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، ١٣٩٩هـ، (بلا مكان للنشر ولا رقم طبعة).

٦٠- محمد سعيد حوّى «دكتور»، مستقبل الصراع على الأرض المقدسة، الطبعة الأولى،١٤٢٦ها- ٢٠٠٥م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، نسخة خاصة على قرض مضغوط.

٦١- محمد شلبي اشتيوي «دكتور»، مقارنة الأديان التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح الكويتية، طبعة أولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٢- محمد مصباح حمدان، الاستعمار والصهيونية العالمية، المكتبة المصرية،صيدا، لبنان، ١٩٦٧م .

خامسا المراجع اليهودية :

٦٣- التوراة والإنجيل المُحرفة (الكتاب المقدس)، نسختين:

أ- طبعة العيد المئوي ١٨٨٣- ١٩٨٣، دار الكتاب المقدس في الشرق الوسط، مصر.

ب - الكتاب المقدس، تم جمعه في جي. سي. سنتر، مصر الجديدة، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٨.

سادسا: الكتب العامة:

٦٤- أسعد رزوق «دكتور»، التلمود والصهيونية، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (بلا مكان طبع)، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٦٥- خليل التفكجي،الاستيطان الصهيوني.. الأهداف والنتائج، سلسلة أبحاث القدس، إشراف وحدة الدراسات والبحوث-مؤسسة القدس، بيروت لبنان .

٦٦- أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، أُكتوبر ١٩٦٣.

٦٧-أديان العالم الكبرى، لخصه عن الإنجليزية حسيب سعيد، الطبعة الثانية، درا الشرق والغرب، (بولاق) مصر، وكاتدرائية سنت جورج بالقدس .

٦٨- إبراهيم العابد، دليل القضية الفلسطينية أسئلة وأجوبة، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٦٩، (بلا رقم طبعة).

٦٩- أحمد يوسف القرعي، القدس من بن غوريون إلى نتنياهو، مركز الدراسات العربي-الأوروبي، بحوث استراتيجية (٣)، واشنطن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

٧٠- أحمد صدقي الدجاني «دكتور»، الخطر يتهدد بيت المقدس، مركز الإعلام العربي، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م .

٧١- أبو خالد العملة، أوسلو .. محطة لتهويد فلسطين توزيع دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الأولى، أيلول ١٩٩٧.

٧٢-٤١- بنيامين فريدمان، التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٥م.

٧٣-بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس دار الجليل، عمان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩، يراجع الفصل التاسع (سلام دائم).

٧٤- بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، سلسلة الدراسات الفلسطينية، رقم٥٧، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١.

٧٥- لجنة حفظ و إحياء التراث الفلسطيني، تطور المجتمع الفلسطيني عبر العصور (٢٥٠٠٠٠ ق.م-١٩٤٨ ب.م)، منظمة الشبيبة الفلسطينية، مطبعة المدينة، الرياض، ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ، (بلا رقم طبعة).

٧٦- جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، الطبعة الأولى، توزيع دار النهار للنشر .

٧٧-روجيه جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة قصي أتاسي – ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، طبعة عام ١٩٩١.

٧٨- رجاء جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة دار التراث، (بلا رقم الطبعة)، (بلا تاريخ طبع).

٧٩- سعد زغلول عبد الحميد «دكتور»، في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. (بلا رقم طبعة ولا تاريخ).

٨٠- سمير أيوب، الصراع العربي الصهيوني، خمسة أجزاء، الجزء الأول، صامد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

٨١- شارل جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الإمام الأكبر الدكتور: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (بلا رقم طبعة ولا تاريخ نشر).

٨٢- السفير عبد الله النجار،الدكتور كمال الحاج الصهيونية بين تاريخين «قسمين»: القسم الأول - ، القسم الثاني - ، الطبعة الأولى، كانون الثاني /يناير ١٩٧٢م، دار العودة بيروت .

٨٣- عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة .

٨٤- عبد الرحمن عرفة: القدس تشكيل جديد للمدينة، سلسلة دراسات «صامد الاقتصادي» (٢٦)، الكرمل صامد، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٨٥- وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ، الأركان العامة، الشعبة الخامسة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ .

٨٦-القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، مجموعة من الكتاب الغربيين، (مارغريت شتاينر، «حدود متوسعة: تطور أورشليم في عصر الحديد»، تحرير توماس ل. تومبسون، بالتعاون مع: دكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة دكتور فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، آب/أغسطس٢٠٠٣.

٨٧- إشراف الدكتور أنيس صايغ، ترجمة لطفي العابد وموسى عنتر،الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطينية (٢١)، بيروت .

٨٨-مجموعة من الكتاب، قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين، مركز دراسات الشرق الأوسط، دراسات (٢٤)، عمان-الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م .

٨٩- مجموعة من الكتاب الغربيين، (مارغريت شتاينر، «القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ، حدود متوسعة: تطور أورشليم في عصر الحديد»، تحرير توماس ل. تومبسون، بالتعاون مع: دكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة دكتور فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، آب/أغسطس٣٠٠٢ .

٩٠- محمد جلال إدريس «دكتور»، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، مركز الإعلام العربي، سلسلة كتاب القدس (٤)، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠١.

٩١- محمد علي الزعبي «دكتور»، الماسونية في العراء، إحسان عباسي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ه ـ ١٩٨٥م.

٩٢- مذكرات حاييم وايزمان التجربة والخطأ، دراسة وأعداد وتقديم دكتور الحسيني الحسيني معدي، دار الخلود للنشر والتوزيع، القاهرة .

٩٣- محمد شلبي اشتيوي «دكتور»، مقارنة الاديان التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح الكويتية، طبعة أولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .

٩٤- محمد جلال إدريس «دكتور»، أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، مركز الإعلام العربي، سلسلة كتاب القدس (٤)، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠١.

٩٥- منى كاظم، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، الاتحاد للطباعة والنشر، أبو ظبي، سلسلة ثقافة (نحن)

٩٦- مجدي شندي، قبل أن تضيع القدس، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، دار المنى للإعلام العربي- القاهرة.

٩٧- مجموعة من الكتاب،المنظمة الصهيونية وإسرائيل ويهود العالم تفاعلات الحاضر وآفاق المستقبل، إبراهيم عبد الكريم، أعمال ندوة الحركة الصهيونية والصراع العربي- الإسرائيلي في مائة عام دروس الماضي وآفاق المستقيل ، (١٤-١٥ مايو/أيار ٢٠٠٠)، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية) .

٩٨- نايف حواتمة، اوسلو والسلام الآخر المتوازن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٩٩- هوهربرت جورج ويلز، موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة محمد مأمون نجا، كتاب وزارة التربية والتعليم بمصر (١٠٠٠)، مكتبة النهضة المصرية، (بلا رقم طبعة ولا سنة نشر).

١٠٠- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، المجلد الأول الجزء الثاني، الباب الثاني عشر، الفصل الثاني، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، بيروت - تونس، (بلا رقم الطبعة)، (بلا سنة نشر) .

١٠١- يوميات هرتزل: إعداد أنيس صايغ، ترجمة هيلدا شعبان صايغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، الطبعة الثانية ١٩٧٣، بيروت.

سابعا: الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية :

١٠٢- صحيفة القدس، ١٩٩٩/١١/١٧م.

١٠٣- صحيفة الوطن الكويتية (١٩٩٦/٩/٢٨م).

١٠٤- جريدة الرياض الثلاثاء ١٨المحرم ١٤٢٨هـ - ٦ فبراير ٢٠٠٧م – العدد ١٤١٠٧.

١٠٥- الأيام الفلسطينية ٢٠٠٧/٣/٩.

١٠٦- الحياة ٢٠٠٧/٢/١٩.

١٠٧- الغد الأردنية ٢٠٠٧/٢/١٩.

١٠٨- الرأي الأردنية ٢٠٠٧/٤/١٧.

١٠٩- عرفات حجازي، «المفاوضون الإسرائيليون ربحوا الإبل وكسبوا البراق»، (صحيفة الدستور الاردنية، بتاريخ :٢٠١٠/١/١٣).

١١٠- نواف الزرو، «حقائق مرعبة في المشهد المقدسي/٢٠٠٩»، صحيفة البيان الإماراتية، (الاثنين ٢٠٠٩/٣/٢٣).

١١١- مجلة الصخرة، أسبوعية، تصدر عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالكويت، العدد (٦٥)، بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٦، ص٢٠.

١١٢- محمد عبد الرحمن، دخول «الحرم» مخالف لتعاليم «الديانة اليهودية»، أشهر عالم آثار إسرائيلي ينفي وجود الهيكل، صحيفة السبيل الأردنية.

١١٣-محمد عبد الرحمن، دخول «الحرم» مخالف لتعاليم «الديانة اليهودية»، متابعات

فلسطينية، (العدد ٧٠، بتاريخ: ٢٠٠١/٣/٢١)، تصدر عن مكتب حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في صنعاء، اليمن.

١١٤- حسن حدرج، قناة المنار اللبنانية، برنامج «ماذا بعد» في أسبوع ذكرى إحراق المسجد الأقصى عام ٢٠٠٤ .

١١٥- قضية القدس بين بعديها الديني والسياسي، ماهر الشريف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، http://www.palestine-studies.org/ar/، ص٦.

١١٦- القنوات الفضائية ووكالات الأنباء.

١١٧-نواف الزرو، «أضواء على المخططات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى» الحلقة الثالثة، صحيفة «الخليج»، ٠١/٠٨/٢٠٠٤.

١١٨- صحيفة القدس الفلسطينية،٢٠/٤/٢٠٠٧.

١١٩- إبراهيم أبو الهيجاء، «الأقصى ... أين نحن منه؟»، الموقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام، ٢٦-١-٢٠٠٧.

١٢٠- الموقع الالكتروني لفلسطين الآن ٢٠٠٧/٢/٢٦.

١٢١- الموقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٧/٢/٢٧.

١٢٢-صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية،٢٠/٤/٢٠٠٧.

١٢٣-القدس الفلسطينية، بتاريخ: ١/٣/٢٠٠٧.

١٢٤- الغد الأردنية، بتاريخ: ١٦/٢/٢٠٠٧.

١٢٥-مجلة الصخرة، أسبوعية، تصدر عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالكويت، العدد (٦٥)، بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٦.

١٢٦-أضواء على المخططات الصهيونية لهدم المسجد الأقصى ... الحلقة الثالثة، نواف الزرو، الخليج، ٠١/٠٨/٢٠٠٤

١٢٧-اغتيالات عامين تفوق ٥٠ عاما، عماد سيد أحمد، المركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٤/٣/٢٨ م.

١٢٨-بداية المؤامرة، اتحاد طلبة فلسطين، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٤.

١٢٩- دراسة مصرية: تزايد اعتماد «إسرائيل» على الدين لتهويد الأراضي الفلسطينية، القاهرة - شريف اليماني: الشرق الأوسط، لندن، ٢٠١٢/٤/١٨.

١٣٠- «قانون القومية» يلامس هوية الدولة وبنيتها القانونية، تحليل إخباري، موقع إخباري الكتروني عرب ٤٨، ٢٠١٨/٠٧/١٨.

١٣١-قدم صهيونية عند باب المغاربة، عاطف دغلس، الموقع عشرينات النت، ٢٠٠٧/٢/٦.

١٣٢-موقع مؤسسة القدس الدولية الالكتروني، «حقيقة ما يجري في حيّ البستان»، (الجمعة ٢٠٠٩/٢/٢٧).

١٣٣-الموقع الالكتروني للهيئة العالمية الإعلامية للدفاع عن القدس، غزة، «خبير آثار (إسرائيلي) يدعو لإرجاع الحجر الأثري الذي سرق من المسجد الأقصى»، تاريخ النشر ٢٠٠٩/٤/١٣.

١٣٤-صالح محمد النعامي، هدم الأقصى.. طبخة يعدها «البلدوزر» مع اليمين واليسار– غزة، إسلام أون لاين نت، شؤون سياسية، القضية الفلسطينية، بتاريخ ٢٠٠١/٨/١.

١٣٥-«علم الآثار يكشف زيف الحق التاريخي (الإسرائيلي)، البروفيسور زئيف هرتسوغ، موقع مقاومة الالكتروني، (٢٠٠٢/٣/٩)، نقلاً عن صحيفة (هآرتس) الصهيونية (١٩٩٩/١١/٢٨).

١٣٦-سلطات الاحتلال تقرر هدم طريق باب المغاربة لإنشاء جدار ملاصق للأقصى، فلسطين اليوم ٠١/٠٢ /٢٠٠.

١٣٧-صالح محمد النعامي، هدم الأقصى.. طبخة يعدها «البلدوزر» مع اليمين واليسار– غزة، إسلام أون لاين نت، شؤون سياسية، القضية الفلسطينية، بتاريخ ٢٠٠١/٨/١.

١٣٨-الموقع الالكتروني لصوت الحق والحرية، ٢٠٠٧/٤/١٩.

١٣٩-بتصرف من مقالة للشيخ رائد صلاح، بعنوان: «أربعون عاماً على احتلال المسجد الأقصى المبارك»، موقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام.

١٤٠- شعبان عبد الرحمن، «باب المغاربة .. بداية محنة القدس»، الموقع الالكتروني للإسلام اليوم (١٤٢٥/١/٦هـ ،٢٠٠٤/٢٠/٢٦م).

١٤١- الموقع الالكتروني مصراوي، ٢٠٠٧/٢/٩.

١٤٢-الموقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٧/٣/٢٣.

١٤٣-صالح محمد النعامي، هدم الأقصى.. طبخة يعدها «البلدوزر» مع اليمين واليسار– غزة، اسلام اون لاين نت، شؤون سياسية، القضية الفلسطينية، بتاريخ ٢٠٠١/٨/١.

١٤٤-يوسف كامل إبراهيم «دكتور»، «دراسة علمية تحليلية عن القدس والأقصى فلسطين»، موقع الالكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام.

السيرة الذاتية

الاسم/ مصطفى أحمد عبد الفتاح انشاصي .

الجنسية/ فلسطيني .

تاريخ الميلاد/ ١٩٥٨/١/٢٥.

مكان الميلاد/ فلسطين، قطاع غزة، رفح .

لم يمارس أي عمل مدني، كان ومازال يُقدم الواجب النضالي على المصالح الشخصية والعائلية، حمل البندقية وقاتل في صفوف الثورة الفلسطينية منذ عام ١٩٧٣ في فلسطين ولبنان، وحمل القلم وأُعد أبحاثه إلى جانب البندقية، أُسر لدى كيان العدو الصهيوني في العدوان الصهيوني على لبنان عام ١٩٨٢، وأفرج عنه نهاية عام١٩٨٣ إلى الجزائر، التي بقي فيها إلى اندلاع الانتفاضة الأولى نهاية عام ١٩٨٧ حيث قدم استقالته عام ١٩٨٨ ونزل في مهمة لدعم الانتفاضة واكتشف أمره عام١٩٨٩ في إحدى الأقطار العربية، وسجن خمس سنوات!

المؤهـلات العلميــة

1ـ بكالوريوس خدمة اجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة، عام ١٩٨٠.

2ـ دبلوم عالي (تمهيدي ماجستير سنتان) فكر إسلامي، جامعة الإمام الأوزاعي الإسلامية، بيروت، عام ١٩٨٢.

3ـ دبلوم عالي (تمهيدي ماجستير سنتان) دراسات إسلامية، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، عام ١٩٩٤.

4ـ دبلوم عالي (تمهيدي ماجستير سنة) دراسات إفريقية، جامعة إفريقية العالمية، الخرطوم، عام ١٩٩٧.

لديه عدد من الأبحاث والدراسات لها علاقة بأبعاد الصراع العربي - الصهيوني، منها التاريخي ومنها الديني ومنها الحضاري ومنها الاجتماعي،

منها ما هو منشور في مجلات محكمة، وأُخرى غير منشورة. إلى جانب الكتابة الصحفية في عدد من الصحف اليمنية مقالات أسبوعية منتظمة، وكثير من كتاباته منشورة في المواقع الالكترونية.

إضافة إلى عدد كبير من المحاضرات في مجالات متنوعة في مراكز دراسات فقد حافظ على ومراكز بحثية، وحضوره الإعلامي المنتظم في الصحف منذ عام ٢٠٠٠إلى منتصف عام ٢٠٠٨. وعلى حضوره الثقافي منذ عام ٢٠٠٤ إلى منتصف عام ٢٠١٤.

قائمة بأسماء الأبحاث التي تم نشرها في مجلة شئون العصر، وهي مجلة مُحكمة، وتصدر عن: المركز اليمني للدراسات الإستراتيجية بصنعاء

اسم البحث	السنة	العدد	الفصل
1ـ المخططات الأمريكية لـ(الشرق الأوسط الكبير أو الموسع وشمال إفريقيا)	الثامنة	الخامس عشر	إبريل ـ يونيو ٢٠٠٤
٢ـ هيكل سليمان المزعوم في الكتب السماوية وعلم الآثار	الثامنة	السابع عشر	أكتوبر ـ ديسمبر ٢٠٠٤م
٣ـ مركزية القدس والهيكل في فكر الحركة الصهيونية	التاسعة	الثامن عشر	يناير ـ مارس ٢٠٠٥م
٤ـ مشاريع التسوية بين الثابت والمتغير	التاسعة	التاسع عشر	أبريل ـ يونيو٢٠٠٥م
٥ـ التأصيل التوراتي للإرهاب الأمريكي الصهيوني	التاسعة	العشرون	يوليو ـ سبتمبر ٢٠٠٥
٦ـ المجازر الصهيونية التطبيق العملي لعقيدة اليهودية	التاسعة	الحادي والعشرون	أكتوبر ـ ديسمبر٢٠٠٥
٧ـ الخروج من غزة بداية النهاية للمشروع الصهيوني	العاشرة	الثالث والعشرون	أبريل ـ يونيو٢٠٠٦م
٨ـ معركة المفاهيم: الحضارة .. الثقافة .. العولمة .. الدين	الحادية عشرة	الرابع والعشرون	يناير ـ مارس ٢٠٠٧
٩ـ مؤامرة الحفريات تحت المسجد الأقصى	الحادية عشرة	العددان (٢٦ـ٢٧)	يوليو ـ ديسمبر ٢٠٠٧

١٠ـ المنسيون: الرهائن والمختطفون الفلسطينيون في سجون الاحتلال	الثانية عشرة	التاسع والعشرون	أبريل ـ يونيو٢٠٠٨
١١ـ يهودية الكيان الصهيوني في فكر الحركة الصهيونية	الرابعة عشرة	السادس والثلاثون	يناير ـ مارس ٢٠١٠

الأبحاث المنشورة في مجلة الموقف (شهرية)، تصدر عن المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار

اسم البحث	العدد	الشهر
1ـ النظام السياسي العربي إلى أين..؟! (الحلقة الأولى)	٣٩،٣٨	يوليو ـ أغسطس٢٠٠٣
2ـ النظام السياسي العربي إلى أين..؟! (الحلقة الثانية)	٤٠	سبتمبر٢٠٠٣م
3ـ النظام السياسي العربي إلى أين..؟! (الحلقة الثالثة)	٤١	أكتوبر٢٠٠٣م
4ـ في الذكرى 58 لنكبة فلسطين الكبرى: فلسطين قضية الأمة المركزية وليس قضية (الشرق الأوسط)	٤٩	مايو٢٠٠٥م
5ـ أحقاً أن فلسطين مهد اليهود الأول؟! رد على الزعم الصهيوني بالحق التاريخي في فلسطين	٥٠	يونيو ٢٠٠٥
6ـ الوعد في التوراة والأناجيل والقرآن .. رد على الزعم الصهيوني بحقهم الديني في فلسطين	٥١	يوليو٢٠٠٥

9 786255 637338

مؤسسة الرواد العالمية
Beytülmakdis Öncüleri Derneği

دار الأصالة